كتابك
Kitabook

علم البرمجة الزمنية

البرنامج اليومي من خلال القرآن الكريم،
وحياة النبي الحكيم

د. محمد باباعمي

علم البرمجة الزمنية

البرنامج اليومي من خلال القرآن الكريم،
وحياة النبي الحكيم

www.drbabaammi.com
contact@drbabaammi.com

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدّمة

كان الله ولا شيء معه.

ثم خُلق الزمان والمكان، ولم يكن فوق الأرض إنسان.

وبعد ردح من الزمان خُلق الإنسان، ولا يزال ثمة مكان وزمان.

فوُجد الثلاثة على مدار الحياة الدنيا، لا انفصام بينها، وليس لأحدها على الآخر سلطان.

وسيأتي اليوم الذي يفنى فيه الإنسان، ويتحطَّم المكان، حينها لن يبقى من المخلوقات غير الزمان.

ثم يشهد الزمان قصَّة فناء الزمان، ولا يبقى بعد ذلك إلَّا الملكُ الديان، وهو المخبر عن هذا في قوله سبحانه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[الرحمن: 26-27]، وفي قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ[1] هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[القصص: 88].

(1) كلمة شيء تدلُّ على كلِّ «ما طرأ عليه وجود من عدم، لأنَّه مصدر شئت شيئا، أي أنَّ الشيء يحتاج إلى من شاءه»، الشعراوي: **تفسير**، سورة القصص 88، قرص مدمج. وفي اللغة يقول ابن منظور: «شئت الشيء أشاؤه شيئا، ومشيئة ومشاءة، ومشاية: أردته» **لسان العرب**؛ ج1/ص103. ومعلوم أنَّ المكان شيء، وأنَّ الزمان شيء، وأنَّهما من خلق الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[الأنبياء: 33]. ولذا ليس لهما سلطان على خالقهما، ولا يوصف الله بهما.

ويوم البعث سيكون هنالك مكان، لكنَّه غير المكان؛ ويكون ساعتها زمانٌ، ولكنَّه غير الزمان... ويكون ـ لا ريب ـ إنسان، هو ذات الإنسان؛ لا بجسده وعقله وروحه فقط، ولكن بعمله الصالح أو الطالح، بسكونه وحركته في شريط اللحظات والدقائق، والساعات والأيام، والأسابيع والأشهر، والسنين والقرون...

وسيسعد ذلكم الإنسان أو يشقى، وسيخلد في النار أو في الجنان، جزاء ما قدَّم وأخَّر من عمل يشهد له أو عليه: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾[يونس: 30].

وسيسأله الواحدُ القهَّار عن **وجهته**، هل كانت لله أم لغيره؟ وعن **غاياته**، هل انتهت إلى رضوان الله وحده؟ وعن **أهدافه وأولوياته**، هل كانت مشروعة أم غير ذلك؟

ويسأله سبحانه عن **ليله ونهاره**، ماذا عمل فيهما من عمل، وبماذا شغلهما: أبالخير أم بالشرِّ؟ أبالمبرَّات أم بالمنكرات؟ وذلك قوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل: **عن عمره فيما أفناه**، وعن علمه فيمَ فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه».

من هذا المنطلق العقديِّ، والفكريِّ، والمنهجيِّ.. تأتي ضرورة البحث عمَّا يشغل الأيام من أعمال، وماذا يبرمَج في كلِّ آن من آنائها، وهل الفكر الإسلاميُّ ـ من خلال القرآن الكريم، والسنَّة المطهَّرة ـ بيَّن الأعمال التي تكون في كلِّ يوم:

متى تكون؟ ومتى تبدأ؟ ومتى تنتهي؟

أم أنَّه ترك ذلك لحريَّة الإنسان واختياره وكفاءاته؟

وماذا عن القواعد التي تحكم صياغة البرنامج اليومي للإنسان؟

وما هي أصول البرنامج اليومي من منطلق القرآن الكريم، نظريا وعمليا؟

وعن البرنامج اليومي للرسول عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ما هي خصائصه؟ وهل يمكن أن نعيد

صياغته لنتأسى به عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؟

ولكن، قبل ذلك، كيف نضبط المفاهيم والمصطلحات الزمنية، ثم ننطلق منها لصياغة النموذج والمثال، والقاعدة والقانون؛ حتى لا نقع في التلفيق بين مادة أولية نابعة من سياق، وتوظيفها في سياق مغاير ومباين؟

يأتي هذا العمل ليجيب عن هذه الأسئلة المحيرة التي تلازم ميلاد الحضارة، وتقف شرطا أساسا في تمكُّنها، وفي بسطها للخير على البشرية جمعاء، بلا ادعاء ولا قهر، ولكن بالعمل الصالح، في المكان اللائق، وفي الوقت المحدد... والغاية المرجوة لا تتوقف عند التنظير البارد، ولكنها تتجاوزه إلى حقيقة الاقتفاء والاقتداء؛ بوعي وفهم، ورويَّة وحكمة...

ولقد دافعتُ ـ منذ سنوات ـ عن ميلاد علم جديد، هو علم «البرمجة الزمنية»؛ الذي يختلف اختلافا جوهريا عن علم «إدارة الوقت»، وعن غيره من العلوم التي ولدت في سياق الرؤية الكونية المادية، ضمن منظومة فكرية وفلسفية وحضارية غربية؛ تحمل الكثير من الخصائص الإيجابية، والكثير من الدقة والعلمية، غير أنها تفتقد إلى خلفية «إنسانية/توحيدية»، تعيد للإنسان إنسانيته ضمن حركته، وفي إطار علاقته بالزمن، تخطيطا، وإدارة، واستثمارا؛ ومن ثم فإنَّ أوَّل ما ينبغي أن يعالج هو «المفهوم والمصطلح»؛ فشتان بين مفهومي «الإدارة» و«البرمجة» مثلًا، وبين دلالات «الاستثمار» ذات البعد الاقتصادي ومعاني «الإعمار» ذات البعد الكوني الإنساني.

غير أنه، لا بدَّ من الإقرار أنَّ السياق العقيم للبحث العلميِّ في المحور الجنوبي من المعمورة، وبالذات فيما يسمَّى بالعالم الإسلامي، ـ وهو السياق الذي ولد فيه هذا الجهد ـ لم يسمح، ولن يسمح، بالتفاعل الخصب الولود، قبولا ورفضا، توجيها ونقدا؛ وإنما أَلِف التجاوب مع الاجتهاد المعرفي بحدَّي: القبول المطلق، أو الرفض المطلق؛ خلافا للسياق الغربي الذي يفور ويمور بالتداول المعرفي الفعال، ويسمح بالتطور والتفاعل المثمر، لكلِّ مقترح جاد، وإضافة خلاقة.

وما يرد في هذا البحث من إضافات، ومن أفكار، ليس القصد منها الإعلان

عن الحقِّ المطلق، وإنما هو بذرة تستدعي الكثير من الصبر وهي مدفونة في الأرض؛ ويمكن أن نمثل للجدَّة في هذا العمل بما يلي:

- صياغة مفهوم «البرمجة الزمنية» تأصيلا وتفعيلا.
- تحديد معالم علم «البرمجة الزمنية» ولو بصفة أولية.
- اعتبار الصلاة محورا للبرنامج اليوميِّ في الفكر الإسلامي.
- تقسيم الأعمال إلى: أعمال مشتركة بكلِّ الأزمنة، وأخرى خاصة بزمن دون زمن.
- صياغة قواعد تحكم البرنامج اليومي للرسول ﷺ.
- الانتهاء إلى برنامج يومي واضح ومتكامل للرسول ﷺ.

وفي جميع ذلك، ننتهي إلى ضرورة الاهتمام بالزمن والوقت، لا مجرد تنويه بأهميته وفضله؛ ولكن بتفعيله، وبناء الحضارة على أساسه؛ والحضارة تبدأ من التفاصيل والدقائق، وتنتهي إلى ما هو شمولي كليّ؛ خلافا للكثير من المناهج الرتيبة التقليدية، التي تعنى بالعموميات، وينقطع نفسها عند «الكيف»، وعلى باب الواقع اليومي للناس.

والله ولي المحسنين، والله يقول الحقَّ وهو يهدي السبيل.

د. محمد باباعمي

الجزائر 30 رجب 1438 / 27 أفريل 2017

الفصل الأول

المنهج من خلال

(المصطلح، والعلوم الزمنية، والدراسات الإسلامية)

- **المبحث الأول** : المنهج من خلال المصطلح.
- **المبحث الثاني** : المنهج من خلال العلوم الزمنية.
- **المبحث الثالث** : المنهج من خلال الدراسات الإسلامية.

الفصل الأول

المبحث الأول المنهج من خلال المصطلح:

• أوَّلا • مفارقة المصطلح

بغضِّ النظر عن كون منشأِ اللغة توقيفيا أو توفيقيا[1]، فإنَّ مَلَكة الاهتمام **بالكلمة**، وتحديد **المعنى**، وضبط **المصطلح**، مردُّها إلى تعليم الله تعالى ﴿عَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾[البقرة: 31]، إعلانا منه عن استحقاقه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ للخلافة في الأرض، بسبب معرفته «أسماء جميع الأشياءِ كلِّها، جليلها وحقيرها»[2].

وستبقى هذه الملكةُ ميزةً تُعلي من شأن آدم وبنيه وترفع من مقامهم، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ ففي الحديث الذي رواه البخاري عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: «يجتمع المؤمنون يوم القيامة، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربِّنا، فيأتون آدم، فيقولون: أنت أبو الناس، خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، **وعلَّمك أسماء كلِّ شيء...**» الحديث[3].

---

(1) وانظر: البيضاوي، ناصر الدين عبد الله (ت.658هـ/1260م): **تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)**؛ تح: عبد القادر عرفات؛ دار الفكر، بيروت، 1416هـ/1996م؛ ج1/ص284. والألوسي، أبو الفضل شهاب الدين محمود البغدادي (ت.1270هـ/1853م): **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**؛ دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.ن.؛ ج1/ص224.

(2) القرطبي، محمد بن أحمد أبو عبد الله (ت.671ه/1272م): **الجامع لأحكام القرآن الكريم**؛ تح: أحمد عبد العليم البردوني؛ دار الشعب، القاهرة، ط.2، 1372ه؛ ج1/ص281.

(3) **رواه البخاري؛ كتاب تفسير القرآن، باب قول الله: وعلَّم آدم الأسماء كلَّها**؛ ج4/ص1624، رقم 4206؛ بسند: «حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا هشام، حدثنا قتادة عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ. وقال لي خليفة: حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا سعيد عن قتادة، عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: **يجتمع المؤمنون...**».

ومع نزول القرآن على سيِّد الخلق محمد ﷺ، انفتحت آفاق جديدة للمعرفة، وازدادت اللغة العربية ثراء «بما طرحه (القرآن) من المعاني الجديدة، وبما نقله من الألفاظ من معانيها الأصليَّة، وجعلها معبِّرة عن المعاني الجديدة (...) في العقيدة، والعبادات، والمعاملات، والأخلاق (...) وهكذا نشأت طائفة من المفردات الإسلامية، سمَّاها العلماء بعد ذلك: **المصطلحات الإسلامية**»[1].

ففي مجال الأوقات والأزمان، يقول السقا: «تنفرد اللغة العربية ـ لغة القرآن ـ بثرائها بالمفردات المعبِّرة عن مختلف المفاهيم المتعلِّقة بالأزمنة والأوقات، حيث لا تُضارعها في ذلك أيُّ لغة أخرى»[2].

وحتى لا يكون كلامُه أعزلَ ـ خاليا من الدليل ـ ضرب مثلا لهذه السعة وهذا الثراء، فقال: «وليس لساعات اليوم المختلفة أسماءً محدَّدة إلَّا في اللغة العربية فقط، حيث نجد أسماءً لساعات اليوم الأربع والعشرين، بل أحيانا يُطلق أكثر من لقب على الساعة الواحدة، أو مجموع ساعات، أو أكثر»[3].

هذا عن عهد ازدهار المسلمين، ورقيِّ لغتهم؛ أمَّا اليوم، وفي ظلِّ التطوُّر المتسارع للعلوم والمعارف، والتكاثر الهائل للمصطلحات في جميع

(1) الزركان، محمد علي: **تداخل المصطلحات العلمية بين المحدِّثين واللغويين والفقهاء**؛ مجلَّة التراث العربي، اتحاد الكتَّاب العرب، دمشق (عدد 77: جمادى الثانية ـ رجب، 1420هـ/أكتوبر 1999م) ص77.

(2) السقا، سلامة: **الزمن نظرة علمية وإسلامية**؛ دار النهضة الإسلامية، بيروت، 1414هـ/1994م؛ ص49.

(3) **نفس المرجع**؛ ص51.

المجالات[1]، فإنَّ **المصطلح** العربي بات مهدَّدا؛ ففي ندوة نظَّمها مجمع اللغة العربية بدمشق، نبَّه الدكتور أحمد الضبيب في بحثه الموسوم «المصطلح العربي في عصر العولمة» إلى أنَّ الخطر محدق بالعربية في هذا العصر (عصر العولمة ـ Mondialisation) ـ ويُقصد بها جعل الشيء في دائرة اهتمام العالَم أجمع، وفي متناول أهله أجمعين ـ (...) داعيا إلى مواجهة هذا السيل الجارف من المصطلحات الدخيلة، باستنفار قدرات لغتنا العربية في كلِّ مجال»[2].

وغنيٌّ عن البيان، أنَّ تطوَّر الأمَّة وازدهارها مرتبطٌ ـ ارتباط السبب بالمسبَّب ـ بتطوير الخطاب الإسلاميِّ، الذي يُعتبر السبيل الوحيد لإيقاظ هذه الأمَّة من غفلتها، و«تنويرِ الطريق أمامها، وتوضيحِ المزالق والصعوبات التي قد تواجهها، وهي تسير في طرق النهوض والتقدُّم؛ ومن أجل ذلك فإيجاد **لغة مشتركة واضحة**، يفهمها المتخاطبون، من البدهيات التي يجب ألَّا نغفل عنها»[3].

(1) من أبرز مظاهر هذا التطوُّر المتسارع في الترجمة وضبط المصطلحات، ما يُسمَّى بالترجمة الفورية على الأنترنات؛ ففي سنة 1996م أحصت مجلَّة «العلم والحياة» 750 خدمة للترجمة تنشأ يوميا عبر الأنترنات، منها ما بين 40 و70 من وإلى اللغة الفرنسية. وأسرع برنامج للترجمة الفورية قبل انتشار الأنترنات هو برنامج «نوفا ـ Nova»، والذي يستطيع أن يترجم 20000 كلمة في الساعة، من الإنجليزية إلى اليابانية. ولا نعرف ـ مع كثرة استعمالنا للشبكة من مواقعها العربية ـ خدمة واحدة باللغة العربية، لها قيمتها العلمية والمرجعية.

انظر:

• M. Brassinne, ***Traduction automatique***, Science & Vie, France, № 945, Juin. 1996, p.167.

• Science & Vie, ***Traduction automatique, 20000 mots à l'heure*** , Science & Vie, France, № 866, Novembre 1989, p.124.

(2) وانظر تقريرا عن هذا البحث: الطيان، محمد حسان: **ندوة اللغة العربية، معالم الحاضر وآفاق المستقبل**؛ مجلَّة التراث العربي، اتحاد الكتَّاب العرب، دمشق (عدد 17-72: ربيع الأوَّل 1418هـ/ جويلية 1998م)، ص184، 187.

(3) محمد أحمد خالد: **أهمية تحديد معاني المصطلحات في فهم الخطاب الإسلامي**؛ مجلة التجديد، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا (عدد 3: السنة الثالثة، شوال 1418هـ/فبراير 1998م)، ص174-175.

فحتى تتمكَّن الأمَّة الإسلامية اليوم من أداء دورها الريادي، وتستعيد وسطيَّتها وشهودَها الحضاريَّ، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا ﴾[البقرة: 143]، فإنَّه من الواجب عليها أن تعمل على أن يعيد المسلمون ـ وغيرُ المسلمين بالخصوص ـ النظر في المصطلحات التي تتعلَّق بالإسلام[1]، ولا ريب أنَّ من أوكد هذه المصطلحات ما تعلَّق منها بالزمن في مختلف العلوم والمعارف: الدينية، والفلسفية، والاجتماعية، والنفسية، والحضارية، والفيزيائية، والبيولوجية.. إلخ.

غير أنَّ نظرة أولى للباحث، في مفردات هذه العلوم، توصله، بما يشبه اليقين، إلى أنَّ المفارقة تكمن في الآتي:

- **من جهة**: نحن نتعامل مع لغة حيَّة، قابلة للنموِّ والنماء، وقرآن منزَّل من عند الله، يحتمل مفاتيح العلوم كلِّها.
- **ومن جهة أخرى**: جهودٌ دائبة قادت المسلمين الأوَّل إلى الاستفادة من القرآن ولغة القرآن، ومكَّنتهم من الإبداع في علوم ومعارف مرتبطة بالزمن، مثل: علم المواقيت[2]، وعلم الفلك[3]...
- **ومن جهة ثالثة**: قاموس غربيٌّ متطوِّر جدًّا في مجال الدراسات الزمنية،

(1) انظر: بيجوفيتش، علي عزت: **الإسلام بين الشرق والغرب**؛ تر. عدس محمد يوسف؛ نشر. مجلَّة النور الكويتية، ومؤسسة بافاريا ـ ألمانيا، 1414هـ/1994م؛ تقديم عدس، ص19.

(2) «**علم المواقيت**: علم تتعرَّف منه أزمنة الأيام والليالي وأحوالها، وكيفية التوصل إليها. ومنفعته: معرفة أوقات العبادات، وتوخِّي جهتها (...) وانحراف البلدان بعضا عن بعض، وسموتها» التهانوي، محمد علي الفاروقي (ق. 12هـ/18هـ): **كشَّاف اصطلاحات الفنون**؛ تح. لطفي عبد البديع، ترجمة نصوص الفارسية عبد النعيم محمد حسنين، مراجعة أمين الخولي؛ المؤسسة المصرية العامَّة، القاهرة، 1382هـ/1963م؛ ج1/ص70.

(3) انظر: حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني (ت. 1067هـ/1656م): **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**؛ دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ/1992م؛ ج1/ص657، ج2/ص2053. وانظر عن دور العرب في تطوير هذه العلوم ـ زغريت هونكة: **شمس العرب تسطع على الغرب، أثر الحضارة العربية في أوروبة**؛ تر. من الألمانية: فاروق بيضون وكمال دسوقي، مر. مارون عيسى الخوري؛ المكتب التجاري، بيروت، لبنان، 1964م؛ ص130.

صنعه الإنسان الأوربي والأمريكي بعناية فائقة، فكان نتيجة لازدهاره وسببا فيه، في آن واحد.

- **كلُّ هذا**: يقابله قاموس عربيٌّ ضعيف، لا يستجيب لمتطلَّبات الدراسات الزمنية المعاصرة، بأيِّ وجه من الوجوه.

هذه المفارقة تبدو واضحة، ونحن ننقِّب في المراجع عن مصطلحات مضبوطة، تكون مادَّة لبحثنا هذا، فلا نجد إلَّا القلَّة وعدم الدقَّة، بل والاضطراب والاختلاف، مع تأثُّر ظاهر بالمعجم الغربي الأنجلوفوني أو الفرنكوفوني، حسب لغة المستعمِر[1].

فلولا أنَّ القرآن الكريم، والسنَّة النبوية الشريفة، والمصادر اللغوية والشرعية المتقدِّمة أسعفتنا بمادَّة مضبوطة ودقيقة، إذن لاستعصى التعريف، وشرُد المعنى.

ولعلَّ من أبرز المصطلحات التي ينبغي التعرُّض إليها في هذا الصدد، حسب أهميتها وأولويتها: "**البرمجة الزمنية**" (البرمجة، الزمن)، و"**أصول**" (التأصيل)، و"**الفكر الإسلامي**".

• ثانيا • البرمجة الزمنية (الزمن، البرنامج)

وقع الاختيار على مصطلح **البرمجة الزمنية** أثناء القراءة المسحية، وبعد صياغة إشكالية البحث، لعدَّة اعتبارات، منها:

- أنَّه الأكثر دلالة على مقصدي من هذا البحث.

- كونُه غير مرتبط بعلم معيَّن، مثل: علم النفس، أو علم الاجتماع، أو الإدارة... ارتباطا كليًّا، شأنَ بعض المصطلحات الأخرى الدالَّة على معناه.

(1) أكَّد لي هذا الحكم الدكتور عبد الحميد علي فلاح، الأمين العامُّ لمجمع اللغة العربية بالأردن، في حوار معه حول **إمكانية توحيد المصطلح العربي**، وكان متشائما جدًّا عمَّا وصلت إليه هذه المجامع من اختلاف، وتذبذب. حوار يوم: 29 أفريل 2001، مقرُّ مجمع اللغة العربية، عمَّان، المملكة الأردنية الهاشمية.

- وسبب ذاتيٌّ، يتمثَّل في أنَّ هذا المصطلح أكثر استعمالا من غيره، في القاموس المدرسيِّ الجزائريِّ.

فلمَّا وصلتُ إلى مرحلة تدقيق المصطلح، وتتبُّع البحوث والمراجع، وجدتني أمام سيل من المصطلحات، يقصد بها مستعملوها نفس الدلالة التي أنا بصدد البحث فيها، فاضطررتُ إلى تتبُّع العشرات من القواميس والموسوعات العلمية، بلغات ثلاث هي: العربية، والفرنسية، والإنجليزية. بالإضافة إلى النصوص الأصلية: القرآن، والسنَّة، والمصادر الشرعية... متتبِّعا هذا المصطلح في تركيبه، ونشأته، وتطوُّره.

ومن المناسب أن أتطرَّق أوَّلا إلى تعريف لفظ: **الزمن**، ثم: **البرنامج**، تعريفا معجميًّا، ثم أتعرَّض إلى مصطلح: **البرمجة الزمنية**، باعتباره لقبا مركَّبًا؛ وأحاول أثناء ذلك أن أبيِّن أهمَّ المحطَّات في تاريخ هذا المصطلح، لأخلص في الأخير إلى تعريف شامل، يكون العمدة في كامل هذا البحث.

أ الزمن:

يعرِّف الرازي في «مختار الصحاح»[1]، وابن منظور في «لسان العرب»[2] الزمنَ بأنَّه: «اسم لقليل من الوقت وكثيره. والجمع أزمُن، وأزمان، وأزمنة. والفعل: زمِن، من باب سلِم». وهو مرادف للفظ **الزمان**، بالألف[3].

والغالب في استعمال اللغة أنَّه إذا ورد مقابلا للمكان، قيل: **الزمان** والمكان؛ وإذا أضيف إلى شخص أو حادثة أو غير ذلك، قيل: **زمن** كذا. غير أنَّنا لم نعثر

(1) الرازي، زين الدين محمد بن أبي بكر (ت. 666هـ/1267م): **مختار الصحاح**؛ تح. محمود خياط، وحمزة فتح الله؛ دار البصائر ـ مؤسسة الرسالة، بيروت ـ دمشق، 1407هـ/1987م؛ ص275، مادَّة ز.م.ن.

(2) ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري (ت. 711هـ/1311م): **لسان العرب**؛ دار صادر، بيروت، د.ت.ن.؛ ج13/ص199 مادة (ز.م.ن).

(3) ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت. 321هـ/933م): **كتاب جمهرة اللغة**؛ تح. رمزي منير بعلبكي؛ دار العلم للملايين، بيروت، ط1: 1987م؛ ج2/ص828.

على فرق واضح بين الصيغتين.

و**الزمن والزمان** مرادفان للفظ **الوقت** أيضا، بل إنَّ الواحد منها يعرَّف بالآخر، فابن منظور ـ مثلا ـ يعرِّف **الزمن** بأنَّه «اسم لقليل **الوقت** وكثيره»، ويعرِّف الوقت بأنَّه «مقدار من **الزمان**»[1]. وهذا ما دفع بالجياني إلى اعتبار **الوقت** و**الزمان** من الألفاظ المختلفة، في المعاني المؤتلفة، فيقول: «باب **وقته**: وعصره ودهره وميقاته وحينه وأوانه وإبانه و**زمانه**»[2].

ولقد فكَّرت مليًّا في استبدال مصطلح «**التوقيت**» بـ«**البرمجة الزمنية**»، لكون الإفراد أولى من التركيب إذا لم يُحتج إليه، ولأنَّ مادَّة (و.ق.ت) لها شواهد من القرآن الكريم، بخلاف (ز.م.ن). غير أنِّي عدلتُ عن ذلك لسببين اثنين:

أوَّلهما: أنَّ مادَّة (و.ق.ت) قد استُنزِفت، وكثُر استعمالها في التراث العلميِّ الإسلاميِّ، ومن ذلك: الميقات[3]، والمواقيت[4]... ولقد رسخت هذه المصطلحات في الأذهان، مع استيعابها لشحنة من المعاني، غير المعنى المعروض في هذا البحث.

ثانيهما: كون الأصل في التوقيت هو «الفعلُ» يبيَّن له «وقته»، كما في اللغة: «**التوقيت والتأقيت**: أن يُجعل للشيء وقتٌ يختصُّ به، وهو بيانُ مقدار

(1) **نفس المرجع**؛ ج2/ص108-107.

(2) الجياني، محمد الطيائي أبي عبد الله (ت. 672هـ/1273م): **الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة**؛ تح. محمد حسن عواد؛ درا الجيل ـ دار عمار، بيروت ـ عمَّان، ط1: 1411هـ/1991م؛ ص. 167.

(3) **الميقات**: «الوقت المضروب للفعل، والموضع. يقال هذا ميقات أهل الشام، للموضع الذي يحرمون منه». ابن منظور: **لسان العرب**؛ ج2/ص107.

(4) **علم المواقيت**: من العلوم التي أدرجها حاجي خليفة ضمن علوم الهيئة: **كشف الظنون**؛ ج1/ص15. أما صاحب أبجد العلوم فقال: «ونظر قوم الى ما فيه "القرآن الكريم" من الآيات الدالة على الحكم الباهرة في الليل والنهار والشمس والقمر ومنازله والنجوم والبروج وغير ذلك، فاستخرجوا منه **علم المواقيت**». القنوجي، صديق بن حسن (ت. 1307هـ/1889م): **أبجد العلوم، الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم**؛ تح. عبد الجبار زكار؛ دار الكتب العلمية، بيروت؛ 1978م؛ ج2/ص195.

المُدَّة»[1]؛ وأمَّا في البرمجة الزمنية فالأصل هو «الوقت» يحدَّد له ما يُفعل فيه.

ولم يستعمل القرآن الكريم مادَّة (ز.م.ن) بأيِّ صيغة من صيغها، أمَّا (و.ق.ت) فوردت ثلاث عشرة مرَّة، بصيغ عديدة[2]، منها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾[المرسلات: 11]، ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾[النساء: 103]، ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾[الحجر: 38/ ص: 81].

وبتتبُّعي لهذه الألفاظ في الحديث النبوي الشريف، خلصتُ إلى أنَّ الرسول ﷺ نطق بها جميعا، ففي حديث رواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النبي ﷺ قال: «إنَّ الرجل ليعمل **الزمن** الطويل بعملِ أهل الجنَّة، ثم يُختم له عمله بعمل أهل النار. وإنَّ الرجل ليعمل **الزمن** الطويل بعمل أهل النار، ثم يُختم له عمله بعمل أهل الجنَّة»[3].

وأغلب ما يأتي لفظ **الزمان** ـ بالألف ـ عن رسول الله ﷺ مقرونا بالفتن وبتغيُّر الأحوال بعده، من هذا القبيل حديث رواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب **الزمان**، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج، وهو القتل القتل، حتى يكثر فيكم المال فيفيض»[4].

والراصد للمئات من الأحاديث الشريفة يستنتج أنَّ مادَّة (و.ق.ت) ارتبطت أكثر بالعبادات، وبخاصَّة الصلاة والحج؛ وكنموذج لذلك حديث رواه عبد الله

(1) ابن منظور: **لسان العرب**؛ ج2/ص107.

(2) انظر: باباعمي، محمد بن موسى: **مفهوم الزمن في القرآن الكريم**؛ دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1: 1421هـ/2000م؛ ص46.

(3) **رواه مسلم؛ كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمِّه وكتابه وأجله**؛ ج4/ص2024، رقم 2651؛ بسند: «حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا عبد العزيز، يعني ابن محمد، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة، أنَّ رسول الله ﷺ قال: **إنَّ الرجل ليعمل**...».

(4) **رواه البخاري؛ كتاب الجمعة، باب ما قيل في الزلازل والآيات**؛ ج1/ص350، رقم 989؛ بسند «حدثنا أبو اليمان قال: أخبرنا شعيب قال: أخبرنا أبو الزناد، عن عبد الرحمن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: **لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم**...».

بن عمرو أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إذا صليتم الفجر فإنَّه **وقت** إلى أن يطلع قرن الشمس الأوَّل، ثم إذا صليتم الظهر فإنَّه **وقت** إلى أن يحضر العصر...»[1].

وفي موضوع الحجِّ روى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ ﷺ «**وقَّت** لأهل المدينة ذا الحليفة، ولأهل الشام الجحفة، ولأهل نجد قرن المنازل، ولأهل اليمن يلملم...»[2].

والشعر العربي قديمه وحديثه مليء بأبيات تحمل الكثير من صيغ التعبير عن **الزمن**، وبالذات هذه الألفاظ الثلاثة.

ففي قصيدة لجميل[3]، عنوانها: «فكيف كبرتُ ولم تكبري؟» قال مخاطبا بثينة:

تقول بُثَيْنَةُ لمّا رَأتْ ... فُنُونًا مِنَ الشَّعَرِ الأحْمَرِ
كَبرتَ، جميلُ، وأودى الشبابُ ... فقلتُ: بُثينَ، ألا فاقصُري!

إلى أن يقول:

فَغَيّرَ ذلكَ ما تَعْلَمِينَ، ... تَغَيُّرَ ذا الزّمَنِ المُنْكَرِ
وأنتِ كَلُؤلُؤةِ المَرزُبانِ، ... بماءِ شبابكِ، لم تُعصِري

(1) **رواه مسلم؛ كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب أوقات الصلوات الخمس**؛ ج1/ص426، رقم 612؛ بسند «حدثنا أبو غسان المسمعي، ومحمد بن المثنى، قالا: حدثنا معاذ، وهو ابن هشام، حدثني أبي، عن قتادة، عن أبي أيوب، عن عبد الله بن عمرو، أنَّ نبي الله ﷺ قال: **إذا صلّيتم الفجر**...».

(2) **رواه البخاري؛ كتاب الحج، باب مهل أهل مكة الحج والعمرة**؛ ج2/ص554، رقم 1452؛ بسند «حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا وهيب، حدثنا ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس قال: **إنَّ النبي ﷺ وقَّت**...».

(3) جميل بن عبد الله بن معمر العذري القضاعي (ت. 82هـ/701م): **ديوان جميل بثينة**؛ نسخة موسوعة الشعر (قرص)، 1999م؛ ص59.

والزمان ذكر في قصيدة لحاتم الطائي[1]، جاء فيها:

هلِ الدّهرُ إلّا اليومُ، أوْ أمسِ، أوْ غدُ ... كـذاكَ الـزّمـانُ، بَـينَـنـا، يَـتَـرَدّدُ

يَـرُدُّ عَـلَـيْـنـا لَـيْـلَـةً بَـعـدَ يَـوْمِـهـا ... فلا نَحنُ ما نَبقى، ولا الدّهرُ يَنفدُ

ولجرير[2] قصيدة، وظَّف فيها لفظ **الوقت** مطلعها:

سَـرَت الـهـمـوم فـبِـتـنَ غـيـر نـيـام ... وأخـو الـهـمـوم يـروم كـلَّ مـرامِ

إلى أن يقول:

طرقتْك صائدةُ القلوب وليس ذَا ... وقـتُ الـزيـارة، فـارجـعِـي بسلام

ونقرأ في «خزانة الأدب» نصًّا من إنشاء القاضي شهاب الدين محمود، جاء فيه: «ما أمُّ طفل قذفها **الزمنُ** العنيدُ، في بعض البيد؛ في أرض موحشة المسالك، قليلة السالك؛ قد لمع صوابها، وتوقَّدت هضابها، وصرخ بومها، ونفر ظليمها، وحضر سَمومها، وغاب نسيمها...»[3].

وعن أعرابيٍّ أنَّه سئل: «لم لا تضرب في الأرض؟ فقال: يمنعني من ذلك طفل باركٌ، ولصٌّ سانكٌ؛ ثم إنِّي لست بعد ذلك واثقا بنجح طلبتي، ولا معتقدا

(1) حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائيّ القحطاني، أبو عَدِيّ (ت. 46 ق.هـ/أواخر ق 6م): **ديوان حاتم الطائي**؛ نسخة موسوعة الشعر (قرص)؛ ص34.

(2) جرير بن عطية الكلبي (ت. 110هـ/728م): **ديوان جرير**؛ من قصيدة ابن آكلة النخالة؛ نسخة موسوعة الشعر (قرص)؛ ص452.

(3) الحموي، تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الأزراري (ت. 837هـ/1433م): **خزانة الأدب**؛ تح. عصام شعيتو؛ دار ومكتبة الهلال، بيروت؛ 1987م. ج2/ص386. وتمام النص: «...فلمَّا خافت على ولدها من الظمأ والهلاك، أجلسته إلى جنب كثيب هناك، ثم ذهبت في طلب الماء للغلام لئلا يقضي عليه الأوام، فانتهى بها المسير إلى روضة وغدير وآثار مطي بوارك، تدلُّ على أنَّ الطريق هنالك، فعادت إلى ولدها مسرعة، وكلُّ أعضائها إليه عيون متطلِّعه، فلمَّا شارفت جنب الكثيب، رأت ولدها في فم الذيب...».

قضاء حاجتي، ولا راجيا عطف قرابتي؛ لأنِّي أُقدِم على قوم أطغاهم الشيطان، واستمالهم السلطان، وساعدهم **الزمان**، وأسكرهم حداثة الأسنان»[1]. ويلاحظ كذلك في النصوص الأدبية أنَّ أكثر استعمال صيغة **الزمان** ـ بالألف ـ يأتي في ذكر المصائب، ونوائب الدهر.

وقال بعض بلغاء العرب: «عيادة النَّوكَى[2]: الجلوس فوق القِدر، والمجيء في غير **وقت**»[3].

وإذا اتجهنا إلى القواميس العربية المعاصرة[4]، وجدنا **الوقت، والزمن، والزمان** كلَّها بمعنى واحد، دون تفريق بينها؛ وهذا ما يلاحظ كذلك في المقاطع الشعرية، والنصوص النثرية في مختلف العلوم، وبخاصَّة ما يتعلَّق منها بموضوع بحثنا: **الزمن**.

والظاهر أنَّ المعاجم والموسوعات الفرنسية والإنجليزية تتقارب في تعريفها **للزمن** (Temps)، (Time)، ولا نجد مترادفات حقيقية لهذين اللفظين، فمثلا (Le Maxidico) يعرِّفه بأنَّه «مجال غير ماديٍّ، يعتبر مدَّة غير متناهية، حيث توجد الكائنات والأشياء، وتتعاقب الحوادث في تتال منظَّم، غير قابل للتحوُّل

(1) صفوت، أحمد زكي: **جمهرة خطب العرب**؛ المكتبة العلمية، بيروت؛ د.ت.ن؛ قرص أدب، ج3/ص281.

(2) **النوكى**: قال ابن منظور: «الأنوك الأحمق، وجمعه **النوكى**، والنواكة الحماقة»، **لسان العرب**؛ ج10/ص501.

(3) الجاحظ، أبو عمرو عثمان بن بحر (ت. 255هـ/869م): **البيان والتبيين**؛ تح. المحامي فوزي عطوي؛ دار صعب، بيروت؛ 1968م؛ ج1/ص338.

(4) انظر مثلا: سهيل إدريس وجبور عبد النور: **المنهل، قاموس فرنسي ـ عربي**؛ دار الآداب ـ دار العلم للملايين، بيروت، ط8: 1985م؛ ص1010. وبدوي، أحمد زكي: **معجم مصطلحات العمل، إنجليزي ـ فرنسي ـ عربي**؛ دار الكتاب المصري ـ دار الكتاب اللبناني، مصر ـ لبنان، 1408هـ/1988م؛ ص5. أحمد عطية الله: **القاموس الإسلامي**؛ مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1390هـ/1970م؛ ج3/ص84.

في الاتجاه»[1]. ونفس المعنى تقريبا نقرأه في قاموس (Oxford)[2].

وحتى لا نطنب في التعاريف الاصطلاحية **للزمن**، فإنَّنا سنقتصر على ما ورد في كتاب «التوقيف على مهمَّات التعاريف» من أنَّ «**الزمان** حركة الفلك الأطلس عند الحكماء. وعند المتكلِّمين: **متجدِّد معلوم يقدَّر به متجدِّد آخر موهوم**، كما يقال: آتيك عند طلوع الشمس، فإنَّ طلوعها معلوم، ومجيئه موهوم، فإذا قرِن الموهوم بالمعلوم زال الإبهام. **الزمان** عند أهل الحقيقة: السلطان الزاجر، واعظ الحقِّ في قلب المؤمن، وهو الداعي»[3]

يقول أحد الفلاسفة: «عندما لا تسألني تعريف الزمن أعرفُه، وعندما تطلب منِّي تعريف الزمن أكتشف أنَّني أجهله»[4] وهو بهذا يعبِّر عن سهولة إدراك الزمن، وعن صعوبة تصوُّره وحدِّه، وفي المقابل ثمَّة ما لا نهاية من الطرق التي يمكن أن يعرَّف الزمن بها.

ب البرمجة (البرنامج):

أدرج المطرزيُّ هذا اللفظ في مادَّة (ب.ر.م.ج) فقال: «البارنامج [كذا]: فارسية، وهي اسم النسخة التي فيها مقدار المبعوث، ومنه قال السمسار: إنَّ وزن

(1) ***Le Maxidico, 130000 definition et emploi***, Ed. de la connaissance, France, p.1082.

(2) J.A. Simpson and E.S.C. Weiner, ***The Oxford English Dictionary***, Ed. Clarendon Press • Oxford, 2nd ed, 1989. Vol.18/p.100.
وفي هذا القاموس أحصيت أكثر من مائة (100) مدخل لمادَّة الزمن، من جميع أنواعها اللغوية، والفلسفية، والفزيائية... مع التأريخ للمصطلح ونشأته.

(3) المناوي، محمد عبد الرؤوف (ت. 1031هـ/1621م): **التوقيف على مهمَّات التعاريف**؛ تح. محمد رضوان الداية؛ دار الفكر المعاصر ـ دار الفكر، بيروت ـ دمشق، 1410هـ؛ 389. وانظر: مادة (و.ق.ت.) ص731. وانظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر (ت. 751هـ/1350م): **شرح القصيدة**؛ تح. زهير الشاويش؛ المكتب الإسلامي، بيروت، ط3: 1406هـ؛ ص374.

(4) J. D'Ormesson (de l'académie Française), ***Presque rien sur presque tout***, Gallimard, France, 1996.

الحمولة في **البرنامج** كذا (...) النسخة التي يكتب فيها المحدِّث أسماء رواته وأسانيد كتبه المسموعة تسمَّى كذلك»[1].

ومن أوائل من استعمل هذا المصطلح في الفقه الإسلامي الإمام مالك في المدوَّنة[2]، والشافعيُّ في الأمِّ[3]، غير أنَّه يكاد يختصُّ بالفقه المالكي دون غيره، حيث يصنَّف ـ عادة ـ باب أو فصل، عنوانه: «باب (فصل) في بيع **البرنامج**»[4].

وللكلمة ستة معانٍ هي:

- **المنهج**، ومنه برنامج الدروس.
- **الورقة** الجامعة للحساب.
- **فهرست** المكتبات.
- **النسخة** التي يكتب بها المحدِّث رواته وأسانيد كتبه.
- **الميزانية**[5].

(1) المطرزي، ناصر بن عبد السيد أبو المكارم (ت. 610هـ/1213م): **المغرب**؛ (دار الكتاب العربي، بيروت)، طبعة جامع الفقه، شركة حرف، الإمارات العربية المتحدة؛ 1999م؛ ص39.

(2) مالك بن أنس الأصبحي (ت. 179هـ/795م): **المدوَّنة الكبرى**؛ (الأصلية: دار الكتب العلمية، بيروت)؛ طبعة جامع الفقه، شركة حرف، الإمارات العربية المتحدة؛ 1999م؛ ج3/ص263-257.

(3) الشافعي، محمد بن إدريس (ت. 204هـ/820م): **الأم**؛ (الأصلية دار المعرفة، بيروت)، طبعة جامع الفقه، شركة حرف، الإمارات العربية المتحدة؛ 1999م؛ ج7/ص232.

(4) وانظر مثلا: الخرشي، محمد بن عبد الله (ت. 1101هـ/1689م): **شرح مختصر خليل**؛ (الأصلية: دار الفكر، بيروت)، طبعة جامع الفقه، شركة حرف، الإمارات العربية المتحدة؛ 1999م؛ ج5/ص34، ج8/ص46. والنفراوي، أحمد بن غنيم المالكي المصري (ت. 1125هـ/1712م): **الفواكه الدواني**؛ (الأصلية: دار الفكر، بيروت)، طبعة جامع الفقه، شركة حرف، الإمارات العربية المتحدة؛ 1999م؛ ص107-106.

(5) جبران مسعود: الرائد، **معجم لغوي عصري**؛ دار العلم للملايين، بيروت، ط7: 1992م؛ ج1/ص171.

- **الخطَّة** يختطُّها المرء لعمل يريده[1].

وبتعريف أدقّ، يضعه صاحب «معجم مصطلحات الإدارة» كترجمة لـ: (Program) فيقول: «تعني الكلمة، حسب استعمالها العامِّ، **ترتيبا** محدَّدا سلفا للأعمال أو الأحداث أو التطويرات، المزمع إجراؤها في **نتيجة متوقَّعة معيَّنة**»[2].

والذي يعنينا من التعاريف السابقة في مجال بحثنا، هو المعاني الآتية: **المنهج، والترتيب، والخطَّة، والكتابة، والميزانية**.

ويمكن ـ بناء على المدخل المعجميِّ ـ أن يُجمع بين اللفظين «**الزمن**» و«**البرنامج**» في مصطلح مركَّب هو «**البرمجة الزمنية**»، بحيث يعني بالاعتماد على تعريف جزئيه:

> **ترتيب الأعمال على الأزمان، ترتيبا منهجيّا، وفق خطَّة تنطلق من معطيات معيَّنة، وتتوقَّع نتائج محددة.**

ويستعان في هذه البرمجة **بالكتابة والتدوين**، وبتحديد القيمة المادية للوقت بالنسبة للعمل المبرمَج **(الميزانية)**.

ج البرمجة الزمنية (المصطلح لقبًا مركَّبًا):

لا خلاف أنَّ منشأ هذا المصطلح غربيٌّ، وأنَّه وليد التطوُّرات الهائلة في علم العمل، كنتيجة طبيعية للثورة الصناعية، وللمنحى التنظيميِّ الآلي الذي ميَّز الفكر الغربيَّ في تاريخه المعاصر[3].

(1) المطبعة الكاثوليكية: **المنجد في اللغة والأعلام**؛ دار الشروق، بيروت، ط28: 1986م؛ ص36، مادة (ز.م.ن).

(2) جونهاسن وروبرتسون: **معجم مصطلحات الإدارة، إنجليزي ـ عربي، مع مسرد بالألفاظ العربية**؛ تر. نبيه عطَّاس؛ مكتبة لبنان، بيروت؛ ص118.

(3) وانظر: مقالة المفاهيم المتضادة (المادَّة، الإنسان، الروح) في: بيجوفيتش: **الإسلام بين الشرق والغرب**؛ ص399-397.

فنطالع تحت مادَّة (emploi du temps)، و(timetable) في القواميس والموسوعات الفرنسية والإنجليزية[1]، دلالة هذا المصطلح المركَّب، مستقلًّا عن أجزائه: (emploi)-(temps)، و(time)-(table).

بل إنَّ القاموس الإنجليزيَّ أضاف كلمة أخرى هي: (schedule)، وصاغ منها فعلًا هو: (schedule to).

أمَّا المعاجم والقواميس العربية فلم تفرد بعدُ مدخلًا خاصًّا للبرمجة الزمنية، فإنَّنا نطالع **البرنامج** في مادة (ب.ر.ن)، والزمن تحت مادَّة (ز.م.ن)، ولا نجد أثرا لهذا المصطلح مركَّبا[2].

ويفيدنا القاموس التاريخيُّ للغة الفرنسية أنَّ هذا المصطلح ـ (emploi du temps) ـ دخل كمادَّة مستقلَّة، وأعطيت له الدلالة المعجمية

(1) وكذلك في جملة من اللغات الأوروبية، فقد اتصلت ـ عن طريق المتخصصين ـ ببعض اللغات فوجدت نفس الحكم، أي أنَّ مادَّة البرمجة الزمنية لها مدخل خاص في القواميس باللغات الأوروبية، وانظر مثلا في القاموس الألماني: Zeit plan.

Hachette, ***Hachette langenscheidt, Dic. Français-Allemand, 220000 mots et expression***, Hachette, 1995.

(2) في هذا الصدد تنقَّلت إلى **مجمع اللغة العربية بدمشق**، (شهر مارس 2000م) طالبا تعريفا دقيقا للمصطلح، ومطالبا المجمع أن ينظر في إمكانية إلحاقه بالمعجم العربي، فوجدت الاستقبال الحارَّ من رئيس المجمع **الدكتور شاكر الفحَّام، الذي وافق على أنَّ هذا المصطلح غير مدرج في القاموس العربي، ووعدني بإجابة طلبي**. ثم برجوعي إلى الجزائر لم أتلقَّ الجواب، فراسلت المجمع أكثر من مرَّة... وبعد أزيد من عام بعث إليَّ المجمع مشكورا، رسالة فيها جواب مقتضب عن طلبي، لا يلبِّي الحاجة، وفحواه: أنَّ «البرمجة الزمنية» ليست مصطلحا بمعنى المصطلح، وإنما تفهم حسب السياق، وللباحث الحرية في اختيار أيِّ الصيغ يراها مناسبة لبحثه. غير أنَّه، في رأيي، لم يبحث المجمع الكريم هذا المصطلح بحثا دقيقا، وبقيت المسألة معلَّقة؛ ولذا اتَّجهت إلى مجمع اللغة العربية بالأردن (29 أفريل 2001م)، فالتقيت في جلسة مطوَّلة مع رئيسه **الدكتور عبد الكريم خليفة**، ووعدني ببحث الموضوع مع لجنة المصطلح، فتسلَّم منِّي القسم الخاصَّ الذي أعددته في تحقيق هذا المصطلح، وقرأه فناقشني فيه. وأرجو أن أتلقَّى جوابا كريما من المجمع الكريم.

التي نعرفها اليوم سنة 1870م[1].

ويعرِّفه بالتالي (le Maxidico) بأنَّه: «تنظيم مهامَّ وأعمال لمدَّة معيَّنة»[2]، أمَّا (LME) فيعرِّفه تعريفا قريبا من هذا، فيقول: «**البرمجة الزمنية**: هي توزيع الاهتمامات لمدَّة محدَّدة»[3].

ويتوسَّع القاموس الإنجليزي أكثر في التعريف، فنجد أنَّ (schedule) تعني: «مخطَّط الأحداث أو المواعيد المنتظرة لوقت معيَّن، فيقال مثلا: هل تستطيع أن تدرجني ضمن برنامجك الزمني (schedule) يوم الثلاثاء بعد الظهر؟»[4].

وكلمة (timetable) تحمل نفس المدلول، لكنَّ الفرق بينهما أنَّ الغالب في استعمال لفظ (schedule) هو المخطَّط أو البرنامج الزمني بأوسع معانيه، أمَّا (timetable)[5] فتعني تلك **القائمة** التي تحمل برنامجا زمنيا معيَّنًا، سواء لعمل الإنسان، أو في مجال النقل، أو الدراسة، أو غيرها.

ولقد حاولتُ أن أرصدَ ترجمة المصطلح المركَّب إلى اللغة العربية، من خلال القواميس التي انطلقت من اللغات الأوروبية إلى العربية[6]، سواء العامَّة منها، أو

(1) A. Rey, ***Dic. Historique de la langue Française***, Ed. Le Robert, Paris, Tom.1, p.683.

(2) ***Ibid***, p.409.

(3) Larousse, ***Larousse Multimédia Encyclopédique*** (LME), Ed. Larousse, 1999, CD.Rom.

(4) Houghton Mifflin Company, ***The American Heritage, dictionary of the english language***, Ed. Boston, New york, third ed., 1996, p.1613.

(5) ***Ibid***, p.1877.

(6) الغريب أنَّ جبور عبد النور في «**المنهل**» وهو قاموس فرنسي عربي، ترجم للمادة المستقلَّة «emploi du temps» (ص1010) ولما وضع معجمه المفصَّل، وهو قاموس عربي فرنسي، لم يدرج «البرمجة الزمنية» كمادة مستقلَّة، بل إنَّه في ترجمة كلمة «برنامج» (ج1/ص398) إلى الفرنسية لم يشر إلى أي معنى زمني لهذه الكلمة. انظر ـ جبور عبد النور: **معجم عبد النور المفصَّل، عربي فرنسي**؛ دار العلم للملايين، بيروت، ط3: 1993م.

الخاصَّة بعلم من العلوم، أو في البحوث والدراسات التي وظَّفت هذا المصطلح بأيِّ شكل من الأشكال، فجمعتُ عددا غير يسير من الصيغ، منها:

- تشغيل الوقت[1].
- استعمال الوقت[2].
- استخدام الوقت[3].
- تنظيم الوقت.
- استثمار الوقت[4].
- استغلال الفراغ[5].
- برنامج المواعيد.
- جدول مواعيد[6].
- جدول العمل اليومي.
- جدول الزمن.

(1) بدوي: **معجم مصطلحات العمل**؛ ص358.

(2) سهيل وجبور: **المنهل**؛ ص378. وسهيل إدريس: **المنهل، قاموس فرنسي ـ عربي**؛ دار الآداب، بيروت، ط15: 1995م؛ ص455.

(3) رضا علوي سيد أحمد: **كيف تستثمر أوقاتك، دليلك في تنظيم الوقت واغتنامه واستثماره**؛ دار البيان العربي، بيروت، 1414هـ/1993م؛ كلُّه.

(4) محادين، حسين طه: **استثمار الوقت لدى الشباب الأردني**؛ وزارة الثقافة، عمَّان، 1996م؛ كلُّه.

(5) عبد الإله بن إبراهيم داود: **وقفات مع الوقت وكيفية استغلال الفراغ**؛ سلسلة نصائح مهمَّة لشباب الأمَّة، رقم 5؛ دار الصميعي، الرياض، 1413هـ؛ كلُّه.

(6) البعلبكي، منير: **المورد الوسيط، قاموس إنجليزي ـ عربي**؛ دار العلم للملايين، بيروت، ط7: 1985م؛ ص515، 595. الكرمي، حسن: **المغني الكبير، القاموس الحديث إنجليزي ـ عربي**؛ مكتبة لبنان، بيروت، 1991م؛ ص1056/871.

- جدول زمني[1].
- توزيع الوقت.
- استثمار الزمن[2].
- تنظيم الزمان.
- برمجة الوقت[3].

وفي أغلب الأحيان يستعمل الكتَّاب أكثر من مصطلح واحد في تآليفهم، والغريب أنَّ أحد الدارسين جمع في عنوان كتابه أكبر قدر ممكن من المفردات، فعنونه بـ: «كيف **تستثمر** أوقاتك: دليلك في **تنظيم** الوقت **واغتنامه واستثماره**»[4].

وإذا علمنا أنَّ الواجب في اختيار العناوين تحرِّي الدقَّة والاختصار، وتوظيف أدقِّ الكلمات والعبارات، فإنَّ مثل هذا العنوان يعبِّر عن الاضطراب وعدم الضبط في التعبير عن مصطلح «**البرمجة الزمنية**»؛ لافتقاد اللغة العربية، إلى غاية وقتنا الحالي، إلى المصطلح الموحَّد الدقيق المعبِّر عن تلك الدلالات الزمنية.

الحاصل في ضبط مصطلح «البرمجة الزمنية»

ممَّا تقدَّم تبيَّن أنَّنا اخترنا مصطلح «البرمجة الزمنية» على غيره، ثمَّ عرَّفنا جزئيه: «**الزمن**»، و«**البرنامج**»، ثمَّ جمعنا بينهما في تعريف أوَّلِيٍّ هو: **ترتيب الأعمال على الأزمان، ترتيبا منهجيا، وفق خطَّة تنطلق من معطيات معيَّنة، وتتوقَّع**

(1) زهران، حامد عبد السلام: **قاموس علم النفس، إنجليزي ـ عربي**؛ عالم الكتب، القاهرة، ط2: 1987م؛ 449، 533. وعزَّت، محمد فريد محمود: **قاموس المصطلحات الإعلامية، إنجليزي ـ عربي**؛ دار الشروق، جدَّة، 1404هـ/1984م؛ ص303.

(2) الشامي، حسين بركة: **الزمن في حركة العاملين، دراسة في الدلالات الحركية للزمن**؛ دار الإسلام، لندن، 1993م؛ كلُّه.

(3) غرايبة، لطفي عبد القادر أحمد: **أهمية الوقت وإدارته من المنظورين، الوضعي والإسلامي، دراسة مقارنة**؛ ماجستير في الإدارة وأصول التربية، كلية التربية والفنون، جامعة اليرموك، الأردن؛ إشراف سامح محافظة؛ 1995م. ص17، 33...

(4) رضا علوي: **نفسه**.

نتائج محدَّدة[1].

وبعد ذلك، حاولنا تعريف مصطلح «**البرمجة الزمنية**»، باعتباره لقبا مركَّبا، فتحقَّق لدينا أنَّ منشأه غربيٌّ، وأنَّه لـمَّا يدرَج بعدُ في القاموس العربي المعاصر، ممَّا أدَّى إلى ظهور سيل من المصطلحات، كترجمة لـ(emploi du temps) بالفرنسية، و(timetable)، (schedule) بالإنجليزية. وغالبا ما يوظِّف الكتَّاب أكثر من صيغة.

وقد عرَّفَته القواميس الفرنسية والإنجليزية تعريفا متقاربا، بأنَّه: «ترتيب (تنظيم، توزيع، تخطيط) مهامَّ (أعمال، اهتمامات، مواعيد) لمدَّة معيَّنة (محدَّدة)».

وإذا ساغ لنا أن نضع تعريفا، نعتمده في كامل البحث، ونقترحه على المعاجم والقواميس العربية، فإنَّه سيكون:

> **البرمجة الزمنية هي:**
>
> **توزيع الأعمال على الأزمان، توزيعا منهجيا**

فبكلمة **توزيع**: يخرج كلُّ ما كان عشوائيا، وعن غير قصد[2]، ويخرج ما كان مفروضا قهرا، وما كان صاحبه غير مدرك ولا واعٍ لما يفعل.

الأعمال: بأوسع معانيها، فيدخل فيها كلُّ عمل إنسانيٍّ، مثل: العبادة، والاشتغال بالعلم، والعمل الوظيفيِّ، والنوم، والمعاش، والترويح... إلخ.

على الأزمان: ليكون الأصل هو الزمن، والعمل فرع. فنضع الزمن أوَّلا، ثمَّ نشغله بالعمل، وليس العكس، أي أن نحدِّد عملا معيَّنا ثم نبحث في أزمانه.

(1) انظر أعلاه: ص24.

(2) مادة (و.ز.ع) في القاموس القرآني تدلُّ على النظام، وعلى الضبط. وانظر ـ القرطبي: **الجامع**؛ ج13/ص167، 238. الرازي: **مختار الصحاح**؛ ص719. ابن منظور: **لسان العرب**؛ ج8/ص390.

توزيعا: مفعول مطلق، يفيد التأكيد[1] على هذه الصفة الضرورية، لأنَّ الأعمال التي تكون في أزمان معيَّنة دون قصد ولا توزيع، لا تدخل ضمن البرمجة الزمنية.

منهجيا: أي منظَّما، ومخطَّطا، وكذا كلُّ ما انطلق من معطيات معيَّنة، ليصل إلى أهداف محدَّدة واضحة.

والآن، وبعد أن تمَّ تعريف المصطلح الأساس في البحث: **البرمجة الزمنية**، فماذا يعني مصطلح: **أصول**.

• ثالثا • أصول (التأصيل):

الأصل في اللغة: «أسفل كلِّ شيء»[2]، يجمع على «أصول»[3]، ومن دلالاته[4]:

- ما منه الشيء، أي مادَّته.
- ما استند الشيء في تحقيقه إليه.
- ما يبنى عليه غيره[5].
- المحتاج إليه.
- كلُّ ما أثمر معرفة شيء، ونبَّه عليه.

(1) وانظر: الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (ت. 471هـ/1078م): **دلائل الإعجاز**؛ تح. د. محمد التنجي؛ دار الكتاب العربي، بيروت؛ 1995م؛ ج1/ص15.

(2) ابن منظور: **لسان العرب**؛ ج11/ص6.

(3) **نفسه**. وانظر ـ الرازي: **مختار الصحاح**؛ ص18.

(4) الزركشي، بدر الدين بن محمد بهادر (ت. 794هـ/1391م): **البحر المحيط**؛ (الأصلية: دار الكتبي)، طبعة جامع الفقه، شركة حرف، الإمارات العربية المتحدة؛ 1999م؛ ج1/ص26-24. ذكر هذه المعاني، وردَّها إلى أصحابها.

(5) وانظر: زكرياء الأنصاري، أبو يحيى (ت. 926هـ/1519م): **الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة**؛ تح. مازن المبارك؛ دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1: 1411هـ؛ ص66.

- ما تفرَّع عليه غيره.

وزاد المناوي: «وأصل كلِّ شيء قاعدته، التي لو تُوهِّمت مرتفعة ارتفع بارتفاعها سائره»[1].

أمَّا في الاصطلاح الشرعيِّ، فقد عرِّف بتعاريف عديدة، سواء أكان مضافا إلى الدين، أي **أصول الدين**، أم أضيف إلى الفقه، أي **أصول الفقه**. يقول التفتازاني: «الأصل ما يبتنى عليه غيره، فالابتناء شامل للابتناء الحسِّي، وهو ظاهر، والابتناء العقلي، وهو ترتيب الحكم على دليله»[2].

ويجمع الفتوحي أربعة معان للأصل في الاصطلاح، نذكر منها المعنى الأوَّل، لأنَّه الأكثر قربا إلى مقصدنا في هذا البحث، فيقول: «الدليل غالبا، أي في الغالب، كقولهم أصل هذه المسألة الكتاب والسنَّة، أي دليلها. وهذا الإطلاق هو المراد هنا، أي في علم الأصول»[3].

فبداية نقصد من **أصول** البرمجة الزمنية: **الأدلَّةَ، والقواعدَ، والأسسَ التي تُبنى عليها البرمجة الزمنية**، سواء منها الأدلَّة الشرعية من قرآن وسنَّة، أو ما اندرج تحتها؛ أو القواعد العقلية والأسس العامَّة المستنبطة من روح الدين الإسلاميِّ، والتي هي بمثابة المرتكز المنهجيِّ للبرمجة الزمنية.

ولكنَّ هذا التعريف لا يكفي لوحده، بل إنَّ غرضنا من توظيف مصطلح **أصول** هو: **الإسهام في حركة التأصيل الإسلاميِّ للعلوم بعامَّة، والعلوم الاجتماعية بخاصَّة**. ولقد برزت في هذا الإطار جهود **المعهد العالمي للفكر الإسلاميِّ**،

(1) **التعاريف**؛ ص69.

(2) التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر (ت. 792هـ/1390م): **التلويح على التوضيح**؛ (الأصلية: مكتبة صبيح، مصر) طبعة جامع الفقه، شركة حرف، الإمارات العربية المتحدة؛ 1999م؛ ج1/ص13.

(3) الفتوحي، تقي الدين أبو البقاء (ت. 972هـ/1564م): **شرح الكوكب المنير**؛ (الأصلية: مطبعة السنَّة المحمَّدية)، طبعة جامع الفقه، شركة حرف، الإمارات العربية المتحدة؛ 1999م؛ ص10-11.

فنشرت سلسلة من الدراسات القيِّمة، والبحوث المركَّزة، متبنِّية من خلالها فكرة **أسلمة العلوم**، و**توجيه العلوم**، و**تأصيل العلوم**[1].

وثمَّة موقفان بارزان في **منهجية التأصيل**:

- **الأوَّل**: يرى ضرورة التركيز على المصادر الشرعيَّة، بشكل جوهريٍّ.

- **والثاني**: يرى ضرورة التركيز على العلوم الاجتماعيَّة، بشكل أساسيٍّ[2].

ونظرًا إلى تخصُّصي، وإلى نوعية البحث الذي أقدِّمه، فإنَّني من حيث المفهوم والمنهج أتبنَّى الموقف الأوَّل، وبالتالي أنطلق من التعريف الذي صاغه أصحاب هذا الاتجاه، **فالتأصيل** هو: «إبراز الأسس الإسلاميَّة التي تقوم عليها هذه العلوم، من خلال جمعها أو استنباطها من مصادر الشريعة، وقواعدها الكليَّة، وضوابطها العامَّة، ودراسة موضوعات هذه العلوم على ضوئها، مع الاستفادة ممَّا توصَّل إليه العلماء المسلمون وغيرهم، ممَّا لا يتعارض مع الأسس»[3].

ومن المفيد أن أعرض الخطوات **الإجرائية** لهذه العملية، أي عملية **التأصيل**، حتى أسير وفقها في هذا البحث؛ وأحيل في هذا الشأن إلى وثيقة غير منشورة، قدَّمها الدكتور مقداد يالجن (سنة 1993م)، بعنوان: «**أهمُّ معالم التوجيه الإسلاميِّ للعلوم**»، واعتمدها الدكتور إبراهيم عبد الرحمن رجب، ضمن أعمال المعهد

(1) انظر: طه جابر العلواني: **إصلاح الفكر الإسلامي**؛ سلسلة محاضرات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1-3، أمريكا؛ نشر دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، د.ت. وصلاح إسماعيل: **دراسة العلوم من منظور إسلامي ـ ضمن كتاب قضايا إشكالية في الفكر الإسلامي**؛ سلسلة قضايا الفكر الإسلامي، رقم 16؛ المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، 1986-1987م؛ ص47-79.

(2) رجب، إبراهيم: **منهج التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية ـ ضمن كتاب التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية، المنهج والمجالات**؛ سلسلة إسلامية المعرفة، رقم 23؛ المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، 1418هـ/1997م؛ ص32.

(3) إبراهيم رجب: **منهج التوجيه الإسلامي**؛ ص33.

العالميِّ، ومن جملة ما جاء فيها أنَّ القواعد والخطوات هي[1]:

- **الخطوة الأولى**: ضرورة وقوف الباحث على **الدراسات التخصصية، والدراسات الإسلامية** معا.
- **الخطوة الثانية**: البدء **بالآيات القرآنية**، في التأصيل.
- **الخطوة الثالثة**: الاستدلال **بالأحاديث**، وذلك بعد إثبات نصوصها، وبعد التأكُّد من درجتها، ومعرفة مواطن الاستشهاد بها.
- **الخطوة الرابعة**: ضرورة استخدام الآيات والأحاديث في **كلِّ موضوع**، إن أمكن.
- **الخطوة الخامسة**: استخدام **قواعد فهم النصوص**، كما عالجها الأصوليون.
- **الخطوة السادسة**: إن لم يوجد دليل من القرآن أو السنَّة، تُرجع إلى **مصادر المعرفة الإسلامية الأخرى**.
- **الخطوة السابعة**: إن لم يجد الباحث دليلا ممَّا سبق، لجأ إلى **قواعد الاستنباط الأصولية**.
- **الخطوة الثامنة**: أن يكون استخلاص الأفكار والأحكام والقيم في ضوء أحد **الأصول العامَّة**، أو كلِّها إن أمكن ذلك، وتلك الأصول هي: الأصول الاعتقاديَّة، والتعبديَّة، والتشريعيَّة، والأخلاقيَّة، والاقتصاديَّة، والفكريَّة...

وإنَّ التأصيل في مجمله يعني «الانطلاق من المصدر المعرفيِّ الموحى من عند الله سبحانه (القرآن والسنَّة الصحيحة)، كمعيار للتقويم، على أساس أنَّ هذا المصدر مستقلٌّ عن العقل البشريِّ، غير خاضع للمكان أو الزمان، أو الظروف

(1) نفس المرجع؛ ص33-34. (بتصرُّف). وقد عرض الدكتور أبو سليمان جلَّ هذه الخطوات في سبع نقاط، تحت عنوان: «الخطوات العلمية في الاجتهاد»، وانظر ـ عبد الوهاب إبراهيم، أبو سليمان: **منهج البحث في الفقه الإسلامي، خصائصه ونقائصه**؛ المكتبة المكية ـ دار ابن حزم، السعودية ـ لبنان؛ ط1: 1416هـ/1996م؛ ص25-30.

الاجتماعية، ويخاطب البشر كافَّة»[1].

الحاصل في ضبط مصطلح «أصول»

من خلال ما تقدَّم تبيَّن أنَّني أعني بالتأصيل في هذا البحث:

- **أوَّلا: البحث عن الأدلة من المصادر الشرعية، في مجال البرمجة الزمنية.**
- **ثانيًا: محاولة صياغة قواعد، مستنبطة من الأصول العامَّة للفكر الإسلامي، تكون مرتكزا للبرمجة الزمنية.**

وسأسعى في هذه العملية إلى التزام الخطوات الإجرائية السابقة، في كامل البحث، وهذا لا يعني بالضرورة استيعابها جميعا، ولا الاستغناء عن غيرها من الخطوات التي قد تفرض نفسها أثناء البحث، وإنَّ منها ما يبرز في فصل خاصٍّ، ومنها ما يعتبر منهجا متَّبعا لا موضوعا يدرس.

وأهمُّ الخطوات الإجرائية لبحثي هذا يمكن تلخيصها في:

(أ) • **تحديد المنهج:**

- الوقوف على **العلوم والدراسات التخصُّصية**، ممَّا له علاقة بالبرمجة الزمنية.
- عرض **المراجع الإسلامية** السابقة في هذا المجال.

(ب) • **التأصيل:**

- دراسة البرمجة الزمينة في **القرآن الكريم**.
- وفي **السنَّة** النبوية الشريفة، وفي **السيرة النبوية** بالتبع.
- الاستعانة **بعلوم** مثل: العقيدة، وأصول الفقه، والفقه... كلٌّ في مجاله.

(1) عارف، نصر محمد: **نظريات التنمية السياسية المعاصرة، دراسة نقدية مقارنة في ضوء المنظور الحضاري الإسلاميِّ**؛ سلسلة الرسائل الجامعية، رقم 06؛ المعهد العالمي للفكر الإسلامي؛ نشر دار القارئ العربي، القاهرة، 1993م؛ ص47-48.

- الاستفادة من التراث والحضارة الإسلامية، فيما يمتُّ إلى البرمجة الزمنية بصلة.

وهنا أصل إلى التعريف بمصطلح «الفكر الإسلامي»، استكمالا لمفردات العنوان وأجزائه.

• رابعا • الفكر الإسلامي:

ينطلق الدكتور عبد الرزاق قسوم في بحثه «مدارس الفكر العربي الإسلامي المعاصر»، من ملاحظة هي: أنَّ الفكر الإسلاميَّ العربيَّ يعاني من أزمة في المنهج، وفي المفهوم، والمحتوى، وإنَّ «من أبجديات أزمة المنهج في الفكر الإسلاميِّ اهتزاز الأدوات المستخدمة، وهشاشة القوالب المستعارة، ويعكس هذا طغيان الضبابية في المفاهيم السائدة، **وعدم الدقَّة في المصطلحات** المتداولة (...) ولسنا ندري إن كان المحتوى المتضمِّن إنتاجنا الإسلاميَّ يصحُّ أن يعكس مدلولَه مصطلحُ **فكر عربيٍّ**، أم **فكر إسلاميٍّ**، أم هما معا، **فكر عربيٍّ إسلاميٍّ**»[1].

هذا من جهة، ومن جهة ثانية يؤسِّس «إدوارد هول» دراسته المعنونة بـ«ما وراء الثقافة» على ملاحظة من نوع آخر، تقضي بأنَّ: **الفكر** في ضوء الثقافة الغربية يقتصر على جانب واحد ـ ضعيف ـ من الحقيقة، هذا الجانب الموروث من عهد «سقراط» هو: **المنطق**، الذي يرادف في ذهنية الإنسان الغربيِّ الحقيقةَ، فكلُّ ما هو منطقيٌّ هو بالضرورة صواب وحقيقة[2].

وسوف لن نتعرَّض إلى مختلف «المفاهيم»، و«القوالب»، و«المنطلقات» التي تدخل في تعريف **الفكر**[3]؛ ولن نتعرَّض «للمقولبات» التي تعيق تعريف

(1) قسوم، عبد الرزاق: **مدارس الفكر العربي الإسلامي المعاصر، تأمُّلات في المنطلق والمصبِّ**؛ دار عالم الكتب، الرياض، ط1: 1418هـ/1997م؛ ص16.

(2) E. T. HALL, ***Au-delà de la culture***, Essais 191 , Ed. du Seuil, 1979, p.15-30.

(3) العقاد، عباس محمود: **التفكير فريضة إسلامية**؛ مكتبة رحاب، الجزائر؛ ج.ت.ن. كلَّه.

هذا المصطلح من وجهته الإسلامية؛ بل سيقتصر هذا البحث على دائرة واحدة يختارها، دون أن يغفل وضع نقطة الارتكاز على النصوص الأصلية من قرآن وسنَّة، تمامًا كمن يريد رسم دائرة بالفرجار، فيضع الإبرة على المرتكز، ثم يوسِّع أو يضيِّق كيف يشاء.

أ الفكر:

في **القرآن الكريم** تلازمٌ بين آيات الله المسطورة وآياته المنظورة، وبين التفكُّر والتعقُّل، وفي هذا السياق نقرأ الفعل المضارع بصيغة الجمع: **يتفكَّرون، أو تتفكَّرون**، سبع عشرة مرَّة، وفي أغلبها شغل فاصلة الآية. وضمن هذا العدد آيتان يظهر فيهما الترابط بين **الزمن** كمسرح للحياة، **والتفكُّرِ** كعملية للعقل والقلب على السواء.

يقول تعالى في سورة الرعد:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3].

وفي سورة الزمر:

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[42].

وبصيغة «يعقلون» نقرأ قوله تعالى:

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[النحل: 12].

وفي السنَّة النبوية الشريفة، حديث مرويٌّ عن جابر بن زيد قال: حدَّثنا رجل من أئمَّة أهل الكوفة أنَّ النبيَّ ﷺ خرج على قوم وهم يتذاكرون، فلمَّا رأوا النبي ﷺ سكتوا، فقال: «ما كنتم تقولون؟»، قالوا: «كنَّا نتذاكر في الشمس، وفي مجراها»، قال: «كذلكم فافعلوا، **تفكَّروا** في الخلق، ولا **تتفكَّروا** في الخالق» قال الربيع:

وزاد الحسن: «إنَّ الله لا تناله **الفكرة**»[1].

وعن عائشة أنَّ رسول الله ﷺ سئل: «لم تبكي وقد غفر الله لك ما تقدَّم وما تأخَّر؟». قال: «أفلا أكون عبدا شكورا، لقد نزلت عليَّ الليلة آية، ويل لمن قرأها ولم يتفكَّر فيها، ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ...﴾[2]»[3].

والتفكُّر في القرآن وفي الحديث إعمال العقل، والتأمُّل في آيات الله تعالى، وفي صيغة الجمع إشارة إلى أنَّه عملية مشتركة وجماعية[4].

أمَّا في **اللغة، فالفكر** هو: «إعمال الخاطر في الشيء»[5]، والتفكُّر «التأمُّل»[6].

(1) **رواه الربيع؛ باب النهي عن الفكرة في الله عزَّ وجلَّ**؛ رقم 827؛ الربيع بن حبيب (ت. 170هـ/786م): **الجامع الصحيح**؛ تح. إبراهيم اطفيش أبو إسحاق؛ المطبعة العربية، غرداية، 1985م.
وروي في: الأصبهاني، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان (ت. 369هـ/979م): **العظمة**؛ تح. رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري؛ دار العاصمة، الرياض؛ 1408هـ؛ ج1/ص216، رقم 5. بسند: «حدثنا محمد بن ابي يعلى انا اسحاق بن ابراهيم انا سعد بن الصلت انا الأعمش عن عمرو بن مرة عن رجل حدثه عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال:...».

(2) سورة آل عمران: الآيات 190-194.

(3) روي في: ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي (ت. 354هـ/965م): **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**؛ مر. شعيب الأرنؤوط؛ مؤسسة الرسالة، بيروت؛ 1414هـ/1993م؛ ج2/ص386، رقم 620. بسند: «أخبرنا عمران بن موسى بن مجاشع حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا يحيى بن زكريا عن إبراهيم بن سويد النخعي حدثنا عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء قال ثم دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة فقالت...».

(4) وردت مادَّة «فكر» بصيغة الإفراد في القرآن الكريم مرَّة واحدة، فعبَّرت عن الزلل والظلم، وكأنَّ التفكير من شأنه أن يكون جماعيا.. والآيات قوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ... إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾[المدثر: الآية 11 وما بعدها]. نزلت في الوليد بن مغيرة المخزومي، ومن في مثل كفره وجحوده، ذلك أنَّه «فكَّر في شأن الرسول ﷺ والقرآن» قصد الإذاية، فسُقِط في يده، ولم تنله هداية الله.
وانظر في بيان سبب نزول الآيات ـ الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد (ت. 468هـ/1075م): **الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز**؛ تح. صفوان عدنان داوودي؛ دار القلم ـ الدار الشامية، دمشق ـ بيروت؛ ط1: 1415هـ؛ ج2/ص1149.

(5) ابن منظور: **لسان العرب**؛ ج5/ص65.

(6) الرازي: **مختار الصحاح**؛ ص213.

وفي **الاصطلاح** يعرَّف **الفكر** بأنَّه «ترتيب أمور معلومة لتؤدِّي إلى مجهول»[1].

وفي موضوع الآيتين: المعلوم هي آيات الله تعالى المنظورة: من رواسيَ، وأنهار، وثمرات، وليل ونهار، وغشيان الواحد منهما في الآخر، ونوم، وموت... وفي الحديثين، المعلوم هو: الشمس ومجراها، والسموات، والأرض، والليل، والنهار... أمَّا المجهول فهي الأمور الغيبية التي جاءت بها رسالة محمَّد ﷺ، والتي يُؤمر الإنسان بتصديقها والإيمان بها.

و**الفكر** كذلك «مقلوب عن الفرك، لكن يستعمل **الفكر** في المعاني، وهي فرك الأمور وبحثها طلبا للوصول إلى حقيقتها»[2]، والفرك يستعمل في الأشياء المحسوسة.

وعملية **الفكر** تستوجب أمورا منها:

- **المتفكَّر فيه**: المادَّة والموضوع، وهي الأمور المعلومة.
- **المتفكَّر لأجله**: الهدف والغاية.
- **نتيجة التفكُّر**: المتأدَّى المجهول.
- **منهجية التفكُّر**: الخطوات المتَّبعة.
- **الآلة المفكِّرة**: العقل.
- **لغة التفكُّر**: لا يتصوَّر تفكير بلا لغة ولو بدائية، ومن هنا فالإنسان حيوان ناطق، أي مفكِّر.
- **زمن التفكُّر**: المدَّة الضرورية لإتمام عملية التفكير.

وفي بحثنا هذا، سيكون **المتفَّكر فيه** هو القرآن والسنَّة أساسا، ثم التراث الإسلاميُّ، وكذا العلوم المرتبطة بالبرمجة الزمنية. أمَّا **المتفكَّر لأجله** فإدراك

(1) المناوي: **التعاريف**؛ ص563. الجرجاني، علي بن محمد (ت. 816هـ/1413م): **التعريفات**؛ تح. إبراهيم الأبياري؛ دار الكتاب العربي، بيروت، ط1: 1405هـ؛ ص217.

(2) المناوي: **نفسه**؛ ص563.

الحقِّ، وترسيخ الإيمان، وتصحيح المفاهيم، وتحسين أداء المسلم المعاصر.

و**نتيجة التفكُّر**، لا تزال مجهولة، ونأمل أن تكون إجابات على الإشكالات التي طرحت، وأن يوفِّقنا الله إلى أحسن نتيجة.

أمَّا **المنهجية**، فتتمثَّل في المسار العقليِّ السليم، وفي الخطوات الإجرائية التي فصلناها من قبل.

وسنحاول أن نستعمل ـ بالطبع ـ العقلَ **كآلة** للفهم والإدراك، سواء أكان عقلنا، أو عقل من عنيَ بهذا الموضوع من قبل، في أيِّ صورة وأيِّ زمن كان.

و**اللغة**، هي العربية، دون الاستغناء عن غيرها من اللغات التي نتعامل معها.

و**زمن التفكُّر** هو زمن إعداد هذا البحث، كمرحلة عملية ضرورية، ثم يتواصل مع التعمُّق أكثر إلى ما شاء الله.

والآيتان اللتان تمَّ الاستدلال بهما، تبرِّران اختيار مصطلح **الفكر** عوض الحضارة، أو الثقافة، أو لفظ «الإسلام» مجرَّدا من كلمة فكر؛ ذلك أنَّ الله تعالى لـمَّا عرض آياته الكونية، ومن جملتها الليل والنهار، وكيف أنَّه يغشي الواحد منهما في الآخر، وكذا ما يقع فيهما من حياة ووفاة، وحركة وسكون، ويقظة ونوم... قال سبحانه بعدها: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، ولم يقل: لقوم متحضِّرين أو مثقَّفين، إذ إنَّه لا يكفي الإنسانَ أن يكون **مثقَّفا** أو **متحضِّرا** حتى يدرك المغزى من هذه الآيات، وقد يكون ذلك كافيا له لمعرفة الشكل والصورة والتفاصيل...

ولإدراك المغزى، يجب أن يكون الناظر في الآيات من المتفكِّرين، ذلك أنَّ الله تعالى «جعل العقول معادن الحكمة، ومقتبس الآراء، ومستنبط الفهم، ومعقل العلم، ونور الأبصار؛ إليها يأوي كلُّ محصول، **وبها يُستدلُّ على ما أخبر به من علم الغيوب**؛ فبها يقدِّرون الأعمال قبل كونها، ويعرفون عواقبها قبل وجودها؛ وعنها تصدر الجوارح بالفعال بأمرها، فتسارع إلى طاعتها، أو تزجرها فتمسك

عن مكروهها»[1].

ب الإسلامي:

يوصف الفكر بأنَّه إسلاميٌّ، إذا كان منسجما ـ أو ساعيا إلى الانسجام ـ مع ما خلق الله تعالى، في انقياده لأمره، وانتهائه عمَّا نهى عنه، ففي الآي الحكيم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾[النساء: 125]، وأسلم وجهه لله أي «أخلص دينه لله، وخضع له، وتوجَّه إليه بالعبادة»[2]، والذي يفعل هذا يكون قد سلَّم «نفسه، كما يسلِّم المتاع إلى الرجل»[3].

ورُبط الإسلام بإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لأنَّه هو الذي ارتضى هذا اللقب لأتباعه من بعده[4]، وسمَّاهم به: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾[الحج: 78].

ورغم أنَّ الإسلام عقيدةٌ وشريعةٌ، فكرٌ وفقهٌ، إلَّا أنَّه «لم يأخذ اسمه من قوانينه، ولا نظامه، ولا محرَّماته، ولا من جهود النفس والبدن التي يطالب الإنسان بها، وإنَّما من شيء يشمل هذا كلَّه، ويسمو عليه: من لحظة فارِقةٍ تنقدح فيها شرارة وعي باطنيٍّ.. من قوَّة النفس في مواجهة محن **الزمان**.. من التهيُّؤ لاحتمال كلِّ ما يأتي به الوجود.. من حقيقة التسليم لله، إنَّه استسلام لله، والاسم **إسلام**»[5].

ونعرِّف الفكر الإسلاميَّ بأنَّه، تلك:

> **المحاولات العقلية لفهم الإسلام وشرحه من مصادره الأصلية.**

(1) الحارث المحاسبي، ابن أسد أبو عبد الله (ت. 243هـ/857م): **فهم القرآن ومعانيه**؛ تح. حسين القوتلي؛ دار الكندي ـ دار الفكر، بيروت، ط2: 1398هـ؛ ص266. وكأنَّ المحاسبي في هذا النصِّ يحلِّل روح البرمجة الزمنية، وإنَّما الذي ينقص هو المصطلح فقط.

(2) القرطبي: **الجامع**؛ ج5/ص399.

(3) **نفس المرجع**؛ ج14/ص75.

(4) ابن كثير: **التفسير**؛ ج3/ص237.

(5) بيجوفيتش: **الإسلام بين الشرق والغرب**؛ ص396.

ويمكن تقييد هذا التعريف تقييدا يفيد إضافات في المنهج والوجهة، فيعرَّف الفكر بالتالي أنَّه، تلك:

> **المحاولات العقلية لفهم الإسلام وشرحه من مصادره الأصلية سعيا للانسجام مع ما خلق الله، في التسليم والاستسلام التامِّ لله.**

ولا نستثني الجانب العمليَّ، فنعتبر من تبعات الفكر: المحاولات السلوكية، لتطبيق ما توصَّل إليه العقل في بحثه الجادِّ عن الحقيقة، وفق منهج واضح.

وبهذا فإنَّ الإسلام «تسمية لمنهج، أكثر من كونه حلًّا جاهزا»[1]، وضبط لخطوط عامَّة، واضحة المعالِم، محدَّدة المبدأ والمنتهى، لا مجرَّد تفاصيل غير متناهية من الأقوال والأعمال؛ وهذا سرُّ وصفه بأنَّه: صالح لكلِّ زمان ومكان.

وإذا ساغ لنا أن نرسم شكلًا نقرِّب به فهمنا وتصوُّرنا لمصطلح: **الفكر الإسلاميِّ**[2] في هذا البحث، فلن نجد أحسن من دائرةٍ، لا يعنينا حجمها ولا لونها، لأنَّ ذلك لا يغيِّر من الجوهر شيئًا؛ وإنَّما تسمَّى الدائرة دائرة إذا كان لها **مركز** هو العقيدة ـ في مثالنا ـ، **ومحور** هو الشريعة والفقه، **وشكل دائريٌّ** واضح هو المنهج.

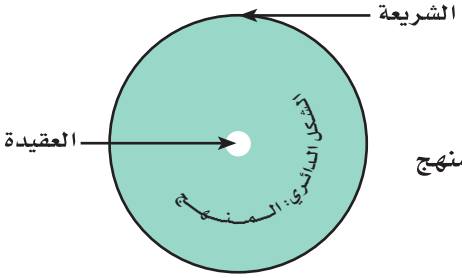

الفكر الإسلامي: العقيدة، والشريعة، والمنهج

(1) **نفس المرجع**؛ ص33. ويذكر في الهامش أنَّ «تعريف الإسلام كمبدأ له أهمية جوهرية لتطوره المستقبلي، ولقد قيل إنَّ الإسلام وكذا العالم الإسلامي قد صوِّرا في العالَم الخارجيِّ تصويرا مقولَبا stereotyped ثم أُغلِق عليه». وانظر في هذا المعنى ـ الجندي، أنور: **الثقافة العربية، إسلامية أصولها وانتمائها**؛ سلسلة الموسوعة الإسلامية العربية، رقم 9؛ دار الكتاب اللبناني ـ مكتبة المدرسة، بيروت، 1982م؛ ص355.

(2) وانظر للتوسع في تعريف الفكر ـ البهي، محمد: **الفكر الإسلامي في تطوُّره**؛ دار الفكر، بيروت، 1971م؛ ص7.

وبتعريف مصطلح الفكر الإسلامي نكون قد أتممنا مهمة تحديد المصطلحات الأساسية للبحث، غني عن البيان أنَّ تحديد المصطلح هو من أهم أسس البحث العلمي الدقيق.

المبحث الثاني المنهج من خلال العلوم الزمنية:

الزمن سرٌّ عجيب من أسرار الخلق، فهو ملازم للمخلوقات جميعِها، دالٌّ على وجودها، يُبليها ولا تُبليه، يهيمن عليها ولا تعيه؛ هو أكثر الأشياء وفرة في الوجود، وهو أندر شيء حين الشهود؛ إنَّه معروف لدى كلِّ إنسان، ولكن لا أحد يملك تعريفَه، بله لمسَه، أو رؤيتَه، أو سماعَه، أو صناعتَه، أو تخزينَه، أو شراءَه، أو بيعَه...

وإنَّه لكذلك في مجال المعرفة، فلا يخلو منه علم من العلوم، ولا يعدمه فنٌّ من الفنون، ولكن ليس ثمَّة علم يصدق عليه اسم: علم الزمن[1]، إذ العلم معناه «الاعتقاد الجازم، الثابت، المطابق للواقع (...) هو صفة توجِد تميُّزًا لا يحتمل النقيض»[2]، وهو كذلك «حصول صورة الشيء في العقل»[3].

ولم يدَّع أحد من العلماء ـ ولن يدَّعي ـ أنَّه حصل على اعتقاد عن الزمن جازمٍ، ثابتٍ، مطابقٍ للواقع، ولا أنَّه استطاع أن يدرك شيئًا يسمَّى: نقيض الزمن. وبالتالي فإنَّ حصول صورة الزمن في عقل أيِّ إنسان ممَّا ينتفي عقلًا، وإنَّما الذي يمكن أن يرتسم في العقل هو وجود الزمن، وكيفيةُ استغلاله، وقيمتُه... لا الزمن نفسه.

وبما أنَّني أبحث في مجال البرمجة الزمنية، فإنَّني قد حاولتُ جهدي أن أجد علما يسمَّى بعلم البرمجة الزمنية، فلم أهتد. وبانتفاء علم الزمن ـ كما بيَّنَّا ـ لم يتمكَّن البحث من تصنيف مادَّته كلِّها، تحت خانة واضحة الموضوع، بيِّنة المنهج.

(1) ويمكن تجاوزا أن نقول: العلوم الزمنية، وهي العلوم التي اتخذت الزمن منطلقا لها في دراسة مادَّتها.

(2) المناوي: **التعاريف**؛ ص523، 524.

(3) **نفسه**.

وحتى يمكن الوفاء بالخطوة الأولى من خطوات التأصيل[1] للبرمجة الزمنية، فإنَّه يغدو لزامًا عليَّ أن أقف على «**الدراسات التخصُّصية الزمنية**» إضافة إلى «**الدراسات الإسلامية**».

فبعد بحث في مختلف المكتبات، وتصفُّح للعديد من البحوث والدراسات التي لها مدخل زمنيٌّ، قيَّدتُ جملة من العلوم، ممَّا له صلة وثيقة بالبرمجة الزمنية كما عرَّفتُها، إمَّا في طبيعة مادَّتها، أو في منهجها.

ولعلَّ من الواجب ـ كي أضع هذه العلوم في الصورة اللَّائقة ـ أن أمرَّ بخطوتين اثنتين، هما:

- عرض **جدول** للعلوم الزمنية، ثم استخراج العلوم التي تمتُّ إلى البرمجة الزمنية بصلة.
- **تعريف** هذه العلوم، مع إظهار وجه الصلة.

أمَّا فيما يخصُّ **الخطوة الأولى**، فقد سعيتُ جهدي إلى تأسيس لائحة «catalogue»[2] لجميع العلوم الزمنية، قصد استخراج ما له ارتباط وثيق ببحثي، ثمَّ استثناءِ ما يعالج جوانب من الزمن غير الزمن الإنسانيِّ، مثل: الزمن الميتافيزيقي، والرياضي، والفزيائي... أو ما يعالج الزمن الإنسانيَّ من مداخل بعيدة عن البرمجة الزمنية.

ولقد اصطدمت بعقبتين في هذه المحاولة:

- **كثرة** العلوم والدراسات الزمنية، بحيث يقصُر الباحث عن حصرها، والتعرُّف عليها، ثم تعريفها.
- حاجة مثل هذا العمل إلى دعم **مراكز متخصِّصة**، أو إلى **عمل تراكميٍّ معرفيٍّ**... وهذا ما نعدمه في محيطنا العلميِّ.

(1) انظر أعلاه ـ ص33.

(2) لم أسمع ـ فيما اطَّلعتُ عليه ـ بوجود مثل هذه اللائحة من قبل، وبخاصَّة فيما ألِّف باللغة العربية.

فرأيت بالتالي أن أترك مقترح إنشاء «**لائحة العلوم الزمنية**» لأعمال مستقبليَّة، أو لمراكز متخصِّصة، وما من شكٍّ أنَّ هذه اللائحة ستفيد كلَّ من يريد التخصُّص في الزمن، من أيِّ مدخل من مداخله.

أمَّا في هذا البحث، فسأكتفي بعروض موجزة عن العلوم التي تبيَّن علاقتها بالبرمجة الزمنية، من خلال قراءاتي في المراجع العربية والأجنبية. وهي كالآتي:

- علم إدارة الوقت.
- علم اجتماع الفراغ.
- الترويح (التربية الترويحية).
- ميزانية الوقت.
- دراسات النوم والأرق.
- علم «الساعة البيولوجية».
- جملة من العلوم الأخرى.

1 علم إدارة الوقت:

أكاد أجزم أنَّ علم إدارة الوقت (Time management)، هو أكثر العلوم ارتباطا وقربا من البرمجة الزمنية، بل إنَّ البرمجة الزمنية وُلدت من رحِمه، وهي جزء منه في المنطلق، فهما يتَّفقان في جملة من المحاور والنقاط، ويتباينان في محاور ونقاط أخرى.

وعلم إدارة الوقت حديث النشأة، يعود أساسًا إلى أعمال «فريديرك تايلور» (ت. 1911م) وذلك من خلال اهتمامه بدراسة الحركة والزمن (Time and motion study)[1] والذي تحوَّل بعد ذلك إلى علم دراسة العمل (Work study)[2]. ثمَّ برز كعلم مستقلٍّ شيئا فشيئا، حتى أصبح من أبرز خصائص التطوُّر التكنولوجي المعاصر.

أمَّا في العالَم العربيِّ فيسجَّل إلى غاية أوائل التسعينيات «قلَّة المراجع العربية، حيث لم يكتُب في هذا الموضوع إلَّا قلَّة من الكتَّاب المحلِّيين، وكانت على مستوى أوراق بحث، أو أوراق عمل، كتبت باجتهاد شخصيٍّ»[3].

وأهمُّ المحاور التي يعنى بها علم إدارة الوقت[4]:

- التعرُّف على كيفية قضاء الوقت، واستخدام سجلَّات الوقت، للحصول على معلومات دقيقة.

(1) أبو شيحة، نادر أحمد: **إدارة الوقت**؛ دار مجدلاوي، عمَّان، 1991؛ ص33-34. وسهيل فهد سلامة: **إدارة الوقت، منهج متطور للنجاح**؛ المنظَّمة العربية للعلوم الإدارية، عمَّان، 1988؛ ص19.

(2) جونهاسن وروبرتسون: **معجم مصطلحات الإدارة**؛ ص142، 153.
Britannica, Vol. 11/p108,153

(3) معايعة، عماد صليبا: **إدارة الوقت**؛ د.نا، عمَّان، 1991م؛ ص12. ويلاحظ المؤلِّف كذلك «فقر مكتبتنا العربية للمراجع العربية أو المترجمة التي تطرَّقت إلى موضوع إدارة الوقت» نفس الصفحة.

(4) أبو شيخة: **إدارة الوقت**؛ ص33.

- تحليل سجلَّات الوقت، للتعرُّف على الأنشطة المضيِّعة للوقت.
- التقييم الذاتيُّ، وهذا يتضمَّن تقييم القدرات، وما يستطاع القيام به.
- تحديد الأهداف والأولويات.
- إعداد خطط عمل لتحقيق الأهداف.
- تنفيذ خطط العمل المرسومة وفق جدول زمنيٍّ محدَّد.
- تبنِّي أساليب وحلولٍ ملائمة لمواجهة آفات الوقت.
- المتابعة وإعادة التحليل بهدف التطوُّر.

وممَّا يهتمُّ به هذا العلم بالنظر إلى المحاور السابقة، وفهارس الكتب المتخصِّصة:

- خصائص الوقت.
- تصوُّر الوقت، والافتراضات حوله.
- تسجيل الوقت وتحليله.
- ضبط الغايات.
- تحديد الأهداف.
- ترتيب الأولويات.
- مضيِّعات الوقت.
- إدارة الاجتماعات.
- التفويض.
- إدارة الذات.
- التنظيم الفعَّال.
- اتِّخاذ القرارات.

- مهارات التفكير الاستراتيجي، والوقت... إلخ[1].

أمَّا فيما يخصُّ علاقة بحثي بعلم إدارة الوقت، فإنَّه سيستفيد منه ـ لا محالة ـ في جلِّ محاوره ومواضيعه، ويستثني بعض النقاط التي تخرج من نطاق البرمجة الزمنية، كما عرَّفناها. ومن ذلك: إدارة الاجتماعات، والتفويض، واتخاذ القرارات... إلخ[2]. ويستغني كذلك عن الجداول والمراحل التقنية الدقيقة التي يمرُّ بها المدير في إدارته لوقت المكتب أو الشركة.

والجديد في البرمجة الزمنية كما طرحناها، هو التعامل مع **الإنسان من حيث كونُه مخلوقا لله تعالى، وليس الإنسان الذي يدَّعي السلطة على أفعاله**. وكذلك شمولية العيِّنة لكلِّ إنسان مهما كان، وليس المديرين فقط.

والجديد كذلك هو التعامل مع المصادر الشرعية ـ من قرآن وسنَّة وما يندرج تحتهما ـ في الربط بين عمل معيَّن وزمن محدَّد؛ بخلاف علم إدارة الوقت، الذي يستغني كلية عن المصادر «اللاهوتية»[3] لينطلق أساسا من التجربة، مع بعض الحنين إلى آراء الفلاسفة اليونانيين على الخصوص.

وسأحاول ـ بناء على ذلك ـ أن أوظِّف علوما لم يُسبق لها أن ذُكرت في علم إدارة الوقت، مثل: علم العقيدة، في تحديد الغايات والأهداف؛ وعلم أصول الفقه، وفقه الأولويات، في ترتيب الأولويات، وفكِّ التعارض.. في حين كانت تخضع فيه مثلُ هذه العناوين ـ الغايات، والأهداف، والأولويات ـ إلى آراء عقلية مجرَّدة، ونظريات بشرية.

(1) انظر: فهارس مراجع إدارة الوقت، مثلا: ليستر آر بيتل: **إدارة الوقت، المرشد الكامل للمديرين الذين يعانون من ضغط الوقت**؛ تر. محمد نجار، مر. هشام عبد الله؛ الأهلية للنشر والتوزيع، عمَّان، 1999م؛ ص289-297.

(2) لكون هذه العناوين أقرب إلى فنِّ الإدارة منها إلى البرمجة الزمنية العامَّة.

(3) هذه الصفة سجَّلتها باعتبار ما في المراجع وكتب إدارة الوقت، ولست موافقا على إطلاقها طبعا. بل إنَّ القراءة المتواصلة لهذه المراجع أمدَّتني بهذا الحكم عنها.

2 علم اجتماع الفراغ:

علم اجتماع الفراغ (Sociologie du loisir) فرع من فروع علم الاجتماع، ولقد «أوضح كثير من الدارسين المعاصرين الحقيقة التي مؤدَّاها أنَّ الفراغ هو نتاج المجتمع الصناعيِّ الحديث»[1]، فهو نتيجة طبيعية لتوقُّف «المعبد» عن استقطاب الإنسان في حياته اليوميَّة، وهو أيضا إعلان عن نهاية عهد «الثورة الصناعية» التي ربطت الإنسان بالآلة ـ لأكثر من قرن ـ في أغلب أوقات يومه.

ويمكن القول إنَّ علم اجتماع الفراغ يمثِّل «ثورة ثقافية حقيقيَّة، ذلك أنَّه غيَّر كلِّية علاقة الإنسان بنفسه، وعلاقته بالآخرين، وعلاقته بالمحيط»[2]، ولهذا قيل: «إنَّ وقت الفراغ هو أبو الفلسفة»[3] المعاصرة.

ولقد اختُلف كثيرا في تعريف وقت الفراغ، مع الإجماع على أنَّ أصل كلمة (Loisir)، (Leisure) لاتينيٌّ، والذي يعطي بدوره كلمة (Licite)[4]، ومعناها: «التحرُّر من قيود المهنة، أو الوظيفة، أو العمل، أو الارتباطات»[5].

وللتعريف الاصطلاحيِّ نختار تعريفين نراهما الأنسب لبحثنا:

- **الأوَّل**: أنَّ وقت الفراغ يعني الوقت الذي «يتحرَّر فيه الفرد من العمل يوميًّا، أو أسبوعيًّا، أو سنويًّا»[6].

(1) علي محمد : **وقت الفراغ في المجتمع الحديث، مبحث في علم الاجتماع**؛ دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر؛ 1981م؛ ص51.

(2) R. Sue, ***Temps et ordre social : Sociologie des temps sociaux***, PUF, 1994, p.111.

(3) نُسبت هذه المقولة للفيلسوف هوبز، انظر ـ محمد علي: **نفسه**؛ ص5.

(4) Sue : ***ibid***.

(5) درويش كمال والحماحمي محمد: **الترويح الرياضي في المجتمع المعاصر**؛ مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرَّمة، ط1: 1408هـ/1987م؛ ص23.

(6) بدوي: **معجم مصطلحات العمل**؛ ص227.

- **الثاني**: هو «الوقت الفائض بعد خصم الوقت المخصَّص للعمل، والنومِ، والضرورات الأخرى، من الأربع والعشرين ساعة»[1].

ولضبط مصطلح الفراغ ضبطا دقيقا، ينبغي أن نوضِّح مفاهيم كثيرة، أهمُّها: مفهوم العمل، ومفهوم الراحة، ومفهوم الحرية، ومفهوم وقت العمل، ومفهوم وقت الراحة، ومفهوم الوقت الحرِّ... ولكلِّ تعريف من هذه التعاريف عمقه الفكريُّ، والفلسفيُّ، ممَّا ولَّد اختلافات جذرية في حدِّها[2].

ويدرس علم اجتماع الفراغ كلَّ ما له علاقة بوقت الفراغ، من ذلك:

- تاريخ وقت الفراغ.
- طرق استثماره.
- أثره في التربية والتعليم.
- تأثيره على العمل، وتأثير العمل عليه.
- مراحل العمر ووقت الفراغ.
- الجنس (ذكر، أنثى) ووقت الفراغ.
- الفراغ والنظُم الاجتماعية.
- الفراغ والقيم الثقافية.
- صناعة الفراغ (اقتصاد الفراغ، تجارة الفراغ)... إلخ.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ الدراسات والأبحاث في علم اجتماع الفراغ تكاد تكون معدومة وغير معروفة «في العالَم العربيِّ، بالرغم من ظهورها وانتشارها،

(1) محمد علي: **وقت الفراغ في المجتمع الحديث**؛ ص94. وعطيات محمد خطاب (الدكتورة): **أوقات الفراغ والترويح**؛ دار المعارف، القاهرة، ط5: 1990م؛ ص17.

(2) J. Leif, ***Temps libre et temps à soi : l'enjeu éducatif et culturel***, ESF, 1984, p.13-32.

وتداولها وتدريسها في جامعات وأكاديميات الدول الصناعية المتقدِّمة»[1]؛ فيمكن أن نحدِّد تاريخ البواكير الأولى ـ من المؤلَّفات ـ باللغة العربية مع أوائل الثمانينيات[2].

ولا يخفى أنَّ العلاقة بين البرمجة الزمنية وعلم اجتماع الفراغ هي علاقة احتواء؛ فإنَّ الفراغ جزء من اليوم، وهو ممَّا ينبغي برمجته والتخطيط له، لإنزاله في الوقت المناسب له، بعد تحديد مفهومه، وحجمه، وحصر أنواعه...

ولعلَّ من أبرز الإشكالات التي تفرض نفسها في هذا الاتجاه، إشكالية **تصنيف «زمن العبادة»**، فهل يُعتبر من جملة وقت الفراغ؟ أم أنَّه ملحق بوقت العمل؟ أم ينبغي أن يكون مستقلًّا عن كلِّ ذلك؟ فإنَّ الملاحَظ في الدراسات الحالية أنَّها تقزِّم «الممارسة الدينية» وتصنِّفها ضمن آخر أنواع الأعمال في وقت الفراغ... وفي أغلب الأحيان تغفل عنها، بل وتهملها.

ثمَّ، ما مفهوم الفراغ في القرآن الكريم، وفي السنَّة الشريفة، وفي التراث الإسلاميِّ؟ هل هو نفس المفهوم المتداوَل في هذا العلم؟ أم يوجد ثمَّة اختلاف وتباين؟

هذه الأسئلة تبرز العلاقة بين علم اجتماع الفراغ والبرمجة الزمنية، وقد نستطيع أن نجيب عن بعضها في بحثنا هذا، وقد لا نستطيع، فتبقى بالتالي محلًّا للدراسات التخصُّصيَّة المستقبليَّة، سواء من الباحث نفسه، أو من باحثين آخرين.

(1) إحسان، محمد الحسن: **الفراغ ومشكلات استثماره**؛ دار الطليعة، بيروت، ط1: 1986م؛ ص5، 6. ويذكر «سيو» أنَّه يمكننا اليوم أن نتحدَّث عن مدرسة كَنَدية لعلم اجتماع الفراغ، وكذلك في إيطاليا وسويسرا، أمَّا في فرنسا فيسجَّل نوع من التأخُّر في هذا المجال، ويذكر أنَّ «الفريق الكندي لعلم اجتماع الفراغ يصدِر مجلَّة دولية متخصِّصة بعنوان «الفراغ والمجتمع» نشر مطبعة جامعة الكيباك».

Sue, p.115.

(2) ذكر إحسان محمَّد (1986م) أنَّ بحثه يعدُّ «الأوَّل من نوعه باللغة العربية» غير أنَّ محمَّد علي قد سبقه بسنة على أقلِّ تقدير. ولم نتمكَّن من معرفة أوَّل بحث في الموضوع.

3 الترويح (التربية الترويحية)

الترويح مجال للبحث يستقطب على الأقلِّ أربعة علوم، هي:

- التربية وعلم النفس.
- أبحاث الرياضة.
- علم الاجتماع.
- إدارة الوقت.

ولكنَّ الغالب في دراسته هو علم التربية، ولذلك أسِّس ما يسمَّى بـ«التربية الترويحية»[1].

وكلمة الترويح (Recreation) في اللغة مركَّبة من شقَّين (re) إعادة، و(creation) الخلق، فمعناها: «الخلق من جديد»[2]، وهذا يدلُّ على أنَّ الخلق «يستهدف الانتعاش والتجديد»[3].

ورغم أهمية الموضوع، وتحوُّله إلى اهتمام علميٍّ عالميٍّ[4]، إلَّا أنَّ الدراسات العربيَّة تبقى قليلة جدًّا فيه، ولقد ذكر أبو سمك أنَّه «بعد بحثٍ واستقصاء تبيَّن

(1) درويش والحماحمي: **الترويح الرياضي في المجتمع المعاصر**؛ ص76.

(2) هذا المعنى يستتبع سؤالا هو: من الفاعل في «الخلق»؟ هل هو الإنسان نفسه؟ أم هو غيره؟ لا نعرف بالضبط الجواب لدى الغربين، وإن كان الراجح أنَّ لهم تفسيرا ماديا؛ أمَّا في الفكر الإسلاميِّ، فإنَّنا واثقون أنَّ الإنسان يتَّخذ أسباب الراحة من نوم وغيره، ولكنَّ الذي يهب الراحة هو الله تعالى؛ والدليل أنَّ الإنسان كثيرا ما قام من نومه متعبا، ولا يجد تفسيرا له على ذلك. فالذهاب إلى الراحة تكون من الإنسان، والخلق من جديد يكون من الملك الديان.

(3) عطيات: **أوقات الفراغ والترويح**؛ ص37.

(4) أنشئت سنة 1970م «المنظَّمة العالمية للفراغ والترويح». انظر ـ أبوسمك، أحمد عبد العزيز: **التربية الترويحية في الإسلام**، ماجستير في التربية، جامعة اليرموك، الأردن، 1417هـ/1996م؛ إشراف حسين جابر بني خالد؛ ص.ي.

للباحث أنَّه توجد دراسة[1] واحدة سابقة في الموضوع»[2].

ولصياغة التعريف يمكن الانطلاق من الخصائص التي وضعها الدارسون للترويح، ومن أبرزها:

- الترويح نشاط **بنَّاء**.
- الترويح نشاط **اختياريٌّ**.
- الترويح نشاط **ممتع**.
- الترويح يحدث **في وقت الفراغ**.

فالترويح بهذا هو «**نشاط اختياريٌّ ممتع للفرد، ومقبول من المجتمع، يمارس في أوقات الفراغ، ويسهم في بناء الفرد وتنميته**»[3].

ومن محاور الترويح التي تشغل مادَّته الرئيسة، نذكر:

- أنواع الترويح.
- تاريخية الترويح.
- علاقة الترويح بالعمل.
- الترويح والأسرة.
- الترويح والمدرسة.
- الأنشطة البدنية والرياضية الترويحية.
- الأنشطة الفنية والجمالية.
- الأنشطة الثقافية والاتصالية.

(1) هذه الدراسة هي لـ: العودة، خالد بن فهد: **الترويح التربوي، رؤية إسلامية**؛ دار المسلم للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية؛ 1414هـ.

(2) **نفس المرجع**؛ ص.ل.

(3) عطيات: **أوقات الفراغ والترويح**؛ ص30.

- برامج الأنشطة الترويحية وإدارتها[1].
- اقتصاد الترويح (الإنتاج).
- الترويح والرعاية الاجتماعية.
- الترويح والنظم السياسية... إلخ[2].

والعلاقة بين الترويح والبرمجة الزمنية تكمن في تحديد أوقات الترويح، من خلال الاصطلاح على مفهومٍ للترويح، من منظور إسلاميٍّ، والفصل بين ما هو جائز، وما هو غير جائز شرعاً.

ولا بدَّ من التعرُّض إلى أسئلة مثل: هل الصلاة ترويح؟ وهل قراءة القرآن ترويح؟ ومتى يتمُّ الترويح الرياضيُّ والثقافيُّ شرعاً؟... إلخ.

في الإجابة على هذه الأسئلة، سنستفيد من الجهود السابقة، من المختصين في التربية الإسلامية، وغرضنا الأساس لا يتمثَّل في دراسة هذا العلم، بل إيجاد العلاقة بينه وبين البرمجة الزمنية فقط.

4 ميزانية الوقت:

ميزانية الوقت (Time budget) من أهمِّ الدراسات الاجتماعية المعاصرة، وأوَّل «دراسة على نطاق كبير لتحليل ميزانية الوقت، أجريت سنة 1922م في الاتحاد السوفيتي، تحت إشراف "مستر ومولن" أستاذ علم الاجتماع، والتي استندت على دراسات عالم الإحصاء "نيموف"»[3].

وميزانية الوقت «**سجلٌّ يوميٌّ صمِّم لكي يسجِّل الناسُ فيه ما يفعلونه، في**

(1) انظر مثلا: درويش كمال والخولي أمين: **أصول الترويح وأوقات الفراغ، مدخل العلوم الإنسانية**؛ دار الفكر العربي، د.م.ن.، 1410هـ/1990م؛ كلُّه.

(2) وانظر ـ عطيات: **أوقات الفراغ والترويح**؛ كلُّه.

(3) **نفس المرجع**؛ ص225.

فترات زمنية منتظمة، أثناء ساعات اليقظة»[1]؛ لغرض التجميع والإحصاء بعد ذلك.

وبالتالي فهو إجراء كمِّيٌّ يعتمد علم الإحصاء، ويمثِّل الوسيلة الفعَّالة لعلم اجتماع الفراغ، وللترويح، ولإدارة الوقت... ولكافَّة الدراسات الزمنية الميدانية[2]، وبخاصَّة في قياس حركية الزمن وتطوُّره، في الحياة اليومية للإنسان المعاصر.

ويُعتبر عمل «وليام قروسان» المعنون بـ«أوقات الحياة اليومية»[3] أنموذجا حيًّا للبحوث المعتمِدة على ميزانية الوقت في المسار الاجتماعيِّ، وهي عبارة عن **استبيان** ميدانيٍّ على عيِّنة من العمَّال المتراوح أعمارهم بين 20 و65 سنة، يدور حول: علاقتهم مع الزمن، وتصوُّراتهم حوله، ومواقفهم تجاهه.. حسب العمر، والجنس، والحال المادية، ونوع المهنة...

ولقد تطوَّرت هذه العلوم في الغرب حتى صارت سمة من سماته[4]، أمَّا في العالَم العربيِّ فمثل هذه الأبحاث التي تحتاج إلى سبق علميٍّ، ووسائل متطوِّرة، لا تزال نادرة في الجامعات والمكتبات العربية والإسلامية. تقول الدكتورة عطيات محمد خطاب: «لا توجد (حتى سنة 1990م) دراسة علمية لتحليل ميزانية الوقت في جمهورية مصر»[5].

(1) محمد علي: **وقت الفراغ في المجتمع الحديث**؛ ص110.

(2) Sue, p.30.

(3) W. Grossin, ***Les Temps de la vie quotidienne***, Mouton, 1974.

(4) ففي فرنسا ـ مثلا ـ يقوم المركز المتخصص (INSEE) ببحوث متواصلة في ميزانية الوقت «ومثل هذه البحوث تمدُّ الباحثين بمعلومات قيِّمة عن التعامل مع الزمن من وجهة نظر كمية، وكذا عن التحوُّلات والتطورات الطارئة». مع الملاحظة أنَّ فرنسا ليست الرائدة في هذا المجال. وانظر ـ

Sue, p.126.

(5) عطيات: **أوقات الفراغ والترويح**؛ ص226.

أمَّا ما يستفيده الباحث في البرمجة الزمنية من ميزانية الوقت، فإنَّ المؤكَّد أنَّ بعض النتائج التي توصَّل إليها الدارسون، وبعض الإحصائيات الدقيقة، سيستأنس بها للتدليل على بعض الآراء في **توزيع الأعمال على الأزمان**. من ذلك مثلا: ترتيب سلَّم القيم في المجتمعات المعاصرة؛ تحليل الغايات والأهداف والأولويات؛ تحديد الوقت الكافي للنوم ـ إحصائيا ـ، وتقليص أو زيادة ساعات العمل اليومية...

ولست أدري هل في الإمكان مستقبلا، بالاعتماد على التحليل الآلي للقرآن الكريم، أو السنَّة النبوية الصحيحة، أو حياة الصحابة والتابعين ـ مثلا ـ أن نصل إلى نتائج كمِّية إحصائية، ولو جزئية، باستخدام مناهج ميزانية الوقت... في العلاقة بالوقت، والمواعيد، والعمل، والفراغ، والنوم...؟

5 دراسات النوم والأرق:

النوم جزء أساس من حياة كلِّ إنسان، من لدن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى أن تفنى البشرية، و«لقد عُرف الدور الهامُّ الذي يلعبه النوم في حياة الإنسان منذ أقدم العصور»[1]، فكان مجالا خصبا للتأمُّل والملاحظة، وحقلا شاسعا للآراء والتخمينات.

وللحضارات القديمة كلِّها مساهمات متباينة في تفسير ظاهرة النوم، ويعتبر ما كتبه الأطبَّاء المسلمون من أبرز ما أُلِّف في تاريخ الإنسانية، مشرقا ومغربا، يقول الدكتور هيثم المنَّاع: «احتاجت البشرية إلى ألف عام لتتخطَّى دراسة الكندي»[2].

ومع أوائل القرن العشرين ـ وبالضبط سنة 1924م ـ اكتشف العالِم الألماني (هانس برغر ـ Hans Berger) تخطيط الدماغ الكهربائي (Electro-encephalo-gramme) فكان بمثابة الإعلان عن بداية الدراسات السريريَّة المخبريَّة لعالَم النوم[3]، ومنذ ذلك التاريخ والأبحاث

(1) جعفر عبد الرزاق : **النوم والأحلام، أحلام الطفل**؛ د.م.ن.، د.ت.ن.؛ ص5.

(2) هيثم، المناع: **عالم النوم**؛ دار الحوار، سورية، ط1: 1990م؛ ص16.

(3) **نفسه**.

تتوالى، إلى أن تجنَّد في الثمانينيات «جملةٌ من الباحثين من تخصُّصات مختلفة جدًّا، انطلقوا من دراسات متباعدة تماما، ومن طرق متباينة، ليلتقوا في فهم عالَم الليل الغامض»[1] من نومٍ، وأرق، وأحلام...

أمَّا عن مجال اهتمام دراسات النوم فمتعدِّد الجوانب؛ ذلك لأنَّ النوم مرتبط بمفاهيم عديدة، أبرزها:

- **الزمان** (مبكِّر ـ متأخِّر، قليل ـ كثير، ليلي ـ نهاري، منتظم ـ غير منتظم...)
- **والمكان** (أين ننام، ومع من، الضجيج، المحيط...)
- **والمتطلَّبات** (الاجتماعية، والمهنية، والثقافية...)[2].

وبدهيٌّ أنَّ البرمجة الزمنية سترجع إلى نتائج الأبحاث في عالم النوم، لتقارن بين ما جاء في النصوص الأصلية من قرآن وسنَّة، وما ذُكِر في الدراسات المعاصرة، لمحاولة الإجابة على الأسئلة الآتية:

- كم هو عدد ساعات النوم في اليوم؟ هل هي ثابتة؟ أم مختلفة باختلاف الأشخاص، والفصول، والمناطق الجغرافية، والوظائف... ؟
- متى يجب أن ينام الإنسان؟ ومتى يكره؟ ومتى يمنع؟
- ماذا عن نوم الفجر؟ والضحى؟
- وماذا عن نوم القيلولة؟ والعشيِّ؟... إلخ.

(1) Dr. E. SCHULLER, ***Les Insomnies Et Le Sommeil***, Robert Laffont, Paris, 1976, p.16.

كنموذج لهذه الأبحاث انظر ـ

• V. Alexandre; ***le sommeil et la santé***, Spoutnik, fev. 1980, p.130.

• J. Ferrara, ***la pilule de l'éveil***, Science et vie, №862, Jui. 1989, p.54.

(2) هيثم: **عالم النوم**؛ ص6، 7 (بتصرف). وانظر ـ الشربيني أيمن: **الأرق وهم له علاج، أحدث الدراسات عن النوم والأحلام ومشكلة الأرق**؛ مكتبة ابن سينا، القاهرة، 1994م؛ ص112. وليون جوزيت: **مائة نصيحة ونصيحة للنوم**؛ دار الكتاب العربي، دمشق ـ القاهرة، 1414هـ/1993م؛ ص275-280.

والإجابة على هذه الأسئلة ـ ولو جزئيا ـ سيسهم في معرفة وتحديد البناء الأمثل للبرمجة الزمنية، ويكتشف أخطاء الإنسان المعاصر في تعامله مع الموت الأصغر، واللغز المحيِّر: **النوم**.

6 علم «الساعة البيولوجية»:

لا يمكن لأيِّ نوع من الحياة أن يوجد في مجال «لازمنيٍّ، وبدون إيقاع (...) بل إنَّ الزمن الذي يعني تعاقب المُدد والإيقاعات، كان في بدايات الحياة»[1]، وسواء أكانت هذه الإيقاعات خارجية، مثل تعاقب الليل والنهار، والمدِّ والجزر... أم داخلية، مثل: حرارة الجسم، ودقَّات القلب، وضغط الدم، والتنفس...[2]، فإنَّها مجتمعةً تمثِّل مجالا مثيرا للدراسات البيولوجية، وللتجارب المخبرية المتطوِّرة جدًّا.

والإيقاع البيولوجي، الذي هو موضع أبحاث «**علم الساعة البيولوجية**» أي علم (Chronobiologie) «يهتمُّ بالحيوانات، كما يهتمُّ بالنباتات، من أبسط أنواع الحياة: البكتيريا، إلى أعقدها: الإنسان»[3].

وفيما يخصُّ الإنسان ـ الذي هو موضوع بحثنا ـ تشير الأبحاث في علوم الحياة إلى «أنَّ لكلِّ إنسان ساعته البيولوجية الخاصَّة»[4]، التي تدور لمدَّة 24 ساعة في اليوم، وقد تزيد قليلا أو تنقص حسب الأشخاص، وهذه الإيقاعات تعرف بـ(Rythmes circardiens) وأصلها اللاتيني(circa) حوالي، و(diem) يوم، أي: حوالي يوم.

(1) E. T. HALL, ***La danse de la vie***, Essais 247, Ed. du Seuil, 1984, p.28.

(2) بوظريفة، حمو: **الساعة البيولوجية**؛ سلسلة افهم نفسك واعرف جسدك، رقم 1؛ دار الأمَّة، الجزائر، ط1: 1995م؛ ص44.

(3) P. Rossion, ***Quand la vie se met a la bonne heure***, Science et vie, № 960, sep. 1997, p.78.

(4) ليستر: **إدارة الوقت، المرشد الكامل للمديرين**؛ ص10.

وقد كانت الإرهاصات الأولى لهذا العلم على يد الرياضي الفرنسي (Dortous Jean Jacques) سنة 1729م، ثم تبلور في القرن التاسع عشر بفضل جهود كلٍّ من الطبيب الفرنسي (Julien Joseph Virey)، الذي يعتبر أوَّل من صرَّح بالإيقاع البيولوجي في بحوثه سنة 1814م، ثم ـ بعد أزيد من قرن ـ برز المختصُّ في علم الأحياء، الألماني (Erwin Buning) في اكتشافه سنة 1936م للساعة البيولوجية اليومية (circardienne)، والساعات الأخرى الأقلِّ من اليومية (infradienne) والأكثر من اليومية (ultradienne).

وفي عصرنا يُذكر أنَّ «أكثر من ألف مقال في هذا التخصُّص يصدر في المجلَّات العلميَّة كلَّ سنة[1]».

وإذا حاولنا أن نرجع إلى علم الساعة البيولوجية في مباحث البرمجة الزمنية ـ اليومية بالخصوص ـ فإنَّنا سنجد إجابات دقيقة لأسئلة مثل:

- ما هو الوقت (الأوقات) الذي ينشط فيه الإنسان أكثر، في اليوم؟
- ما هو الوقت (الأوقات) الذي يكون فيه أقلَّ نشاطا؟
- ما هو الوقت (الأوقات) الأليق للنوم في اليوم؟
- وما هو الوقت (الأوقات) الذي لا ينصح به للنوم؟...

وسيحاول الدارس للبرمجة الزمنية أن يقارن ـ عرَضا ـ بين ما جاء في النصوص الشرعية ـ وبخاصَّة القطعية منها ـ حول حركة الإنسان في اليوم والليلة، وبين ما توصَّلت إليه البحوث المعاصرة في مجال الساعة البيولوجية[2]، دون أن يحمِّل النصَّ ما لا يحتمل، سواء بالأحكام الإيجابية أو السلبية؛ لأنَّ النصوص القطعية ثابتة صادقة، وإن قصُر العقل عن إدراكها، أمَّا نتائج الأبحاث المخبرية فلا ترقى إلى مستوى اليقين التامِّ، حتى تتحوَّل من الافتراضات والنظريات إلى حقائق علمية ثابتة.

(1) هذا الإحصاء يعود إلى سنة 1414هـ/1984م، ولا شكَّ أنَّه قد تزايد كثيرا.

(2) انظر: ليستر: **إدارة الوقت، المرشد الكامل للمديرين**؛ ص25، 26.

7 جملة من العلوم الأخرى:

إنَّ النماذج التي ذُكرت من العلوم الزمنية المرتبطة بالبرمجة الزمنية ارتباطا متينا، لا تعني الحصر، بل إنَّ ثمَّة علومًا أخرى يمكن الاستفادة منها، في جانب من جوانب البحث، وأذكر للتمثيل:

في علم الاجتماع: علم الاجتماع الريفي[1]، وسوسيولوجية الأزمنة الاجتماعية[2]...

وفي علم النفس: علم نفس الزمن[3]، وعلم النفس الطفل[4]، والأبحاث حول القلق[5] والاكتئاب[6]...

وكذا **الدراسات التاريخية**[7] حول الزمن، والأبحاث في **الإعلام**[8]، **والطبِّ**[9]،

(1) انظر: علي فؤاد أحمد: **مشكلات العالَم الريفي في العالَم العربي**؛ دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.ن.. وعنوان: المشكلات الترويحية في الريف العربي، ص77-85.

(2) انظر: «**رقصة الحياة**» لإدوارد هول، والمؤلِّف يعتبر المؤسِّس لهذا العلم في كتابه هذا.

(3) دورون رولان وبارو فرانسواز: **موسوعة علم النفس**؛ تر. فؤاد شاهين ؛ منشورات عويدات، بيروت، 1997م؛ ج3/ص1067.

(4) انظر: J. Piajet, ***le developpement de la notion du temps chez l'enfant***, Presses universitaires de France.

(5) انظر: كارنيجي دايل: **دع القلق وابدأ الحياة**؛ مكتبة رحاب، الجزائر، 1992م.

(6) انظر: عبد الستار إبراهيم: **الاكتئاب، اضطراب العصر الحديث، فهمه وأساليبه وعلاجه**؛ سلسلة عالم المعرفة، رقم 239؛ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1419هـ/1998م.

(7) J. B. Priestley, ***L'Homme et le temps***, Pont Royal.
J. Attali, ***Histoire du temps***, Fayard, 1982.

(8) انظر: وين، ماري: **الأطفال والإدمان التلفزيوني**؛ تر. عبد الفتاح الصبحي؛ سلسلة عالم المعرفة، رقم 247؛ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1420هـ/1999م.

(9) J. Scherrer, ***La Fatigue***, Que sais-je ?, № 733, Presses universitaires de France, 1989.

وعلم الشيخوخة (gerantologie)[1]، بل وحتَّى في علم **البيئة**[2]...

من كلِّ هذه العلوم ومن غيرها يمكن استخراج فصولٍ وأبواب تُعنى بالبرمجة الزمنية، في مجال أو أكثر؛ ويمكن الاستفادة منها ـ مستقبلا ـ في دراسات مختلفة، حسب التخصُّصات، لمحاولة **بناء «علمٍ» يدرس توزيع الأعمال على الأزمان، من منطلق قرآنيٍّ ـ إسلاميٍّ**، مع المقارنة بما تتوصَّل إليه هذه الدراسات من نتائج علمية، وبخاصَّة ما يرقى فيها إلى مستوى اليقين العلميِّ.

(1) «علم الشيخوخة: هو العلم الذي يدرس خواصَّ الشيخوخة» عصام، فكري: **علم الشيخوخة**؛ مجلَّة عالم الفكر، الكويت (المجلَّد 6، العدد 3: أكتوبر ـ ديسمبر 1975م) ص13... وهذا العدد من عالم الفكر خاصٌّ بعلم الشيخوخة، ومن أهم محاوره المدروسة: علم الشيخوخة، شيخوخة الكون، الشيخوخة، هل هي مرض؟ الشيخوخة في نطاق القانون الجنائي...

(2) انظر: بيليت، جان ماري: **عودة الوفاق بين الإنسان والطبيعة**؛ تر. السيد محمد عثمان؛ سلسلة عالم المعرفة، رقم 189؛ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1415هـ/1994م؛ ص108-113.

المبحث الثالث المنهج من خلال الدراسات الإسلامية:

يقتضي المنهج العلميُّ أن يقف الباحث على الدراسات التي سبقت في موضوع بحثه، مبيِّنا فضلها وأهمِّيتها، ومنبِّهًا إلى مواطن قوَّتها وضعفها، متحرِّيا في ذلك الأمانة والدقَّة.

وفي مجال البرمجة الزمنية في الفكر الإسلامي، بذلتُ جهدًا في استقصاء البحث فيما أمكن من المكتبات[1]، والجامعات، سواء بالزيارة[2] أو بالوساطة[3]، أو بمطالعة الفهارس والأدلَّة وقوائم الكتب[4]؛ فلم أعثر على أيِّ بحث أكاديميٍّ تناول هذا الموضوع مباشرة، بله أن يتناوله بنفس الطرح الذي طرحته، وإن تعدَّدت المؤلَّفات والبحوث التي درست جانبا منه، أو تعرَّضت إلى مدخل من مداخله، ممَّا لا تنكَر فائدته ولا أسبقيته.

فبعد أن وقفتُ على العلوم والدراسات التخصُّصية في المبحث الثاني من هذا

(1) أذكر من بينها: المكتبة الوطنية، بالجزائر ـ مكتبة جامعة آل البيت، بالمفرق، الأردن ـ مكتبة الجامعة الأردنية، عمَّان ـ بعض المكتبات العامَّة بسورية، ولبنان، والسعودية... والعديد من المكتبات الخاصَّة بميزاب وغيرها.

(2) أذكر مثلا ـ جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر ـ جامعة الخروبة، الجزائر ـ الجامعة الأردنية وجامعة آل البيت، الأردن، وجامعة أم القرى، وجامعة المدينة المنورة، السعودية...

(3) أذكر هنا جامعة بغداد، التي أجرى أخي الباحث مصطفى ابن ادريسو بحثا في ببليوغرافية مكتبتها، وصوَّر لي قوائم الكتب والأبحاث الأكاديمية، وبعض جامعات الإمارات العربية المتحدة، مثل جامعة العين وغيرها، والتي تفضَّل أخي الباحث باحمد ارفيس بالبحث فيها.

(4) أذكُر مثلا: الكنوي، محمد عثمان وعبد الواحد هاشم: **الدليل الببليوغرافي للرسائل الجامعية الموجودة في المكتبة المركزية لجامعة الملك عبد العزيز**؛ نشر جامعة الملك، السعودية، د.ت.ن. البطيخي، أنور: **ملخَّصات رسائل الماجستير والدكتوراه، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية**؛ د. م.ن.، 1995م. الجامعة الأردنية: **دليل الرسائل الجامعية المودعة من الجامعات العربية في مركز الإيداع في مكتبة الجامعة الأردنية**؛ 1988-1990، 1998... السعدي، نرى عثمان: **فهرس الأطاريح الجامعية لكلية الآداب، جامعة بغداد**؛ د.م.ن. 1985-1976. المركز العربي لبحوث التعليم العالي، دمشق: **دليل رسائل الدكتوراه والماجستير في الجامعات العربية**؛ ابتداء من 1975م.

الفصل، سأعرض بإيجاز الأبحاث والدراسات الإسلامية، سواء أكانت مؤلَّفات وكتبا عامَّة، أم دراسات وأبحاثا جامعية؛ وسواء أكانت مصنَّفة ضمن علم من العلوم الزمنية، مثل: علم اجتماع الفراغ، أو التربية الترويحية... أم غير مصنَّفة، مثل الأعمال التي نوَّهت بقيمة الزمن في القرآن الكريم، والسنَّة النبوية، والتراث الإسلاميِّ...

ويدخل في الدراسات الإسلامية في البرمجة الزمنية كلُّ مؤلَّف برزت فيه مادَّة الزمن، من عنوانه إلى محتواه وفهارسه، ويخرج منها:

- ما تعرَّض للزمن في أحد فصوله، أو عناوينه، أو فقراته فقط، مهما كان مهمًّا ومفيدًا.
- ما دخل إلى الزمن من منظور قوميٍّ عربيٍّ، سواء أكان بحثا نظريا أم تطبيقيا.
- ما كان مجرَّد ترجمة للدراسات الغربية، دون تحليل أو محاولة للتأصيل، أو النقد أو الإضافة.
- ما درس الزمن في القرآن الكريم، أو السنَّة الشريفة، أو التراث الإسلامي، ولكن من مدخل فلكيٍّ، أو تقويميٍّ...
- ما كان من مؤلَّفات تراثية، قبل ظهور الدراسات التخصُّصية في تنظيم الوقت.
- الأبحاث الفلسفية، واللغوية...

ويمكن تقسيم المراجع إلى كتب مستقلَّة، وبحوث جامعية أكاديمية، وبداية العرض يكون من القسم الأوَّل.

• أوَّلا • الكتب المستقلة

■ **1. الوقت في حياة المسلم**، للدكتور يوسف القرضاوي (ط3: 1405هـ/1985م)[1]: أكثر الكتب الزمنية الإسلامية انتشارا[2]، والدافع إلى تأليفه ما عرفه المؤلِّف

(1) الدار المتحدة ـ مؤسَّسة الرسالة، دمشق، ط6: 1413هـ/1992م.

(2) طبع هذا الكتاب على الأقل عشرين مرَّة.

الداعية «من اهتمام الإسلام البالغ في كتابه وسنَّته بالوقت» وما لمسه «لدى المسلمين في قرونهم الأولى من حرص شديد على أوقاتهم»، ثم ما عايشه وما يعايشه «اليوم، في دنيا المسلمين، من إضاعة للأوقات، وتبذير للأعمار، جاوز حدَّ السفه إلى العته، حتى غدَوْا في ذيل القافلة، وقد كانوا منها في مأخذ الزمام»[1].

وأهمُّ محاور هذا الكتاب:

- عناية القرآن والسنَّة بالوقت.
- شعائر الإسلام وآدابه تؤكِّد قيمة الوقت.
- خصائص الوقت.
- اغتنام الفراغ.
- تحرِّي الأوقات الفاضلة نظام الحياة اليوميِّ للمسلم.
- وقت الإنسان بين الأمس واليوم والغد.
- العمر الثاني للإنسان... إلخ.

وفي ثناياه إشارات جديرة إلى البرمجة الزمنية، بل إنَّ ما سجَّله في «نظام الحياة اليوميِّ للمسلم» يُعَدُّ من عمق البرمجة الزمنية، فهو بمثابة الإرهاصات الحقيقية لهذا المجال الخصب من الدراسة، وقلَّ من الكتَّاب بعده من لم يعتمده.

■ **2. قيمة الزمن عند العلماء**، للشيخ عبد الفتاح أبو غدَّة (ط1: 1404هـ/1984م)[2]: جهدٌ علميٌّ رائد، واستقراء للمصادر قلَّ له نظير، فهو حصيلة عشرين سنة من المطالعات والمراجعات في «كتب العلم: التفسير، والحديث، والفقه، والتاريخ، والرجال، والتراجم، والبلدان، واللغة، والنحو، والأدب، والأخلاق، وسواها»[3].

(1) القرضاوي: **الوقت في حياة المسلم**؛ ص6.

(2) مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط8: 1418هـ/1998م.

(3) **نفس المرجع**؛ ص7.

صدَّر هذا العمل بمقدِّمة في قيمة الوقت في القرآن الكريم والسنَّة الشريفة، ثمَّ تعرَّض إلى حرص السلف على كسب الوقت، فتتبَّع تاريخيا ـ كرونولوجيا ـ عددا غير يسير من العلماء، بداية من الصحابة رضوان الله عليهم، ومرورًا بأئمة الحديث والفقه واللغة، وكذا المفسِّرين والمؤرِّخين، إلى أن انتهى بمقالة للمجدِّد حسن البنَّا في أنَّ «الوقت هو الحياة»، ووصفها بأنَّها أغلى من الذهب[1].

ولم يفت المؤلِّفَ أن يشير إلى أنَّ العديد من الكتب التي صدرت كانت عالةً عليه، منها ما التزم الأمانة العلمية فأحال إليه، ومنها ما حرص مؤلِّفه «كلَّ الحرص على أن لا يذكر كتابي أو يحيل إليه» ـ كما قال ـ[2].

وسيعتمد بحثُنا في البرمجة الزمنية على هذا المرجع الهامِّ، فيما يخصُّ تعامل الصحابة مع الزمن، ونماذج من البرامج اليومية لدى جلَّة علماء الأمَّة، من مختلف العصور، وفي شتَّى الاهتمامات والتخصُّصات.

- **3. الشباب وأوقات الفراغ**، لأحمد حسن كرزون (1416هـ/1986م)[3]: وهو عبارة عن محاضرة في وقت الفراغ من منظور إسلاميٍّ، قدِّمت ضمن بحوث «الندوة السابعة لعمادات شؤون الطلَّاب في جامعات المملكة، التي انعقدت في رحاب جامعة الملك فيصل لعام 1406هـ، لمناقشة موضوعها التربويِّ الرئيسيِّ عن استثمار أوقات الفراغ»[4].

قسَّمه صاحبُه إلى ثلاثة فصول مركَّزة، تناول في **الفصل الأوَّل** «الوسائل التي دعا إليها الإسلام لاستثمار أوقات الفراغ»، ومنها: أنشطة المسجد، ورعاية الأسرة المسلمة، والتربية الرياضية.

أمَّا **الفصل الثاني** فخصِّص لـ«خطورة إشغال وقت الفراغ من غير تنظيم أو

(1) أبو غدَّة: **قيمة الزمن عند العلماء**؛ ص122.

(2) **نفس المرجع**؛ ص7.

(3) دار ابن حزم، بيروت، ط4: 1419هـ/1998م.

(4) كرزون: **الشباب وأوقات الفراغ**؛ ص11.

مراقبة، على مستقبل الطالب وسلوكه». وفي **الفصل الثالث** تعرَّض المحاضر لـ«أهداف استثمار أوقات الفراغ لدى الشباب خلال الإجازة الصيفية» في مختلف مجالات الحياة.

وقد تميَّز المؤلِّف بالطرح العلميِّ، من تحقيق النصوص وتخريجها، ومعرفة المصادر والاستفادة منها، إلَّا أنَّ صغر حجم المؤلَّف لم يسمح له باستيعاب مجالات علم اجتماع الفراغ، من منظوره الإسلاميِّ.

وسيكون لهذا العمل أثرُه في التأصيل للبرمجة الزمنية، بقدر ما لعلم اجتماع الفراغ من علاقة بالبرمجة الزمنية من منطلقها الفكريِّ الإسلاميِّ، المنتظر من هذا البحث.

- **4. الوقت هو الحياة: دراسة منهجية للإفادة من أوقات العمر**، للدكتور عبد الستار نوير، من جامعة قطر (ط1: 1406هـ/1986م)[1]: يعتبر هذا العمل في مجمله «ثمرة لدراسة طويلة لأصول الإسلام وتعاليمه، وما يتَّصل بذلك من علوم الأخلاق والتربية وغيرها»، هذا في الجانب النظريِّ، أمَّا من الجانب العمليِّ فهو «خلاصة تجارب كثيرة في الواقع»[2].

رغم أنَّه لا يمكن تصنيف هذا العمل ضمن علم من العلوم الزمنية، إلَّا أنَّ كثرة المواضيع التي كتب فيها، جعلته يلمس كثيرا من النقاط المفيدة للدارس في مجال البرمجة الزمنية، من ذلك مثلا:

الأصول النظرية للانتفاع بأوقات العمر: ـ عقيدة الحقِّ ـ الغاية العليا ـ التخطيط ورسم المنهج. وفي الأصل الثالث اهتمَّ بالبرامج المتفرِّعة من البرمجة اليومية، المرحلية، والسنوية... واعتبر النظام اليوميَّ «هو المقصود النهائيُّ من التخطيط»[3].

(1) دار الثقافة، قطر، ط2: 1408هـ/1988م؛ ص8.

(2) نوير: **الوقت هو الحياة**؛ 10.

(3) **نفس المرجع**؛ ص108.

ومن أمتع أجزاء هذا البحث ما أسماه بـ«مبادئ الانتفاع بأوقات العمر: القواعد العمليَّة» أوصلها إلى اثنتي عشرة قاعدة، وفيها ما يدخل ضمن الإطار الموضوعي للبرمجة الزمنية.

- **5. النوم والأرق والأحلام: بين الطبِّ والقرآن**، للدكتور حسان شمسي باشا (ط1: 1411هـ/1991م)[1]: بحث تأصيليٌّ، من تأليف متخصِّص في المادَّة المدروسة، متحكِّم في مصدره: القرآن الكريم، بل وحتى في السنَّة النبوية المطهَّرة، وفي الطبِّ الإسلاميِّ عبر تاريخه.

من أبرز فصول هذا الكتاب فصل عن النوم المبكِّر، والاستيقاظ المبكِّر، قارن فيه بين ما جاء في النصوص الشرعية وما توصَّل إليه الغربيُّون من خلال أبحاث الساعة البيولوجية، كما دقَّق البحث في مدَّة النوم، وأصحاب النوم الطويل والنوم القصير، وخطر الحرمان من النوم...

والحقُّ أنَّ مثل هذه المبادرات العلمية المركَّزة في جانب من جوانب البحث في البرمجة الزمنية، تعتبر من اللبنات الأساسية لإتمام بناء هذا المجال الخصب من الدراسات الزمنية.

- **6. وقفات مع الوقت، وكيفية استغلال الفراغ**، لعبد الإله بن إبراهيم داود (ط1: 1413هـ/1993م): رسالة صغيرة، ضمن سلسلة «نصائح مهمَّة لشباب الأمَّة»، وهي عبارة عن «وريقات تمَّ جمعها من عدد من الكتب النافعة»[2].

قسِّمت الرسالة إلى وقفات عدَّة أهمَّها: وقفة في أسبابٍ تعين على حفظ الوقت، وبماذا تستغلُّ أوقات الفراغ. ولم تتعرَّض لتنظيم الوقت إلَّا في فقرة واحدة، لا تفي بالغرض، ولا تضيف شيئا يُذكر.

- **7. الزمن: نظرة علمية وإسلامية**، بقلم الدكتور السيد سلامة السقَّا

(1) نشر دار المنارة، جدَّة؛ ط1: 1411هـ/1991م.

(2) عبد الإله: **وقفات مع الوقت**؛ ص3.

(ط1: 1414هـ/1994م): المؤلِّف أستاذ في الأمراض الباطنية والقلب، بجامعة الإسكندرية، والمؤلَّف «محاولة لاستعراض بعض المفاهيم عن ذلك المجهول، الذي نعيشه ونتعايش معه، ولا نملك أيَّ سلطان عليه»[1]: إنَّه الزمن.

ولا نخطئ الصواب إن قلنا إنَّ جلَّ المواضيع المتعلِّقة بالزمن قد أُدرجت في هذا الكتاب، فمنها: الزمن واللغة، قياس الزمن، التوقيت، التقويم، الزمن والأرض، الزمن والكائنات الحية، نموُّ الإنسان والزمن... هذا ما جعله أشبه بموسوعة مصغَّرة منه ببحث علميٍّ متكامل.

والمطالع لهذا الكتاب يتبين له أنَّ بعض المباحث لا تعدو أن تكون نقلًا وتجميعًا؛ لكنَّ المؤلف لا يحيل إلى مصادره ومراجعه.

إلَّا أنَّ الأمر المحمود في هذا العمل هو الاعتماد على القرآن كمصدر أوَّل، وبعض التفسيرات التي حاول فيها المؤلِّف أن يجتهد، فحلَّل وناقش، وأحيانا أجاد وأفاد.

ولعلَّ أقرب محاور الكتاب إلى البرمجة الزمنية ما عرِّف بالنظام الفطريِّ أو الحيويِّ، وفيه تفصيل عن الساعة البيولوجية.

- **8. كيف تستثمر أوقاتك: دليلك في تنظيم الوقت واغتنامه واستثماره**، لرضا علوي سيد أحمد (ط1: 1414هـ/1993م): دراسة مفيدة وغنية، تحمل تذكيرات وملاحظات «مستوحاة من رؤى الدين، والعقل، والعلم، والتجارب»[2].

ولقد خصَّص المؤلِّف بابا كاملًا لتنظيم الوقت، فأحسن فيه، إذ استطاع أن يضبط قواعد هامَّة، ويؤسِّس عليها البرمجة الزمنية للمسلم المعاصر، مع الاستناد

(1) **نفس المرجع**؛ ص5.

(2) رضا علوي: **كيف تستثمر أوقاتك**؛ ص9.

إلى النصوص القرآنية والحديثية والتراثية[1].

ولا شكَّ أنَّ هذا العمل قد تخطَّى مرحلة التوسُّع والإثارة، إلى مرحلة التدقيق والتقنين في إدارة الوقت، وبالتالي يعدُّ لبنة أساسية للبرمجة الزمنية في الفكر الإسلاميِّ.

- **9. الزمن في حركة العاملين: دراسة في الدلالات الحركية للزمن**، حسين بركة الشامي (1413هـ/1993م): مشاركة تحليليةٌ جادَّة، لم يُسبق إليها في منهجها وموضوعها، حاولت أن «تكتشف البعد الحركيَّ للزمن في تجارب الأنبياء والمصلحين، وحركة العاملين في سبيل الله»[2].

ولقد وفِّق صاحبها إلى حدٍّ بعيد في تتبُّع حركة الأنبياء رضوان الله عليهم، ثم حركة الرسول ﷺ بالخصوص، مع إبراز تعاملهم مع الزمن، وقيمة الزمن في شتى مراحل حياتهم الدعوية.

وفي القسم الثاني دقَّق في مناهج دراسة «حياة أئمة أهل البيت»، فاختار المنهج الحركيَّ، من مدخل جديد «يستنطق حركة الزمن، ليستنبط منها القيم الحركية والمعطيات الحية»[3].

وإن كنَّا نأمل لو أنَّ المؤلِّف حاول أن يبني برامج يومية للأنبياء، وبخاصَّة الرسول ﷺ، وكذا لأئمة أهل البيت، غير أنَّه لم يفعل، فلو فعل لاستفدنا من عمله أكثر في مجال بحثنا.

- **10. أهمية الوقت في حياة الفرد وبناء المجتمع**، يوسف بن علي بديوي

(1) أغلب هذه النصوص مستخرج من أمَّهات المصادر الشيعية، والحق أنَّها ثرية وعميقة، مما يشجع على اقتراح بحث منهجيٍّ مقارن بين النصوص الحديثية والتراثية ـ في مادة الزمن ـ من مدخل مذهبي، وتحليل المفاهيم التي بنيت على تلك النصوص، مما يمكن تسميته بـ: **التفسير المذهبي للزمن**.

(2) **نفس المرجع**؛ ص9.

(3) الشامي: **الزمن في حركة العاملين**؛ ص97.

(1414هـ/1994م)[1]: حاول المؤلِّف أن يعرض كلَّ ما له علاقة بقيمة الوقت، فبدأ بالقرآن الكريم، وثنَّى بالسنَّة النبويَّة، وبعدها بيَّن بعضا من خصائص الوقت، وأخيرًا عقد بابا لاهتمام العلماء المسلمين بالوقت.

ومما يسجَّل عليه أنَّه لم يضبط موضوعه جيِّدا، وأكثرَ من النقول، وبخاصَّة من كتاب «قيمة الزمن عند العلماء»، والغريب أنَّه عمَّى عليه، ولم يذكره ضمن مراجعه. بل إنَّ نفس المصادر – بصفحاتها – ذكرها بديوي[2]، ولم يضف مصادر ولا نصوصا جديدة في ترجمة العلماء الذين أوردهم.

وكأنَّ الشيخ أبا غدَّة يقصده في مقدِّمته حين قال: «وإنَّه ليسرُّني أن ينتفع هذا المحبُّ، أحد أبنائي في الطلب والتحصيل بكتابي، ويقتبسه بجملته وجمهرته، وكنت أودُّ أن يذكر من أين اقتبس هذه النصوص التي ألَّف كتابه منها، أداء للأمانة»[3].

■ **11. وقت الفراغ وأثره في انحراف الشباب**، عبد الله بن ناصر السدحان (1415هـ/1994م)[4]: دراسة منهجية، تصنَّف ضمن علم اجتماع الفراغ، من باحث متخصِّص، سبق له أن نشر رسالة للماجستير في هذا المجال، طُبعت بكفالة المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، بالرياض.

هي محاولة رائدة في تأصيل علم اجتماع الفراغ، وصاحبها يتحكَّم جيِّدًا في المادَّة المدروسة، وفي النصِّ الشرعيِّ، وله معرفة بروح الشريعة الإسلامية.

ومن أهمِّ ما يشاد به توظيفه للنصوص الحديثية ـ مثل حديث: «اغتنم خمسا

(1) دار الكلم الطيب، دمشق، ط2: 1415هـ/1995م.

(2) انظر مثلا: ترجمة الطبري في: أبو غدَّة: **قيمة الزمن عند العلماء**؛ ص41-42. وعند بديوي؛ ص76. وقارن الهوامش.

(3) أبو غدَّة: **نفس المرجع**؛ ص6.

(4) نشر مكتبة العبيكان، الرياض، 1415هـ/1994م.

قبل خمس...»[1] ـ في استمارة البحث، لمعرفة مدى تطبيقها أو عدم تطبيقها من قِبل الشباب والأحداث موضوع الاستبيان. وبهذا توصَّل إلى توصيات واقعية أصيلة، منها: «ضرورة تقوية الوازع الدينيِّ لدى الشباب، باعتباره خطًّا دفاعيًّا أوَّليًّا (...) وذلك بتكثيف الجرعات التوجيهية الإسلامية». و«ضرورة تشديد الرقابة على ما يعرض في وسائل الإعلام (...) حتى لا يعرض ما يثير الغرائز»[2].

■ **12. الخطَّة البرَّاقة لذي النفس التوَّاقة**، للدكتور صلاح الخالدي (1416هـ/1996م)[3]: جهد علميٌّ قيِّم، عايش صاحبه كثيرا من «الشباب الصالحين، أصحاب العلم والرغبة والهمَّة»، فكانوا دوما يطلبون منه اقتراح خطَّة، يجيب فيها عن أسئلتهم: «... كيف نبرمج ساعات أيامنا؟ متى ننام؟ وكم ساعة ننام؟ ما أنسب الأوقات للقراءة والتحصيل؟»[4].

ولقد استجاب الخالديُّ لطلبهم، فألَّف كتابه هذا، متَّخذا سورة العصر ومعانيها العميقة منطلقه وركيزة تحليله، كما أنَّه تناول مواضيع مندرجة تحت البرمجة الزمنية كما عرَّفناها، منها:

- الهدف من الحياة.

---

(1) هذا الحديث رواه الحاكم والمنذري: «قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: **اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحَّتك قبل سقمك، وغناءك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك**»، بسند: «الحسن بن حكيم== ==المروزي، أنبأ أبو الموجه، أنبأ عبدان، أنبأ عبد الله بن أبي هند، عن أبيه، عن بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: **اغتنم خمسا...**»، قال الحاكم: «**هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه**». الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري (ت. 405هـ/1014م): **المستدرك على الصحيحين**؛ تح. مصطفى عبد القادر عطا؛ دار الكتب العلمية، بيروت؛ ط1: 1411هـ/1991م؛ حديث رقم 7846، ج4/ص341. المنذري، أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي (ت. 656هـ): **الترغيب والترهيب**؛ تح. إبراهيم شمس الدين؛ دار الكتب العلمية، بيروت؛ ط1: 1417هـ؛ حديث رقم 5081، ج4/ ص125.

(2) السدحان: **وقت الفراغ**؛ ص154.

(3) نشر دار القلم ـ الدار الشامية، دمشق ـ بيروت؛ سلسلة كتب قيمة، رقم 8؛ ط2: 1419هـ/1998م.

(4) الخالدي: **الخطَّة البرَّاقة**؛ ص7.

- ترتيب الأولويات.

- التخطيط والبرمجة.

- مع صاحب العلم في ساعات يومه...

ويميِّز هذا العملَ: عمق في التحليل، وحركية في الطرح، وتأصيل في المنهج، حتى إنَّنا لنشيدُ له بالسبق في موضوع البرمجة الزمنية، في بعض جوانبها الهامَّة، من منطلق تطبيقيٍّ لا نظريٍّ فقط.

■ **13. الوقت هو الحياة**، ياسين عيسى العاملي (1418هـ/1997م)[1]: هذا كتاب آخرُ في قيمة الوقت من منظور شيعيٍّ، أعِدَّ بأسلوب خاصٍّ، وتناول مواضيع لم نألفها في الكتب الأخرى التي درست هذا الموضوع، ومن هذه المواضيع مثلا: الحكمة من طول عمر إبليس اللعين، وتأويل الأيام بالنبي ﷺ وبالأئمة عليهم السلام...

كما أنَّ مؤلِّفه اهتمَّ بإدارة الوقت، وتخطيط الوقت، وتنظيم الوقت، ومرحلة التنفيذ...

وعموما يُعتبر هذا المؤلَّف من المراجع المفيدة والهامَّة، لمن أراد الدخول إلى مجال البرمجة الزمنية من باب التأصيل الفكريِّ الإسلاميِّ بجميع انتماءاته ومواقعه.

• ثانيا • البحوث الجامعية

في فترة وجيزة جدًّا بدأت البحوث الزمنية التأصيلية تظهر ضمن متطلَّبات الجامعات العربية والإسلامية، من بعض التخصُّصات والفروع، وهذا أنموذج لِما أعدَّ، يرجع أقدمها ـ فيما وقعت اليد عليه ـ إلى أواسط العقد الماضي، نعرضه مرتَّبا ترتيبا تاريخيا:

■ **1. أهمية الوقت وإدارته: من المنظورين الوضعي والإسلامي، دراسة مقارنة،**

(1) دار الهادي، لبنان، ط1: 1418هـ/1997م.

للطالب لطفي عبد القادر غرايبة (1415هـ/1995م)[1]: بحث مقدَّم لنيل شهادة الماجستير في الإدارة وأصول التربية، في جامعة اليرموك بالأردن، حاول فيه صاحبه أن يجيب على ثلاثة أسئلة هي:

- ما أهمية الوقت وإدارته من المنظور الوضعيِّ؟
- ما أهمية الوقت وإدارته من المنظور الإسلاميِّ؟
- ما أوجه الشبه والاختلاف بين المنظورين؟[2]

اشتمل البحث على سرد تاريخيٍّ لتطوُّر مفهوم الزمن وأهميته لدى الفلاسفة، والفزيائيين، وعلماء الإدارة، ثم لدى العلماء المسلمين المعاصرين؛ ثم خلُص إلى نتائج تحليلية مقارنة، فيما يتعلَّق بـ: مفهوم الوقت، والخصائص، وتقنيات التنظيم، ومشكلات الوقت، والنظرة إلى الماضي والمستقبل...

- **2. التربية الترويحية في الإسلام**، للطالب أحمد عبد العزيز أبو سمك (1417هـ/1996م)[3]: قدِّم هذا البحث استكمالًا لمتطلَّبات درجة الماجستير في تخصُّص التربية الإسلامية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، بجامعة اليرموك، الأردن.

إذا تخطَّينا القسم الخاصَّ بالتربية في الإسلام، فإنَّ الذي يمكن أن نستفيده من هذا البحث للإسهام في الإجابة على إشكالية البرمجة الزمنية من منظورها الإسلامي يتمثَّل في: فصل الضوابط الشرعية المتعلِّقة بالنشاط الترويحيِّ، وكذا بصورة أعمق ما يعرف بمحاضن التربية الترويحية، وهي: الأسرة، والمسجد، والمدرسة، والنادي...

وفي البحث إشارات إلى أوقات الفراغ من منظور إسلاميٍّ، ومقترحات عملية

(1) إشراف الدكتور سامح محافظة .

(2) غرايبة: **أهمية الوقت وإدارته**؛ ص7.

(3) إشراف الدكتور حسين جابر بني خالد.

لإشغالها وفق الضوابط الشرعية.

- **3. مفهوم الزمن في القرآن الكريم**، للطالب محمد بن موسى باباعمي (1418هـ/1997م): رسالة ماجستير في العقيدة والفكر الإسلاميِّ[1]، قدِّمت في جامعة الخروبة بالجزائر، فاعتمدت القرآن الكريم كمصدر أساس، واعتبرت المؤلَّفات الأخرى مراجعَ، فحاول الباحث أن ينطلق منه لصياغة إشكالياته، وتأسيس مسلَّماته وفروضه، وبناء خطَّته... ثم اختبار تلك الفروض.

وهذا البحث سيفيد في تحديد المفاهيم الزمنية القرآنية، ومعرفة المقادير الزمنية اليومية وفوق اليومية في القرآن الكريم، كما أنَّه يحوي جدولا مفصَّلا للآيات الزمنية من مداخل مختلفة، منها مدخل البرمجة الزمنية، الذي مثَّل نسبة معتبرة مقارنة بالمداخل الأخرى... وقد سبق للباحث أن دعا إلى ضرورة إفراده ببحث مستقلٍّ[2].

- **4. قيمة الوقت في التربية الإسلامية**، إعداد الطالبة انشراح أحمد اليبرودي، ماجستير في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، بجامعة اليرموك، الأردن (1417هـ/1997م)[3]:

وقد حلَّلت فيه الطالبة نقاطا هامَّة، منها: مبادئ عامَّة في الإفادة من الوقت وتوجيهه في ضوء القرآن والسنَّة، وكان المبدأ السابع من هذه المبادئ متمثِّلا في: مبدأ اختيار الوقت المناسب. ثم تطرَّقت إلى قيمة الوقت في التعليم المسجدي عبر التاريخ الإسلاميِّ، ومن أهمِّ عناصر هذا العنوان:

- برنامج اليوم الدراسي.
- البرنامج الأسبوعي.

(1) إشراف الدكتور أحمد موساوي.

(2) باباعمي: **مفهوم الزمن**؛ ص125.

(3) إشراف الدكتورين حسيب حسن السامرائي، وعلاونة شفيق فلاح.

- العطل والإجازات.
- أثر افتقاد الهدف في ضعف التحصيل.
- مراعاة التدرُّج وتقديم الأولويات.

وذكرت الباحثة أنَّ هذا الموضوع لم يبحث «في دراسات سابقة، سوى من بعض جوانبه»[1]. وهذا البحث سيساعد في التأريخ، والتنظير، والتأصيل للبرمجة الزمنية، من مدخل تربويٍّ شرعيٍّ.

- **5. أبعاد الزمان والمكان في السنَّة النبويَّة، من واقع السنَّة**، للطالبة علية جواد عبد الرحيم الهرش (1418هـ/1998م)[2]: هو بحث تكميليٌّ لنيل درجة الماجستير، في علوم الوحي والتراث، الدراسات القرآنية والحديثية، في كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، بالجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا.

يندرج هذا البحث ضمن البحوث الأصولية ـ الفقهية ـ الحديثية، والهدف منه هو الإسهام في تحليل وتحقيق القاعدة الأصولية: «**لا ينكر تغيُّر الفتوى بتغيُّر الأزمنة والأمكنة، والأحوال، والنيات، والعوائد**»[3].

وقد كان البحث في مجمله مفيدا، لولا إسهاب الباحثة في المقدِّمات[4]، ومحاولة عرض تقسيمات السنَّة عند المحدِّثين[5] وعند الأصوليين[6]، فلم يتمَّ لها الدخول في صلب الموضوع إلَّا في الفصلين:

(1) اليبرودي: **قيمة الوقت في التربية**؛ ص3.

(2) إشراف الدكتور محمد أبو الليث. ويجدر أن أشير هنا إلى أنَّني تلقيت هذه الرسالة من المعهد العالميِّ للفكر الإسلاميِّ، بأمريكا، بعد مراسلات وطلب إعانات بيبليوغرافية، فبعثوها مشكورين مع البريد. وكان لهذا الفعل الحضاري الأثر الطيب على النفس، وعلى البحث.

(3) الهرش: **أبعاد الزمان والمكان في السنَّة**؛ ص. ب.

(4) **نفس المرجع**؛ ص1-22.

(5) **نفس المرجع**؛ ص25-30.

(6) **نفس المرجع**؛ ص31-40.

الثالث[1] الذي عنوانه: «**نماذج تطبيقية لأبعاد الزمان والمكان في السنَّة النبوية**»، والرابع المعنون بـ«**ضوابط معرفة أبعاد الزمكان والمكان في السنَّة النبويَّة**».

أمَّا من حيث الاستفادةُ منه لبحثنا هذا فتبقى محدودة جدًّا؛ لأنَّ الإشكاليات مختلفة، ومجال الدراستين متباين.

- **6. آيات الزمن في القرآن الكريم، دراسة تحليلية موضوعية**، للطالب عبد الغفور محمد القيسي (1419هـ/1998م): أطروحة دكتوراه في أصول الدين، قسم التفسير، جامعة بغداد[2].

في هذه الأطروحة عالج الطالب نقاطا لها علاقة بالبرمجة الزمنية منها:

- أقسام الزمن في القرآن الكريم.
- فضائل الأزمنة.
- أثر الزمن في العبادات والمعاملات...

غير أنَّ عدم تمكُّننا من الحصول على النصِّ الكامل للأطروحة لم يسعفنا في تقويم محتواها، والحكم على مادَّتها ومنهجها.

- **7. الزمن في القرآن الكريم**، إعداد عودة عبد عودة عبد الله (1419هـ/ 1999م): رسالة ماجستير في القرآن الكريم وعلومه[3].

بحث اعتمد على المدخل بالمفردات الزمنية الواردة في القرآن الكريم، منها:

- الألفاظ الفاضلة.

(1) الهرش: **أبعاد الزمان والمكان في السنَّة**؛ ص51-96.

(2) إشراف الدكتور الدباغ عبد الغفور محمد طه.

(3) جامعة آل البيت، المفرق، الأردن؛ إشراف الدكتور الزقَّة عبد الرحيم . اعتبر الباحث دراسته الأولى من نوعها بمدخل قرآني، غير أنَّه سبق ـ كما رأينا ـ بماجستير باباعمي، ثم دكتوراه القيسي. ولا يمكن البتَّة إلقاء اللوم على الباحث، لأنَّ عملية تبادل المعلومات، وقوائم البحوث الجامعية في الجامعات العربية لا تزال في بداياتها، تخضع لطرق تقليدية غير مجدية.

- المفردات القريبة من معنى الزمن.
- الليل والنهار وأجزاؤهما.
- اليوم ودلالته.
- الشهر والسنة والقرن...

لا غرو أنَّنا سنعتمد هذه المباحث، ونعتمد كذلك على مباحث أخرى غير لفظية، مثل: تحديد الصلاة بخمسة أوقات، وزمن العورات الثلاث...

ولقد أنهى الباحث دراسته بتوصيات منها: «ضرورة إيلاء موضوع الزمن أهمية بالغة، وذلك من خلال الحثِّ على القيام بدراسات متخصِّصة»[1].

والبرمجة الزمنية في الفكر الإسلاميِّ تندرج تحت هذا الإطار، وترمي إلى تحقيق هذا الهدف العلميِّ الدقيق.

• الملاحظات الأساسية •

أهمُّ ما يلاحظ بعد هذا العرض هو:

(أ) • المؤلَّفات والأبحاث الخاصَّة بالزمن من نافذته الإنسانيِّة التنظيمية **جديدة**: فهي **وليدة مستهلِّ القرن الخامس عشر للهجرة/الثمانينيات من القرن العشرين**؛ حتَّى إنَّ الدكتور أبو غدَّة اعتبر كتابه «قيمة الزمن عند العلماء» (ط1: 1404هـ/1984م) الرائد في هذا المجال، وأنَّه «لقي القبول والرواج الحسن، في محيط طلبة العلم والعلماء والمثقَّفين عامَّة، وحرَّك همم كثير من الأساتذة الفضلاء إلى الكتابة في موضوعه، والاستفادة منه، والاقتباس من أخباره ونصوصه»[2]، ثم عدَّد ثلَّة من الذين استفادوا من كتابه، أو نقلوا منه بعزو أو بغير عزو.

ويبدو أنَّ كتاب «**الوقت في حياة المسلم**» للدكتور يوسف القرضاوي، هو

(1) عودة: **الزمن في القرآن الكريم**؛ ص218.

(2) أبو غدَّة: **قيمة الزمن عند العلماء**؛ ص6.

الأسبق تاريخيا، فإنَّ الطبعة الثالثة منه كانت سنة 1405هـ/1985م.

(ب) • أمَّا البحوث الجامعية الأولى، فهي أحدث زمنا[1]، إذ الملاحظ أنَّها أُعدَّت في **نهاية القرن الماضي فقط**، أوَّلها بحث «أهمية الوقت وإدارته من المنظورين الوضعي والإسلامي» للطالب غرايبة أحمد (سنة 1415هـ/1995م)، وآخرها رسالة بعنوان «الزمن في القرآن الكريم» للطالب عودة عبد الله (1419هـ/1999م).. وهي كلُّها **رسائل ماجستير**، أمَّا **أطروحة دكتوراه دولة الوحيدة** التي عثرتُ عليها، فهي التي نوقشت بجامعة بغداد، للطالب عبد الغفور القيسي، عنوانها «آيات الزمن في القرآن الكريم»، وقد أنجزت سنة (1419هـ/1998م).

(ج) • أغلب من كتب عن الزمن، من مدخل إسلاميٍّ، **لاحظ الندرة والقلَّة في هذا المجال**، ونبَّه إليها في مقدِّمته، فهذا الدكتور عبد الستار نوير يشير في كتابه إلى صعوبة الموضوع «لغموضه ودقَّته، ولعدم توافر مراجعه التي تسعف الكاتب بالمادَّة العلمية، باستثناء كتاب الله وسنَّة رسوله»[2].

وصرَّح غرايبة أنَّه أجرى مسحًا «شاملا للدراسات السابقة» فحصر الدراسات التخصُّصية الفلسفية والإدراية، أمَّا عن «الجانب الإسلاميِّ» فيقول: «لم يعثر الباحث على دراسات علميَّة»[3] في موضوع بحثه.

وسبقت الملاحظة في بحث «مفهوم الزمن في القرآن الكريم» أنَّه رغم «أهميَّة الزمن وبُعده العميق في الفكر الإسلاميَّ (...) غير أنَّ الدراسات حوله تبقى نادرة ـ إن لم نقل منعدمة ـ في الجامعات الإسلامية، وبخاصَّة منها ما ينفذ من منظور قرآنيٍّ»[4].

(1) قد توجد بحوث جامعية أسبق، فإنَّني لا أدَّعي الاستقصاء التامَّ، ولا يمكنني ذلك. وإنَّما حجَّتي أنني اتَّصلتُ بمجمع البحوث العربية، في الجامعة الأردنية، وطالعت الكثير من البيبليوغرافيات، كما أنَّ أصحاب الرسائل الجامعية المذكورة كلّهم قد أدلوا بهذا الحكم.

(2) نوير: **الوقت هو الحياة**؛ ص8.

(3) غرايبة: **أهمية الوقت**؛ ص14.

(4) باباعمي: **مفهوم الزمن**؛ ص10.

كما يأمل حسين بركة الشاميِّ أن تسهم دراسته (1413هـ/1993م) «في إثارة الموضوع بشكل جادٍّ، وتدفع الباحثين في الفكر الإسلاميِّ والدراسات الحركية إلى المبادرة في معالجة مسألة الزمن، وعلاقتها بالواقع الاجتماعيِّ والثقافيِّ والسياسيِّ للأمَّة الإسلامية»[1].

(د) • بعض المؤلَّفات عبارة عن «صحائف»[2]، و«وقفات، ووريقات»[3]، و«كلمات في أهمية الوقت»[4]، و«رسائل موجزة»[5].

(هـ) • إنَّ هذه الأعمال **لمَّا تنتظم بعدُ تحت منهج واضح المعالِم**، يمكِّن من تطويرها وتعميقها، بل إنَّها أخذت من كلِّ علم بطرفٍ، ففيها ما اهتمَّ بالقرآن أساسًا، أو بسيرة العلماء خاصَّة، وفيها ما يلحق بالترويح، أو بالفراغ، أو بإدراة الوقت، وأغلبها لا يتأتَّى تصنيفه في أيِّ علم من العلوم الزمنية السابقة.

هذه جملة من الملاحظات الأساسية، عرضناها بناء على ما تمَّ جمعه من دراسات إسلامية سابقة، أمَّا ما لم نحصل عليه من عناوين، ممَّا ذكر في المراجع التي بين أيدينا، فإنَّنا سندرجه ضمن ملحق «**ببليوغرافية الدراسات الزمنية باللغة العربية**»[6] في نهاية هذا البحث إن شاء الله. وما أثبتناه هنا كاف ـ حسب تقديرنا ـ لإعطاء صورة عمَّا ألِّف في هذا المجال، ممَّا أنتجته البلاد العربية والإسلامية.

(1) الشامي: **الزمن في حركة العاملين**؛ ص11.

(2) القرضاوي: **الوقت في حياة المسلم**؛ ص3.

(3) عبد الإله: **وقفات مع الوقت**؛ ص3.

(4) بديوي: **أهمية الوقت**؛ ص8.

(5) كرزون: **الشباب وأوقات الفراغ**؛ ص11.

(6) انظر: الملحق: **ببليوغرافية البحوث الزمنية**.

نتائج الفصل الأول

من خلال هذا الفصل نسجِّل جملة من النتائج، تندرج كلُّها إمَّا ضمن **المصطلح**، أو **المنهج**، وهي:

1. يعاني المصطلح العربيُّ في مجال الدراسات الزمنية من **التأخُّر**، و**عدم التوحُّد**، بل و**الاضطراب** أحيانا.
2. «**الزمن**»، و«**الزمان**»، و«**الوقت**» كلُّها صيغ مستعملة في **اللغة**، وهي مترادفات، لا نجد فروقا بينها في الاستعمال.
3. مادَّة «ز.م.ن» غير مستعملة في **القرآن الكريم**، أمَّا «و.ق.ت» فاستعملت بصيغ عديدة.
4. في **الحديث النبويِّ الشريف**، وفي **الشعر**، و**النثر العربيِّ** نقرأ جميع هذه الصيغ، بمختلف تصاريفها.
5. **مصطلح «البرمجة الزمنية» غير مدرج في القواميس العربيَّة كمادَّة مستقلَّة**، فعرَّفنا جزئيه «الزمن» و«البرمجة» تعريفا أوليا، ثم عرَّفناه باعتباره لقبا مركَّبا، والحاصل بين التعريفين، أنَّ البرمجة الزمنية هي: **توزيع الأعمال على الأزمان، توزيعا منهجيا**.
6. أعني باستعمال مصطلح «**أصول**» الإسهام في عملية **تأصيل العلوم الإسلامية**، وأقصد به:
   - **أوَّلا**: البحث عن **الأدلَّة** من المصادر الشرعية، في مجال البرمجة الزمنية.
   - **ثانيا**: محاولة صياغة **قواعد**، مستنبطة من الأصول العامَّة للفكر الإسلامي، تكون مرتكزا للبرمجة الزمنية.
7. يقصد بـ«الفكر الإسلاميِّ» في هذا البحث أشمل معانيه، أي: **المحاولات العقلية لفهم الإسلام وشرحه من مصادره الأصلية، سعيا للانسجام مع ما**

خلق الله، في التسليم والاستسلام التامِّ لله.

8. يقترح الباحث إنشاء «**لائحة العلوم الزمنية**» لتكون سندًا للدارسين في هذا المجال، من مختلف التخصُّصات والاهتمامات العلميَّة.

9. بعد استقراء واسع تبيَّن أنَّه **ليس ثمَّة علم قائم بذاته**، واضح المعالم، بيِّن المنهج، يُعنى بالبرمجة الزمنية كما ضبطناها في هذا البحث.

10. جملة العلوم التي لها علاقة بالبرمجة، والتي قدَّم الباحث نبذة عنها، هي:

- علم إدارة الوقت.
- علم اجتماع الفراغ.
- الترويح (التربية الترويحية).
- ميزانية الوقت.
- دراسات النوم والأرق.
- علم «الساعة البيولوجية».
- عيِّنة من العلوم الأخرى.

11. فيما يخصُّ الدراسات الإسلامية في مجال الزمن من جانبه الإنسانيِّ التنظيميِّ، لوحظ:

- **على الكتب المستقلَّة: جدَّتها وقلَّتها**، فهي وليدة مستهلِّ القرن الخامس عشر الهجري/ الثمانينيات من القرن العشرين.
- **أمَّا البحوث الأكاديمية**: فتعود بداياتها إلى نهاية القرن الماضي فقط، وعددها محدود جدًّا.
- هذه الأعمال **لمَّا تنتظم بعد تحت منهج موحَّد مضبوط**، ممَّا يعرقل تطوُّرها وتعمُّقها.

12. ويقترح الباحث ـ أخيرا ـ إنجاز **عمل ببليوغرافيٍّ في مجال الدراسات**

الزمنية باللغة العربية، يكون مرجعا للباحثين، ومنطلقا لبحوثهم.

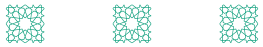

الفصل الثاني

أصول «البرنامج اليومي» في الفكر الإسلامي من خلال القرآن الكريم

- **المبحث الأول** : في المصطلح والمنهج.
- **المبحث الثاني** : البرنامج اليومي في القرآن الكريم (الليل والنهار).
- **المبحث الثالث** : البرنامج اليومي في القرآن الكريم (أجزاء الليل والنهار).

علم البرمجة الزمنية

الفصل الثاني

بما أنَّ مجال «البرمجة الزمنية» يتراوح بين علوم ومصادر تراثية تأصيلية، ومصادر حديثة مبتكرة؛ فإنَّ المفاهيم والمصطلحات تتحوَّل إلى معطًى مركزي، والقفز عليها دون التعريف بها، يعرض البحث كله للخلل، ولسوء الفهم، ومن ثم سوء العمل؛ ولذا فإنَّ هذا الفصل جاء ليضبط المفاهيم أولا، ثم يرسم معالم المنهج ثانيا، وأول ما نستهل به تعريف المفاهيم المحورية الثلاثة.

المبحث الأول في المصطلح والمنهج:

• أوَّلا • في المصطلح

أ تخطيط الوقت:

يرتبط مفهوم البرمجة ارتباطا وثيقا بمفهوم **التخطيط**، ذلك أنَّ تخطيط الوقت خطوة من خطوات البرمجة الزمنية[1]، فبينهما علاقة عموم وخصوص، إذ أنَّ جملة مراحل البرمجة الزمنية[2] هي:

1. تسجيل الوقت وتحليله.
2. تحديد الأهداف والأولويات.

---

(1) نظرا لهذا الارتباط الوثيق، عنون شيلينغ بحثه بـ: **تخطيط الوقت، كيف تقسِّم يومك**. وانظر ـ شيلينغ، و. تشارلز: **تخطيط الوقت، كيف تقسِّم يومك**؛ سلسلة: فن وعلم إدارة الأعمال، تصدر عن الإدارة العامة للبحوث؛ محرر السلسلة: دايل تيمب؛ تر. د. وليد عبد اللطيف هوانة، مر. د. سعود بن محمد النمر؛ معهد الإدارة العامة، السعودية، 1411هـ/1991م؛ ص255-261.

(2) أبو شيخة: **إدارة الوقت**؛ ص69-125. وقد عقد لكلِّ مرحلة من هذه المراحل فصلا مستقلًّا.

3. **تخطيط الوقت**[1].

4. السيطرة على مضيِّعات الوقت[2]...

ففي اللغة، تعرَّف الخُطَّة بعدَّة معان، منها: «الحال والأمر والخطب (...) من أمثالهم في الاعتزام على الحاجة : «جاء فلان وفي رأسه خُطَّة»، إذا جاء وفي نفسه حاجة وقد عزم عليها، والعامَّة تقول في رأسه خطية»[3].

ولم يَرِد هذا اللفظ بالإفراد ولا بالجمع في القرآن الكريم، وإنما جاء ذكره في حديث الحديبية: «لا يَسألوني **خُطَّة** يُعَظِّمون فيها حُرُماتِ الله إلا أعْطَيتهم إيَّاها». وفي نفس الحديث: «إنَّ هذا قد عرَضَ لكم **خُطَّة** رُشدٍ، اقبلوها»[4]. ومعنى الخطَّة هنا: «الحال، والأمر، والخطب....»[5] ويراد بها كذلك «أمرا واضحا في الهدى والاستقامة»[6].

وفي الاصطلاح يعرِّف معجم مصطلحات الإدارة **التخطيط** بأنَّه:

«• رسم الخطوطِ العريضة **للأهداف**، وطرقِ تحقيقها.

• الإجراء الذي يتَّخذ لتلبية حاجات المستقبل بأكثر الوسائل فعالية، على

---

(1) **نفس المرجع**؛ ص109-124.

(2) **نفس المرجع**؛ ص125-188.

(3) ابن منظور: **لسان العرب**؛ ج7/ص290.

(4) رواه **البخاري**؛ **كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتَّابه**؛ ج2/ص974، رقم 258؛ بسند: «عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر قال أخبرني الزهري قال أخبرني عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قالا خرج رسول ﷺ زمن الحديبية حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي ﷺ إنَّ خالد بن الوليد بالغميم...» الحديث.

(5) الجزري، أبو السعادات المبارك بن محمد (ت. 606هـ/1209م): **النهاية في غريب الأثر**؛ تح. طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي؛ المكتبة العلمية، بيروت؛ 1399هـ/1979م؛ ج2/ص48.

(6) **نفسه**.

أساس الخبرة السابقة، أو على أساس تحليل المعلومات الخاصَّة عن التنبُّؤ»[1] حول الموضوع المخطَّط له.

وبالتالي فإنَّ **التخطيط** بدايةً هو عملية ذهنية، مندفعة نحو المستقبل، تحاول أن تفكَّ أسراره، ثم تتوقَّع ما يحدث فيه، وتوجِّهه الوجهة المرغوب فيها، فهو كما يقول الدكتور أبو شيخة: «يعمل على تجسير الفجوة بين ما هو قائم فعلا، أو ما نحن عليه الآن، وبين ما نستهدف تحقيقه. إنَّه أسلوب يصل المستقبل بالحاضر» وهو في مجال الدراسات الزمنية «يعني وضع إطار مسبق للوقت، ووضع حدود له» وبالتالي يأتي الوقت ليكون «المحدِّد الأساس، والعنصرَ الحرج، لِما يُعمل وما لا يُعمل»[2].

ويلخِّص رضا علوي هذا المعنى، بقوله: «إنَّه "**التخطيط**" إحضارُ أو تصوُّر المستقبل في الحاضر، من أجل الوصول إلى الهدف المرسوم، بأقلِّ جهد، وأقلِّ تكاليف، وفي أقلِّ مدَّة زمنية»[3].

ويعبَّر عن هذا الإجراء في مراجع إدارة الوقت بعدَّة تعابير، كلُّها تصبُّ في معنى واحد، مع اختلاف يسير بينها، ومن هذه التعابير: «وضع قوائم بالأعمال المتوجِّبة»[4]، «برمجة الساعات»[5]، «توزيع واستغلال الوقت الخاصِّ»[6]، «رسم المنهج الموصل إلى تحقيق الغاية العليا»[7]، «صرف الوقت لتوفير الوقت»[8]...

(1) جونهاسن وروبرتسون: **معجم مصطلحات الإدارة**؛ ص110.

(2) أبو شيخة: **إدارة الوقت**؛ ص113.

(3) رضا علوي: **كيف تستثمر أوقاتك**؛ ص148-149.

(4) كينان، كيت: **فن تنظيم وبرمجة الوقت**؛ تر. مركز التعريب والبرمجة نعمت سليمان؛ الدار العربية للعلوم، لبنان؛ 1995؛ ص27.

(5) الخالدي: **الخطَّة البرَّاقة**؛ ص119.

(6) سلامة: **إدارة الوقت، منهج متطور**؛ ص28-29.

(7) نوير: **الوقت هو الحياة**؛ ص104.

(8) سيباني، خليل: **إدارة الوقت**؛ ص31.

أمَّا يوجين فيعبِّر عنه بـ«جلخ الفأس»، متمثِّلا للمقولة التقليدية القائلة: «لو كان عندي ثماني ساعات لأقطع بها شجرة، لأمضيتُ ستَّة منها في تجليخ الفأس»[1] ويعني بتجليخ الفأس ـ طبعا ـ **التخطيطَ**.

فبناءُ **البرنامج اليوميِّ** يعني **التخطيط** المسبق «لِما يُعمل وما لا يعمل» خلال فترة من الزمن، تقدَّر بأربع وعشرين ساعة، بناء على **غايات** مسطَّرة، وعلى **أهداف** محدَّدة ومرتَّبة حسب أهمِّيتها **وأولويتها**. ولذا توجَّب أن نؤصِّل لمشروعية **التخطيط** في الفكر الإسلاميِّ، قبل أن نلج إلى صلب الموضوع.

فلقد قال يوسف عليه السلام لقومه، مجيبا لهم طلبَهم بتفسير الرؤيا التي رآها الملك: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾[يوسف: 47-49].

وهذا التفسير بعينه هو تخطيط للمستقبل، **بأعمال مقدَّرة صفةً ووقتًا**، ولا يمكن أن يقال عنه إنَّه من قبيل الخوض في الغيب، بل هو مبنيٌّ على علم **بالأسباب والمسبّبات، ووعي تامٍّ بسنن الله تعالى في خلقه**، ولا يشكُّ من أوتي علما وإيمانا أنَّ النظام[2] من أبرز سمات ما خلق الله تعالى.

وخصائص هذه التنبُّؤات[3] التي ذكرها نبيُّ الله يوسف، تتمثَّل في أنَّها:

- لا تقوم على الظنِّ والتخمين، وإنَّما مرجعها إلى العلم اليقينيِّ: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾[يوسف: 37]. فليس هذا العلم «بكهانة، ولا عرافة، ولا تنجيم، ولا ما يشبهها»[4].

(1) جريسمان: **فن إدارة الوقت**؛ ص315.

(2) انظر ـ باباعمي: **مفهوم الزمن**؛ ص182-184، مبدأ النظام في الكون من خلال القرآن الكريم. وهذه القاعدة من المسلَّمات التي وضعناها أول البحث.

(3) باباعمي: **مفهوم الزمن**؛ ص211.

(4) رضا: محمَّد رشيد (ت. 1354هـ/1935م): **تفسير القرآن الحكيم، المشتهر باسم تفسير المنار للإمام محمَّد عبده**؛ دار المنار، مصر، ط4: 1373هـ/1956م؛ ج12/ص305.

- ارتبط التفسير بالواقع، ولم يرتبط بالغيبيات فقط، ففيه نظر في الرؤيا بداية، ثم «تحكيم للعقل» في الآية الأخيرة، وهذا التحكيم يقوم على معرفة «بالسنن الإلهية» التي لا تتخلَّف، ولا تتبدَّل، ولا تتغيَّر ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلٗا﴾[فاطر: 43].

من هنا نستفيد عمق **التخطيط** في الفكر الإسلامي ومشروعيته.

ب الجعل، والفرق بينه وبين التخطيط:

وينبغي أن نفرِّق بين **التخطيط**، الذي هو جهد من جهود الإنسان العقلية والفكرية، وبين «**الجعل**» الذي نسب في القرآن الكريم إلى الله تعالى، في مثل قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًا﴾[يونس: 67]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا﴾[الفرقان: 47].

و«**الجعل**» أعمُّ من **التخطيط**، ذلك أنَّه يرد بمعنى «خَلَقَ، وهيَّأ، وصَيَّر»[1]، وهو في القرآن الكريم يأتي بعد «الخلق» في الترتيب الزمنيِّ، ويعني «توجيه الشيء المخلوق إلى مهمَّته التي خُلق لها»[2]، وبالتالي فهو ـ في مجال البرمجة الزمنية ـ **وضع للأعمال في آنائها التي خُلقت لها**، في حين أنَّ **التخطيط** قد يعرف انحرافات تكون سببا للقلق والاضطراب والأمراض، لأنَّ المخطِّط هو ذات المخطَّط له، ولأنَّ الساعة الآلية هي المرجع الوحيد، حتى ولو كانت ـ في بعض الأحيان ـ مخالفة للفطرة وللساعة الداخلية للإنسان[3].

(1) ابن منظور: **لسان العرب**؛ ج11/ ص111-112. وقد حلَّل العلماء المعاني اللغوية لكلمة «الجعل»، وأوضحوا الفرق بينها وبين «الخلق»، و«التصيير»، و«الإبداع»، و«الإحداث»، و«التهيئة»... وبخاصَّة أنَّ بيان هذه الفروق يدخل في موضوع القرآن الكريم: هل هو مخلوق أم غير مخلوق؟ وانظر مثلا ـ الزركشي، أبو عبد الله بهادر بن عبد الله (ت. 794هـ/ 1391م): **البرهان في علوم القرآن**؛ تح. محمد أبو الفضل إبراهيم؛ دار المعرفة، بيروت، 1391هـ؛ ج4/ ص129-135.

(2) الشعراوي: **تفسير**؛ قرص مدمج، رقم3، تفسير الآية 67، سورة يونس. .

(3) Hall, ***La danse***, p.27-30.

ج البرنامج اليومي:

إنَّ مجرَّد وضع قائمة للأعمال والأهداف والأولويات، لا يعني أنَّ البرنامج قد اكتمل، بل لا بدَّ أن يضاف إلى القائمة عنصر **الوقت**، أي يحدَّد بوضوح «تدفُّق الأنشطة، وتوقيتها»[1].

فقط، عندما تنزَّل جملة الأعمال والأهداف والأولويات على القائمة، مرتبطة مع وقت البداية والنهاية، أي بالمدَّة الزمنية التي يفترض أن تستغرقها، يكون البرنامج قد اكتسب قيمته ومعناه، وحقَّ له أن يصنَّف ضمن عملية **التخطيط**.

العنصر	الأولوية	المدَّة المطلوبة	الإنجاز
–	**1**	0,5 سا	تمّ
–	3	2 سا	أجِّل ليوم غد
–	2		
–	2		
–	**1**		
–	3		
	2		

ملاحظة: • ينبغي أن أبدأ العمل باكرا اليوم.

• أترك باب المكتب مغلقا في الساعة الأولى من الصباح...

قائمة الأعمال اليومية

(1) أبو شيخة: **إدارة الوقت**؛ ص120.

وبإلحاق الوقت بالقائمة تتحوَّل إلى برنامج يوميٍّ، فتكون كالآتي:

العنصر	الوقت	الأولوية	المدَّة المطلوبة	الإنجاز
-	8:00	**1**	0,5 سا	تمّ
-	8:30	3	2 سا	أجِّل ليوم غد
-	9:00	2		
-	9:30	2		
-	10:00	**1**		
-	10:30	3		
	11:00	2		
ملاحظة: • ينبغي أن أبدأ العمل باكرا اليوم...				

برنامج الأعمال اليومية[1]*

ثمَّة قاعدة للنجاح مناسبة كلَّ مرَّة، «فلكلِّ رجل وامرأة على الأرض، الحياةُ مؤلَّفة من السنين، والأشهر، والأسابيع، والأيام... الوحدة الأساسية للحياة هي **يوم واحد**، واليوم الواحد مكوَّن من أفعال معيَّنة، يجب أن يؤدِّيها كلٌّ منَّا في ذلك اليوم، حتى نعتبر ذلك اليوم ناجحا، كرِّر هذا لمدَّة أسبوع سيكون لديك أسبوع ناجح»[2]، وكذا بتكرارها في الأسابيع، والأشهر، والسنين، نحصل على عمر ناجح.

وهذا المعنى يوضِّح الأثر المرويَّ عن الحسن البصريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما من يوم

(1)* يلاحظ أنَّ هذا البرنامج وضع على أساس المعتاد في إدارة الوقت، وليس وفق المقترح التأصيلي؛ لأنَّ الغرض من عرضه هو توضيح الفرق بين القائمة والبرنامج لا غير.

(2) جريسمان: **فن إدارة الوقت**؛ ص458.

ينشقُّ فجره، إلَّا وينادي: يا ابن آدم، أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد، فتزوَّد منِّي، إنِّي إذا مضيتُ لا أعود إلى يوم القيامة»[1]. و«ليس العمر إلَّا أياما معدودة، تنقضي لا محالة بانقضاء آحادها»[2].

ولهذا الاعتبار، رأى الباحث أن يحلِّل أصول **البرنامج اليوميَّ** في الفكر الإسلاميِّ، تاركا برامج تضاعيف اليوم لبحوث أخرى.

وأوَّلُ مصدر هو القرآن الكريم...

• ثانيا • في المنهج (الصلاة محور البرنامج اليومي للمسلم)

لليوم في القرآن الكريم عدَّة معان[3]، والذي يعنينا منها في هذا البحث هو **المفهوم الطبيعيُّ، الذي يتألَّف من ليل ونهار**، والذي يقول عنه ابن العربي: «اليوم عندنا "العرب" أربع وعشرون ساعة (...) واليوم من طلوع الشمس إلى طلوع الشمس، أو من غروبها إلى غروبها، أو من استوائها إلى استوائها، أو ما بين ذلك إلى ما بين ذلك»[4].

ومن خصائص هذا اليوم أنَّه مسخَّر من الله تعالى للإنسان خاصَّة، وهو نعمة

(1) يقول القرضاوي عن هذا الأثر «ليس هذا حديثا مرفوعا، كما حسب بعض الناس، بل هو من كلام الحسن البصري» القرضاوي: **الوقت في حياة المسلم**؛ ص10. وذكره العاملي بلفظ مغاير، فنسبه إلى علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه، وقال: «عن الصادق عن آبائه قال علي: ما من يوم يمرُّ على ابن آدم، إلَّا قال: يا ابن آدم، أنا يوم جديد، وأنا عليك شهيد، فقل فيَّ خيرا، أشهد لك يوم القيامة» **الوقت هو الحياة**؛ ص67

(2) الغزالي: **إحياء علوم الدين**؛ ج1/ص404.

(3) وانظر في تفصيل معاني اليوم وأجزائه عند العرب ـ القلقشندي، أحمد بن علي (ت. 821هـ/1418م): **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**؛ تح. د. يوسف علي الطويل؛ دار الفكر، دمشق؛ 1987م؛ ج2/ص384 باباعمي: **مفهوم الزمن**؛ ص103-107.

(4) ابن العربي، محي الدين أبي عبد الله محمَّد الحاتمي (ت. 638هـ/1240م): **رسائل ابن العربي**؛ دار إحياء التراث العربي، بيروت، مصوَّر من ط1: مطبعة دار المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، 1361هـ/1948م؛ ج1/ص6-10، كتاب أيام الشأن.

جلَّى من نعمه عليه، ليمتحنه: هل يملؤها بالأعمال الصالحات، أم يجترح فيها السيِّئات، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾[إبراهيم: 33]، أي أنَّ الله سبحانه «سخَّر لكم الشمس والقمر لتنتفعوا بهما، وتستضيئوا بضوئهما (...) وسخَّر لكم الليل لتسكنوا فيه راحة لأبدانكم، والنهار لتنتفعوا بمعاشكم»[1]، ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾[إبراهيم: 34]. ومن تمام شكر نعم الله تعالى الحرصُ على أن تعمَّر بما يرضيه، ولن يكون ذلك ـ بالنسبة لنعمة اليوم ـ إلَّا ببرنامج يوميٍّ يسطِّره الإنسان بناء على إرشاد الله تعالى وهدايته. وإلَّا فإنَّ الفوضى لا تصلح الأفراد والمجتمعات، ولا تسهم في بناء الأمم والحضارات.

ولقد جعل القرآن الكريم من اليوم الوحدةَ الرئيسة في برمجة عمل الإنسان، فقسَّمه حسب هذا الاعتبار قسمين أساسيين، هما: **الليل، والنهار**. ثم قسَّم الليل إلى أجزاء، والنهار إلى أجزاء، **وجعل الصلاة هي المحور الذي يدور حوله البرنامج اليومي للإنسان المسلم**، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾[النساء: 103]. وفي معنى الموقوت قولان:

«أحدهما أنَّه بمعنى **المفروض**، قاله ابن عباس ومجاهد...»، فلا تسقط الصلاة عن المسلم «ما دام العقل والحياة»[2].

«والثاني أنَّه **المؤقَّت في أوقات معلومة**، وهو قول ابن مسعود وقتادة...»[3].

ومما يؤكِّد محورية الصلاة في البرنامج اليومي للمسلم:

1. أنَّ الصلاة هي **الفرض الوحيد خلال اليوم، الذي حدِّد بالوقت ابتداء**، فقد تكون على المسلم واجبات مثل: أداء حقوق الوالدين، وزيارة الأرحام،

(1) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت.597/1200م): **زاد المسير في علم التفسير**؛ المكتب الإسلامي، بيروت، ط3: 1404هـ؛ ج4/ص364.

(2) الألوسي: **روح المعاني**؛ ج5/ص157.

(3) ابن الجوزي: **زاد المسير**؛ ج2/ص188.

وإعالة العيال، والوفاء بالنذور... غير أنَّها إمَّا غير مؤقَّتة بوقت معيَّن، أو مؤقَّتة التزاما ووفاء.

2. **أنَّ الصلاة لا تسقط أبدا**، بينما غيرها من الواجبات قد يسقط، ولهذا لزم أن نفرِّق بين أركان الإسلام الخمسة، التي يجب على كلِّ مسلم أن يؤمن بها، وبين أركان المسلم[1]، التي منها ما يمكن أن يسقط عنه، فهو لا يزكِّي إذا لم يبلغ ماله النصاب[2]، ولا يصوم إذا اعترضه عارض[3]، ولا يحجُّ ما لم تتحقَّق الاستطاعة[4]. غير أنَّ الشهادة لا تسقط عنه، فوجب عليه أن يعلنها ولو مرَّة في حياته[5]، وأمَّا الصلاة فهي لازمة على المسلم خمس مرَّات في

(1) الشعراوي: **تفسير**؛ قرص مدمج، رقم1، تفسير الآية ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾[النساء: 103].

(2) وانظر في هذه المسألة المصادر الفقهية، مثل: الجناوني، أبو زكرياء يحيى بن أبي الخير (ق 5 هـ/11م): **كتاب الوضع مختصر في الأصول والفقه**؛ تح. أبو إسحاق إبراهيم اطفيش؛ مطبعة الفجالة الجديدة، مصر، ط1: د.ت.ن؛ ص176، باب في الزكاة، فصل في النصاب.

(3) وانظر ـ ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الظاهري (456هـ/1064م): **المحلَّى بالآثار**؛ (الأصلية: دار الفكر)، طبعة جامع الفقه، شركة حرف، الإمارات العربية المتحدة؛ 1999م؛ ج4/ ص410 وما بعدها.

(4) وانظر ـ الشافعي: **الأم**؛ ج2/ص119-135.

(5) الجناوني: **كتاب الوضع**؛ ص2 وما بعدها، باب في التوحيد.

اليوم[1].

3. سواء أكان المسلم في حرب أم سلم، في حضر أم سفر، في صحَّة أم مرض... فإنَّه مأمور بأداء الصلاة في جميع حالاته، ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً (...) فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾[النساء: 102-103].

ولهذا كان من أوكد واجبات الإمام الحفاظ على الصلاة، وحمل الناس عليها، ضمانا لنصرة الأمَّة وقوَّتها؛ وإنَّ التهاون بها سبب في ضعف الأفراد، ومقدِّمة لخذلان المسلمين وظهور غيرهم عليهم.

يقول ابن تيمية: «وأمرها "الصلاة" أعظمُ من أن يحاط به، **فاعتناء ولاة الأمر بها يجب أن يكون فوق اعتنائهم بجميع الأعمال**، ولهذا كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يكتب إلى عمَّاله: إنَّ أهمَّ أمركم عندي

(1) ولذا حكم على تارك الصلاة عمدا بالكفر، يقول ابن قدامة في باب الحكم فيمن ترك الصلاة: «ومن ترك الصلاة، وهو بالغ عاقل، جاحدا لها، أو غير جاحد، دعي إليها في وقت كلِّ صلاة، ثلاثة أيام، فإن صلَّى، وإلَّا قتل. وجملة ذلك أنَّ تارك الصلاة لا يخلو؛ إما أن يكون جاحدا لوجوبها، أو غير جاحد، فإن كان جاحدا لوجوبها نظر فيه، فإن كان جاهلا به، وهو ممن يجهل ذلك، كالحديث الإسلام، والناشئ ببادية، عرِّف وجوبها، وعلِّم ذلك، ولم يحكم بكفره؛ لأنَّه معذور. وإن لم يكن ممن يجهل ذلك، كالناشئ من المسلمين في الأمصار والقرى، لم يُعذر، ولم يقبل منه ادعاء الجهل، وحكم بكفره؛ لأنَّ أدلَّة الوجوب ظاهرة في الكتاب والسنة، **والمسلمون يفعلونها على الدوام**، فلا يخفى وجوبها على من هذا حاله، فلا يجحدها إلَّا تكذيبا لله تعالى ولرسوله وإجماع الأمَّة، وهذا يصير مرتدا عن الإسلام، وحكمه حكم سائر المرتدِّين، في الاستتابة والقتل، **ولا أعلم في هذا خلافا**. وإن تركها لمرض، أو عجز عن أركانها وشروطها، قيل له: **إنَّ ذلك لا يسقط الصلاة، وإنّه يجب عليه أن يصلي على حسب طاقته**» ابن قدامة: موفق الدين عبد الله بن أحمد (ت. 620هـ/ 1223م): **المغني**؛ (الأصلية: دار إحياء التراث العربي)، طبعة جامع الفقه، شركة حرف، الإمارات العربية المتحدة؛ 1999م؛ ج2/ص156 وما بعدها..

الصلاة، مَن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه، ومن ضيَّعها كان لِما سواها أشدّ إضاعة»[1].

4. أنَّ الله تعالى، رحمة بعباده، جعل للصلاة **وقتا موسَّعا**، فلكلِّ صلاة **وقت اختيار ووقت ضرورة**، فإذا لم تؤدَّ في أوَّل الوقت جاز تأخيرها إلى آخره ضرورة لا عادة[2]. فلو كان وقت الصلاة غير موسَّع لشقَّ ذلك على الناس، والله سبحانه وتعالى لا يكلِّف عبده فوق ما يطيق: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة: 286]، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾[الطلاق: 7].

5. **أنَّ مجرَّد إقصاء الصلاة من البرنامج اليوميِّ، يُخرج صاحبه من دائرة الإيمان إلى دائرة الكفر**، وبالتالي يكون برنامجُه الزمنيُّ خارج دائرة الانتماء الإسلاميِّ، فالصلاة في حقيقتها هي «استدامة إعلان ولاء العبد لربِّه كلَّ يوم خمس مرَّات، وتعني أنَّ ربَّك يناديك فلا تشتغل بمخلوق آخر لربِّك يناديك»[3] ولذلك كان أعظم نداء في الإسلام هو: **الله أكبر**. أي هو أكبر من كلِّ شاغل آخر: زمنيٍّ، أو مكانيٍّ، أو نفسيٍّ...

ولا يزال اعتبارُ الصلاة محورا للبرنامج اليومي مجرَّد إشارات، في الدراسات

(1) ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت. 728هـ/1327م): **كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه**؛ تح. عبد الرحمن محمد قاسم العاصمي؛ مكتبة ابن تيمية؛ د.ت.ن؛ ج28/ ص71.

(2) وانظر في أوقات الصلاة، وفي تعريف الوقت الاختياري والضروري ـ الرصاع، أبو عبد الله محمد بن قاسم الأنصاري (ت. 894هـ/1489م): **شرح حدود ابن عرفة (المسمَّى بالهداية الكافية الشافية، لبيان حقائق ابن عرفة الوافية)**؛ (الأصلية: المكتبة العلمية) طبعة جامع الفقه، شركة حرف، الإمارات العربية المتحدة؛ 1999م؛ ص51-53.

(3) الشعراوي: **تفسير**؛ قرص مدمج، رقم1، تفسير الآية ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾[النساء: 103].

الزمنية الإسلامية[1]؛ أمَّا **مؤلَّفات إدارة الوقت** ـ سواء الغربية منها أو المؤلَّفة بمنهج غربيٍّ ـ **فتلغي الصلاة تماما من قوائم المهامِّ اليومية**، وتغفلها إغفالا فادحا، وتركِّز على العمل والمعاش والترويح، كمحطَّات رئيسة في اليوم... فضاعت مكانة الصلاة بالتالي بين منهجين متناقضين، وتبقى الضرورة ملحَّة لإعادة الصلاة إلى مكانتها الحقيقيَّة من المنظور الزمنيِّ والفكريِّ، اهتداء بالمنهج القرآنيِّ.

ومن هذه الإشارات نذكر تنبيهَ القرضاوي إلى أهمية الصلاة في البرمجة الزمنية، ثم تقريره أنَّ: «**أظهر حقوق الله تعالى اليومية: الصلاة**، التي جعل الله أوَّل أوصاف المؤمنين الخشوع فيها، ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾[المؤمنون: 2]. وآخر أوصافهم المحافظة عليها ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾[المؤمنون: 9]. وكتب الويل لمن تشاغل عنها، حتى فات وقتها المعلوم ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾[الماعون: 4-5][2].

ويقول أبو غدَّة: «**فالصلاة** تتكرَّر كلَّ يوم خمس مرَّات، ففي زمن يسير ينطبع سلوك فاعلها بخلُق ضبط الوقت، ودقَّة الموعد، وأداء كلِّ عمل في ميقاته المخصَّص له على الوجه الأمثل، ويصير ذلك عادة وطبيعة متَّبعة في سلوكه وحياته»[3]. فالمقرَّر إذن أنَّ الصلاة مقدِّمة لتخطيط الوقت، فمن ضيَّع الصلاة ضيَّع بالضرورة قيمة الوقت وبرمجته.

وأمَّا محمد زكي سويدان، فيجعل الصلاة حدًّا بين أنواع الأعمال اليومية للمسلم، ويعتبر صلاة الصبح بداية للبرنامج الزمنيِّ. فلم يخلُ كتابُه في مجمله من معلومات علمية مفيدة، تظهر أدلَّة هذا الطرح التأصيليِّ[4].

(1) من الناحية الفلكية، حاول لوط بوناطيرو أن يقنِّن هذه المحورية، واقترح مقترحات عملية تحتاج إلى التحليل والإثراء. وانظر ـ بوناطيرو، لوط: **علم الميقات، الساعة الفلكية الإسلامية، جمعة 6 أيام، دراسة دينية فلكية، مع انعكاسات اقتصادية اجتماعية**؛ تكنيكولور، الجزائر؛ 1419هـ/1999م؛ ص106-110.

(2) القرضاوي: **الوقت في حياة المسلم**؛ ص32.

(3) أبو غدَّة: **قيمة الزمن عند العلماء**؛ ص10.

(4) سويدان، محمد زكي: **الصلاة وقاية وعلاج**؛ سلسلة كتاب الهلال، عدد 285؛ دار الهلال، مصر؛ 1974م. ص162-165.

ويقول صاحب كتاب «الوقت هو الحياة»: «وزَّع الإسلام الصلوات الخمس والعبادات التابعة لها توزيعا حكيما على أجزاء النهار والليل» وما ذلك إلَّا:

«• لتوقظ في المسلم الانتباه إلى أهمية الوقت.

• ولتكون معالِم يومه وضوابطه.

• ولتكون أيضا منطلق نشاطه وقاعدة سعيه للآخرة والأولى»[1].

وبطرح فكريٍّ عميق تعرَّض بيجوفيتش لأهمية الصلاة، فأوضح أنَّها «ليست مجرَّد تعبير عن موقف الإسلام من العالم، وإنَّما هي أيضا **انعكاس للطريقة التي يريد بها الإسلام تنظيم هذا العالَم**» واستعمل في تحليله مصطلحا مبتكرا، حين ذكر أنَّ الصلاة «أصبحت بذلك **المعادلةَ** أو **الشفرةَ** الإسلامية»[2]. والصلاة في الإسلام بخلاف الصلاة في الديانات السابقة «تشتمل على العناصر المادية (الطبيعية)، كما تشتمل على عناصر روحية على حدٍّ سواء، ومن هذه الناحية تنتمي الصلاة إلى عالمنا الذي يحدِّده الزمان والمكان»[3].

ويقرِّر «شيون» أنَّ «واقع وجودنا نفسه صلاة، ويجبرنا على الصلاة، حتى ليمكننا القول: **أنا موجود، إذن أنا أصلِّي**»[4]. فإنَّ الوجود دليل على الصلاة، وإنَّ الصلاة من جهتها تأكيد للوجود الحقِّ؛ ويمكن أن نُعبِّر عن هذا بقولنا: **أنا أصلِّي، إذن أنا موجود.**

وإذا كانت البرمجة اليومية وليدة انتشار الساعة الخارجية لدى الغربيين، ابتداء من القرن السادس عشر الميلاديِّ[5]، فإنَّ الاعتناء بالصلاة ـ تطبيقيا وعمليًّا ـ

(1) نوير: **الوقت هو الحياة**؛ ص112.

(2) بيجوفيتش: **الإسلام بين الشرق والغرب**؛ ص293.

(3) **نفس المرجع**؛ ص295.

(4) شيون، فريتجوف: **كيف نفهم الإسلام**؛ تر. د. عفيف دمشقية؛ سلسلة الإسلام الحضاري: 2؛ دار الآداب، بيروت، لبنان، ط1: 1978م؛ ص144.

(5) Hall, p.151.

هو الذي حرَّك المسلمين نحو الاهتمام بالوقت عموما[1]، وبإنزال الأعمال على الأزمان في بحر اليوم بالخصوص، وذلك منذ فجر الإسلام، حين فُرضت الصلوات الخمس قبل هجرة المصطفى ﷺ[2].

ويبقى ثمَّة سؤال هامٌّ هو: أين نصنِّف وقت الصلاة، بالنظر إلى التصنيفات الزمنية، سواء منها تلك التي نقرأها في بحوث علم اجتماع الفراغ وعلم الترويح، أم التي نجدها في دراسات إدارة الوقت.

فهل الصلاة من المنظور الإسلاميِّ عمل، أم هي نوع من الترويح، أم هي شيء آخر غير العمل والترويح؟

إذا نظرنا إلى الفراغ من جهة خصائصه الأربعة[3]:

- التحرُّر من الالتزامات.
- انعدام الغرض.
- الإشباع النفسيُّ.
- الإسهام في تحقيق التكامل الشخصيِّ.

فإنَّ الصلاة تندرج ضمن الترويح باعتبار **خاصيَّة التحرُّر من الالتزام**، لأنَّها **التزام من أجل التحرُّر من الالتزام**، وهي انقياد لله من أجل التحرُّر من كلِّ انقياد آخر دونه.

(1) وهذا ما دفع بهم إلى إبداع علوم عديدة لها علاقة بالزمن، أبرزها علم الفلك. تقول العالمة الألمانية زغريت هونكه: «الواقع أنَّه لا الرومان ولا الهنود هم الذين ساهموا في تطوير هذا العلم، وإنَّما كان من دواعي فخر العرب أن يفعلوا ذلك وحدهم» **شمس العرب تسطع على الغرب**؛ ص130. **ويقول بيجوفيتش**: «وكان التطور السريع لعلم الفلك في قرون الإسلام الأولى وثيق الصلة بحاجة المسلمين إلى التحديد الدقيق للمكان وللزمان» **الإسلام بين الشرق والغرب**؛ ص295.

(2) انظر ـ اطفيش، امحمد بن يوسف بن عيسى، الملقب بقطب الأيمة (ت. 1332هـ/1914م): **شرح النيل وشفاء العليل**؛ مكتبة الإرشاد ـ دار الفتح، جدَّة ـ بيروت، 1392هـ/1972م؛ ج2/ص7.

(3) في تحليل هذه الخصائص انظر ـ محمد علي: **وقت الفراغ في المجتمع الحديث**؛ ص90-94.

ومن حيث **خاصيَّة الإشباع النفسيِّ** ـ أي الخاصية الثالثة ـ، فإنَّ الصلاة كذلك **راحة**، ذلك أنَّها أعظم ما يعطي النفس إشباعا **وراحة** نفسية، ويهبها التوازن الذي هو مطلق السعادة. وكان رسول الله ﷺ: «إذا حزبه أمر صلَّى»[1]. بل إنَّ لفظ «الراحة» نفسه ورد في حديث، جاء فيه أنَّ عبد الله بن محمد بن الحنفية قال: «دخلت مع أبي على صهر لنا من الأنصار، فحضرت الصلاةُ، فقال: يا جارية، ائتني بوضوء لعلي أصلي **فأستريح**. فكأنَّه رآنا أنكرنا ذلك، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قم يا بلال **فأرحنا** بها»[2]. قال في عون المعبود: «كان اشتغاله ﷺ بالصلاة راحة له؛ فإنَّه كان يعُدُّ غيرها من الأعمال الدنيوية تعبا، فكان يستريح بالصلاة لما فيها من مناجاة الله تعالى»[3].

وكان ﷺ يقول: «حبِّب إليَّ النساء، والطيبُ، **وجُعِلت قرَّةُ عيني في الصلاة**»[4].

ومن حيث الخاصية الرابعة، **خاصية الإسهام في تحقيق التكامل الشخصيِّ**، فإنَّ الصلاة كذلك تصنَّف ضمن **الترويح**؛ لإنَّ أوَّل هدف أخلاقيٍّ للصلاة هو تكوين الإنسان السويِّ، والشخصية الفعَّالة، وإن لم يتمَّ ذلك كان دليلا على أنَّ صاحبها لا يقوم بها حقَّ القيام. قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ

(1) رواه **أبو داود**؛ **كتاب الصلاة، باب وقت قيام النبي من الليل**؛ ج2/ص35، رقم 1124؛ بسند: «حدثنا محمد ابن عيسى حدثنا يحيى بن زكريا عن عكرمة بن عمار عن محمد بن عبد الله الدؤلي عن عبد العزيز ابن أخي حذيفة عن حذيفة قال كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر...» ورواته ثقات. وأورده ابن حجر في فتح الباري، وقال: «أخرجه أبو داود بإسناد حسن» ج3/ص172.

(2) رواه **الدارقطني**، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد (ت. 385هـ/995م): **العلل**؛ تح. محفوظ عبد الرحمن زين الله السلفي؛ دار طيبة، الرياض، السعودية؛ 1405هـ؛ حديث رقم 461، ج4/ص121.

(3) آبادي، أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم : **عون المعبود**؛ دار الكتب العلمية، بيروت؛ ط2: 1415هـ؛ ج13/ص225.

(4) رواه **الحاكم في المستدرك على الصحيحين**؛ ج2/ص174، رقم 2676؛ بسند «حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا الخضر بن أبان الهاشمي، حدثنا سيار بن حاتم، حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: حبِّب إليَّ...». قال الحاكم: «هذا حديث **صحيح على شرط مسلم**، ولم يخرجاه».

﴿ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[العنكبوت: 45][1]. وفي حديث ابن عباس: «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر، لم يزدد بصلاته إلَّا بعدا»[2]، فـ«من أحبَّ أن يعلم قُبِلت صلاته أم لم تقبل، فلينظر منعته الفحشاء والمنكر، فبقدر ما منعته قُبلت منه»[3]. ولا يُفهم تكامل الشخصية[4] في الإسلام إلَّا على ضوء القرب من الله تعالى بأشمل معانيه، والابتعاد عن المعاصي والفواحش بجميع أنواعها.

أمَّا من حيث **انعدام الغرض** ـ أي السمة الثانية من سمات الفراغ ـ فقد سبق بأنَّ اللاغرض ليس من سمات الإسلام، بل إنَّ الغاية الكبرى هي إرضاء الله تعالى، «والفهم المعنويُّ للحياة، والإحساس الخلقيُّ بها، هما الركيزتان اللتان يقوم على أساسهما المقياس الخلقيُّ الجديد، الذي يضعه الإسلام للإنسانية، وهو: **رضا الله تعالى**»[5]، وإذا انعدمت الغاية من الصلاة انعدمت قيمتها، ولذلك يقرِّر الفقه أنَّ النية شرط في الصلاة، ولا صلاة بلا نية[6].

(1) وانظر في تحقيق الصلاة للتكامل الفردي والجماعي على السواء، كتابَ أسرار الصلاة ومهمَّاتها في ـ الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت. 505/1111م): **إحياء علوم الدين**؛ طبعة مخرَّجة ومحقَّقة؛ منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، لبنان؛ 1417هـ/1996م.

(2) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد (ت. 310هـ/922م): **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**؛ دار الفكر، بيروت، 1405هـ. ج20/ص155. راوه موقوفا على ابن عباس، وزاد «في الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصي الله».

(3) الألوسي: **روح المعاني**؛ ج20/ص164.

(4) يعتبر الدكتور عبد الرحيم نبيل الصلاةَ جزءا من البرنامج التكويني للشخصية الإسلامية، ويعرِّف الشخصية بأنَّها: «مجموعة الصفات والقدرات: الجسمية والعقلية، والنفسية والاجتماعية، التي تضفي على الإنسان فرديته». عبد الرحيم: **خدمة الجماعة وتنمية الشخصية الإسلامية**؛ ضمن كتاب: **التوجيه الإسلامي**؛ ص191-218.

(5) باقر الصدر: **فلسفتنا**؛ ص43.

(6) وانظر ـ الشافعي: **الأم**؛ ج1/ص122. ابن حزم: **المحلَّى بالآثار**؛ ج2/ص262. الكاساني، علاء الدين أبو بكر بن مسعود ابن أحمد الكاساني (ت. 587هـ/1191م): **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**؛ (الأصلية: دار الكتب العلمية) طبعة جامع الفقه، شركة حرف، الإمارات العربية المتحدة؛ 1999م؛ ج1/ص127 اطفيش: **شرح النيل**؛ ج2/ص462.

ويمكننا بالتالي أن نصنِّف وقت الصلاة ضمن وقت الفراغ، لكن مع تعديل طفيف في التعريف، وإلَّا صنِّفت في وقت رابع هو وقت **العبادة المؤقَّتة**، كما ضبطناه في بحوث أخرى.

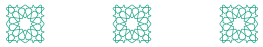

المبحث الثاني البرنامج اليومي في القرآن الكريم (الليل والنهار):

خلق الله تعالى **الليل والنهار**، وجعل تعاقبهما من أجلِّ النعم، ليُشغل **الليل** بأعمال مخصَّصة، ويُملأ **النهار** بأعمال مخصَّصة، ويمكن أن نميِّز بين ثلاثة أنواع من الأعمال من خلال القرآن الكريم:

- منها ما هو مشترك بين الليل والنهار.
- ومنها ما اختصَّ بالليل.
- ومنها ما اختصَّ بالنهار.

وسنحاول أن نعرض نماذج لكلِّ قسم، معتمدين أساسا القراءة المصحفية المسحية، ثم التفاسير لتوضيح المعنى، وضبط التصوُّر.

• أوّلا • الأعمال المشتركة بين الليل والنهار، في القرآن الكريم

بتتبُّع الآيات القرآنية التي جعلت الليل والنهار مسرحا لأعمال الإنسان المسلم، أحصينا خمسة من أعمال البرِّ أضيفت إلى الليل والنهار في آن واحد، وهي:

1 الفكرُ:

ونقرأ ذلك في جملة من الآيات منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ (...) لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[البقرة: 164]، ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[آل عمران: 190-191].

وما دام **الليل والنهار** يتعاقبان دون انقطاع، فإنَّ التفكُّر فيهما يجب أن يدوم دوامهما، حتى لا يتبلَّد العقل بالعادة، ولا تُصاب الألباب بالخور والغفلة، وفي هذا يقول جلَّ من قائل: ﴿يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الرعد: 3]،

أي «إنَّ فيما وصفتُ وذكرتُ (ومنه تعاقبُ **الليل والنهار**) من عجائب خلق الله وعظيم قدرته التي خلق بها هذه الأشياء لَدلالات وحججًا وعظات لقوم **يتفكَّرون فيها، فيستدلُّون، ويعتبرون بها**، فيعلمون أنَّ العبادة لا تصلح، ولا تجوز إلَّا لمن خلقها ودبَّرها دون غيره من الآلهة والأصنام»[1].

2 الذكر:

ينكر الله سبحانه على الكفَّار غفلتهم عن الذكر، رغم أنَّ حفظ الله تعالى لهم لا ينفكُّ **ليلا ولا نهارا**، فيقول جلَّ من قائل: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾[الأنبياء: 42].

ومن الواجب أن يلازم الذكرُ الإنسان في جميع فترات يومه، ذلك أنَّه لا يعطِّل عن غيره من الأعمال، و«إنَّ الله تعالى لم يفرض عبادة إلَّا جعل لها حدًّا معلومًا، ثم عذر أهلها في حال العذر، غير الذكر، فإنَّ الله تعالى لم يجعل له حدًّا ينتهي إليه، ولم يعذر أحدًا في تركه، إلَّا مغلوبا على تركه»[2].

وحتى لو استكبر الناس فإنَّ الملائكة يملأون الكون تسبيحا على مدار اليوم: ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾[فصلت: 38]. ومن الواجب على الإنسان أن ينسجم مع الملائكة، ومع كلِّ ما خلق الله تعالى، في حركة التسبيح والذكر اليوميَّة، لينال رضا الله تعالى، ويسعد في الدارين.

3 إقامة الصلاة:

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾[هود: 114]، تفسِّر هذه الآية آياتٌ أخرى، منها أمر الله لنبيه بقوله: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[الإسراء: 78]، وقوله: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾[طه: 130].

(1) الطبري: **تفسير**؛ ج13/ص95.

(2) ابن كثير،: **تفسير**؛ ج3/ص496.

وفي توزيع الصلوات المفروضة على مدار اليوم حِكم منها: ربط الإنسان بربِّه، وتنبيهه إذا غفل أو أخطأ، وتطهيره حسيا ومعنويا... فعن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أرأيتم لو أنَّ نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كلَّ يوم خمس مرَّات، هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء. قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا»[1].

وللصلاة دور آخر هو ضمان الإيقاع الزمني والتوازن، فيذكر الدارسون أنَّ الشركات الكبرى حاليا تعمل على إيجاد إيقاع زمنيٍّ يوميٍّ لموظَّفيها، فشركة «تويوتا TOYOTA» مثلا، «أحدثت تمرينات رياضية، وظروفا للأكل والسكن الجماعيِّ، بل وحتى عطلا جماعية»[2] بحثا عن الإيقاع الموحَّد بين عمَّالها (Synchronie). والصلاة توفِّر هذا الدور في المجتمعات الإسلامية، وتضبط وجهة المجتمع، وتماسكه، وتكامله.. بما يمكن أن نسمِّيه في البرمجة الزمنية: **بالإيقاع اليوميِّ المنظَّم**. ولكن يبقى على العلماء المسلمين أن يُدرجوا الصلاة في جملة من العلوم المرتبطة بالصناعة، وبالترويح والفراغ... حتى لا تبقى خارج دائرة الحركية والإنتاج، ولا تُختزل إلى عبادة يومية بعيدة عن الواقع. فإنَّ ذلك مما لا يتلاءم مع روحها ومعناها.

4 الإنفاق:

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾[البقرة: 274]. وفي تفسير هذه الآية يقول ابن كثير: «هذا مدح منه تعالى للمنفقين في سبيله وابتغاء مرضاته **في جميع الأوقات، من**

(1) رواه **مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا**؛ ج1/ص462، رقم 667؛ بسند: «حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ليث، ح وقال قتيبة حدثنا بكر يعني ابن مضر كلاهما عن ابن الهاد عن محمد بن إبراهيم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال: أرأيتم».

(2) Hall; p191

ليل أو نهار (...) حتى إنَّ النفقة على الأهل تدخل في ذلك أيضا»[1]. ويقول البيضاوي: «أي **يعمُّون الأوقات** والأحوال بالخير» ثم ذكر أنَّها نزلت في «أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، تصدَّق بأربعين ألف دينار: عشرة **بالليل**، وعشرة **بالنهار**، وعشرة بالسر، وعشرة بالعلانية. وقيل: في أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لم يملك إلَّا أربعة دراهم، فتصدَّق بدرهم **ليلا**، ودرهم **نهارا**، ودرهم سرا، ودرهم علانية. وقيل في ربط الخيل في سبيل الله والإنفاق عليها»[2].

وبيَّن صاحب منهاج السنَّة النبوية «أنَّ الآية عامَّة في كلِّ من ينفق **بالليل والنهار**، سرا وعلانية، فمن عمل بها دخل فيها (...) وإنَّ الآية تدلُّ على **الإنفاق في الزمانين اللذين لا يخلو الوقت عنهما**، وفي الحالين اللذين لا يخلو الفعل منهما؛ **فالفعل لا بدَّ له من زمان، والزمان إمَّا ليل وإمَّا نهار**؛ والفعل إمَّا سرٌّ و إمَّا علانية»[3].

والحرص على الإنفاق في جميع الأوقات يبعث في المسلم روح العمل، ويدفعه إلى الإنتاج من أجل الإنفاق، ويرفع عنه الكسل والخمول، كما يبعده عن الأنانية والمادية المفرطة.

5 الدعوة:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾[نوح: 5]، «أي لم أترك دعاءهم في **ليل ولا نهار** امتثالا لأمرك وابتغاء لطاعتك»[4]. ولا شكَّ أنَّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وأنَّ المسلم مأمور بأداء واجبه في تبليغ دين الله تعالى في جميع الأوقات

(1) ابن كثير: **تفسير**؛ ج1/ص326.

(2) البيضاوي: **تفسير**؛ ج1/ص573.

(3) ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت. 728هـ/1327م): **منهاج السنة النبوية**؛ تحقيق. د. محمد رشاد سالم؛ مؤسسة قرطبة، 1406؛ ج7/ص229.

(4) ابن كثير: **تفسير**؛ ج4/ص426. وانظر ـ الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت.1250هـ/1834م): **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في التفسير**؛ دار الفكر، بيروت، د.ت.ن (قرص التفسير).

والأحوال. يقول الإمام ابن القيم في هذا: إنَّ رسول الله ﷺ «لمَّا نزل عليه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾[المدثر: 1-4]. شمَّر عن ساق الدعوة، وقام في ذات الله أتم قيام، **ودعا إلى الله ليلا ونهارا، وسرا وجهارا**»[1]. وفي تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾[الأحزاب: 45-46]، قال: «إنَّ محمدا ﷺ ظهر به نور الله وهُداه في مشرق الأرض ومغربها، أعظم مما ظهر بالكتابين. كما يظهر نور الشمس في مشارق الأرض ومغاربها إذا استعلنت وتوسَّطت السماء، ولهذا سماه الله سراجا منيرا، وسمى الشمس سراجا وهاجا، والخلق يحتاجون إلى السراج المنير أعظم من حاجتهم إلى السراج الوهَّاج، **فإنَّ هذا يحتاجون إليه في وقت دون وقت، وأمَّا السراج المنير فيحتاجون إليه كلَّ وقت وفي كلِّ مكان، ليلا ونهارا، سرا وعلانية**»[2].

والمداومة على الدعوة لله في كلِّ وقت، تضمن نماء الأمَّة، وتعمل على تنظيفها من الانحرافات والآفات، وتجعل منها خير أمَّة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.

قائمة الأعمال المشتركة بين الليل والنهار، في القرآن الكريم

أعمال الليل والنهار				
الفكر	الذكر	الصلاة	الإنفاق	الدعوة

(1) ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت. 751هـ/1350م): **زاد المعاد في هدي خير العباد**؛ تح. شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط؛ مؤسسة الرسالة ـ مكتبة المنار الإسلامية، بيروت ـ الكويت، 1407هـ/1986م؛ ج3/ص12.

(2) ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت. 751هـ/1350م): **هداية الحيارى في الرد على اليهود والنصارى**؛ الجامعة الإسلامية، المدينة المنوَّرة، د.ت.ن. قرص التفسير؛ ج1/ص68. وانظر قريبا من هذا المعنى ـ ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت. 728هـ/1327م): **الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح**؛ تح. د. علي حسن ناصر وآخران؛ دار العاصمة، الرياض، 1414هـ؛ ج5/ص203.

يسجَّل كون الفكر والذكر يضمنان العلاقة **بالله** أوَّلا، ثم **بالنفس**، ثم **بالكون**، فهما من قبيل الزمن الفرديِّ. أمَّا الإنفاق والدعوة فيعملان على ضبط العلاقة **بالله** أوَّلا، ثم **بالآخرين**، وهما من قبيل الزمن الاجتماعيِّ. **والصلاة جامعة لكلِّ العلاقات**، ذلك أنَّ زمنها فرديٌّ في جوانب منه، واجتماعيٌّ في جوانب أخرى.

ويلاحظ كذلك أنَّ كلَّ عمل من هذه الأعمال المشتركة بين الليل والنهار هو من قبيل **الزمن الصبغة**، أي أنَّ من أبرز خصائصه:

1. وجوده لا يعني انتفاء الأزمنة الأخرى، فهو زمن ملازم.
2. هو زمن ضابط للمنهج والتوجُّه، قبل أن يكون زمنا لموضوع معيَّن.
3. هو زمن كيفيٌّ في الأساس، وقد يكون كمِّيا في بعض صيغه.
4. هو زمن ربَّانيَّ المصدر، إنسانيُّ الشكل والتطبيق.

• ثانيا • الأعمال الخاصَّة بالليل في القرآن الكريم

في جميع الآيات التي وردت عن أعمال الليل والنهار بدأ الله تعالى بالليل ثم ثنَّى بالنهار، ذلك أنَّ الليل محلُّ السكون، والنهار محلُّ الحركة، والسكونُ في جميع أحوال الإنسان يسبق الحركة:

فعدمُه، وهو أنسب بالسكون، سابق لوجوده: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾[الإنسان: 1-2]، ﴿تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾[آل عمران: 27].

وضعفُه، الذي هو أقرب إلى السكون، سابق لقوَّته: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ﴾[الروم: 54].

وجهلُه، وهو من قبيل السلب، يسبق علمه: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ

ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴾[النساء: 113]. ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾[العلق: 3-5].

ولقد خصَّ القرآن الكريم الليلَ بجملة من الأعمال، لا تخرج عن محاور ثلاثة هي: الراحة، والعبادة، والأهل؛ ومن هذه الأعمال ما اختصَّ بالليل لفظا ومعنى، ومنها ما اختصَّ به باللفظ دون المعنى. وهذه الأعمال هي:

1 النوم:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ﴾[الأنعام: 60]. ذهب بعض المفسِّرين إلى أنَّ التوفِّي يعني قبض الأرواح حقيقة[1]، إلَّا أنَّ الأكثر على أنَّه النوم[2] «ففيه استعارة تبعية، حيث استعير التوفِّي من الموت للنوم، لما بينهما من المشاركة في زوال إحساس الحواسِّ الظاهرة والتمييز، قيل: والباطنة أيضا. وأصله قبض الشيء بتمامه»[3].

فهل الليل للنوم مطلقا، والنهار للعمل مطلقا؟

يجيب البيضاوي على هذا السؤال الذي يعنينا في مجال البرمجة الزمنية، بأنَّ الله تعالى «خصَّ الليلَ بالنوم، والنهارَ بالكسب، **جريا على المعتاد**»[4] أي اعتبارا للفطرة، ولم يستثن سبحانه نوم النهار رحمة بعباده، بدليل قوله تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ﴾[الروم: 23]، فـ«إنَّ كلًّا من المنام وابتغاء الفضل يقع في الملوين، وإن كان **الأغلب** وقوع الأوَّل في الأوَّل، والثاني في الثاني. أو منامكم بالليل، وابتغاؤكم بالنهار كما هو

(1) نُسب هذا القول إلى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وانظر ـ ابن كثير: **تفسير**؛ ج2/ص124.

(2) يقول ابن كثير: «وقال الأكثرون: المراد بالوفاة هاهنا: النوم» **تفسير**؛ ج1/ص367. وانظر ـ القرطبي: **الجامع**؛ ج4/ص100، ج6/ص377، ج7/ص5. والشوكاني: **فتح القدير**؛ ج1/ص345.

(3) الألوسي: **روح المعاني**؛ ج7/ص173.

(4) البيضاوي: **تفسير**؛ ج4/ص416.

المعتاد والموافق لسائر الآيات»[1].

فتقرِّر هذه الآيات إذن أنَّ النوم يخصُّ الليل لفظا ومعنى، إلَّا ما استثني مثل: القيلولة، أو النوم في الصباح لمن رابط الليل في ثغر من الثغور، أو نوم المريض...إلخ. ولا يُحمل نوم الليل على الوجوب، ولا نوم النهار على التحريم، إلَّا إذا أدَّى إلى تعطيل واجب من الواجبات كالصلاة، والكسب الحلال، وإعالة العيال؛ أو أفضى إلى ارتكاب محرَّم من المحرَّمات، كالسهر فيما يسخط الله من لهو ومجون، والنوم في ساعات النهار بعد ذلك.

كم هي عدد ساعات النوم؟ ومتى ينام الإنسان؟ ومتى يستيقظ؟ وما هو النوم المثاليُّ؟

هذه أسئلة لا نجد لها جوابا مباشرا في القرآن الكريم، وإن كان في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾[المزمل: 1-4]، إشارة إلى أنَّ الناس تختلف أحوالهم، وطبائعهم، وعاداتهم... تجاه النوم. بل إنَّ نفس الإنسان قد يكفيه أقلُّ من نصف الليل في النوم، وقد لا يكفيه أكثره، حسب حالته النفسية، والوظيفية، وجهوده في الصباح، ودرجة الحرارة، ومستوى التحمُّل... إلخ.

والمشهور أنَّ عدد ساعات النوم «ثماني ساعات في الليل والنهار جميعا، فإن نام هذا القدر بالليل فلا معنى للنوم بالنهار»[2] ويسميه الغزالي بـ«الاعتدال»[3]، ومعدَّل عدد ساعات النوم ما بين «6-9 ساعات يوميا»[4]، ولكنَّ آخر الأبحاث تظهر أنَّ **نوع النوم هو المهمُّ، لا كمُّه**: «فإنَّ حاجة المرء إلى النوم مختلفة بين شخص وآخر، ومحدَّدة وراثيا، ومن اللَّامعقول القول إنَّه يلزم المرء ثماني

(1) أبو السعود، محمد بن محمد العمادي (ت. 951هـ/1544م): **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، المعروف **بتفسير أبي السعود**؛ دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.ن. ج7/ص57.

(2) الغزالي: **إحياء علوم الدين**؛ ج1/ص402.

(3) **نفسه**.

(4) شمسي: **النوم والأرق**؛ ص34.

ساعات من النوم في الليلة (...) فالحدود القصوى: 1.30 ساعة، و12 ساعة أو أكثر في الليل»[1]. ويتأثَّر النوم كذلك بالساعة البيولوجية، ومختلف الدورات اليومية للإنسان[2].

والإنسان مطالب بمجاهدة نفسه، والإقلال من النوم حسب حاجته، لا وفق رغبته وشهوته، «فخذ من نومك ما يصلُح به جسمك، ويجود به فهمُك، ولا تُكثر منه إكثارا يموت به قلبُك، ويفوت به شغلُك»[3].

وبالجملة، تعتبر دراسات «النوم والأرق والأحلام» من الأبحاث المتطوِّرة جدًّا، وتحتاج إلى بحوث مستقلَّة، تجمع بين ما جاء به الشرع الحنيف، وما توصَّل إليه العلم الحديث..

2 السكن:

﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا﴾[الأنعام: 96]. السكن في اللغة لفظ يشمل «كلَّ ما سكنتَ إليه، واطمأننتَ به، من أهل وغيره»، وقد يخصُّ «المرأةَ، لأنَّها يُسكن إليها»[4]، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا

(1) ليون، جوزيت: **مائة نصيحة ونصيحة للنوم**؛ دار الكتاب العربي، دمشق ـ القاهرة، 1414هـ/1993م. ص42.

(2) انظر ـ شمسي: **النوم والأرق**؛ ص1-82. هيثم: **عالم النوم**؛ كلُّه. جعفر، عبد الرزاق: **النوم والأحلام، أحلام الطفل**؛ الأهالي للطباعة والنشر، دمشق؛ د.ت.ن.؛ ص1-42. سلسلة أسرتي: **الأرق والنوم**؛ الشركة الشرقية للمطبوعات، لبنان؛ 1988؛ ص29-48.

E. Schellur, ***Les insomnies***, p.36-76.

وفي مجلَّة **العلم والحياة** نشر 139 مقالا متخصِّصا عن النوم ما بين 1989 و1998. وانظر عددا خاصا عن النوم:

Science et vie, № 996, sep.2000, p.42-64.

(3) المرادي، أبو بكر محمد بن الحسن الحضرمي القيرواني (ت. 489هـ/1096م): **كتاب الإشارة إلى أدب الإمارة**؛ تح. د. رضوان السيد؛ دار الطليعة، بيروت؛ 1981م؛ ص77.

(4) ابن منظور: **لسان العرب**؛ ج13/ص212.

﴿لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَا﴾[الأعراف: 189]. ولا ريب أنَّ الآية ليست مقصورة على الرجال دون النساء، فيكون سكن الزوجة بالتالي زوجُها، لأنَّها ترتاح إليه ويرتاح إليها في الليل عموما.

وبهذه الآية يُستدلُّ على كراهة السمر بعد العشاء، «إلَّا ما كان من قبيل التقرُّب والأذكار، وتعليم العلم، ومسامرة الأهل بالعلم، وبتعليم المصالح، وما شابه ذلك. فقد ورد عن النبي ﷺ وعن السلف ما يدلُّ على جواز ذلك بل على ندبيته»[1].

وعلى الفرد أن يسعى إلى التوافق مع السنَّة الكونية في نومه ويقظته، ويعلم أنَّ «الله الحكيم قد جعل الليل سكنا هادئا، ليسكن فيه الناس، وينام، ويهدؤوا، ويطمئنُّوا. وجعل النهار ليستيقظوا، ويعملوا، ويتحرَّكوا»[2].. والحكيم هو الذي يأتي بالأمور في مكانها وزمانها.

3 السكون:

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٖ تَسۡكُنُونَ فِيهِۖ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٧٢ وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾[القصص: 72-73]. ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ﴾[يونس: 216]. وفي تفسير السكون، يقول القرطبي: بيَّن الله سبحانه «أنَّ الواجب عبادة من يقدر على خلق الليل والنهار، لا عبادة من لا يقدر على شيء، "**لتسكنوا فيه**" أي: مع أزواجكم، وأولادكم؛ ليزول التعب والكلال بكم. **والسكون**: الهدوء عن الاضطراب»[3].

فيكون جزء من الليل ـ بهذا المعنى ـ مخصَّصًا للأبناء وللأزواج، ومن تمام الحكمة وحسن التقدير أن لا يخلو البرنامج الزمنيُّ للمسلم من وقت مفرَّغ

(1) القرطبي: **الجامع**؛ ج12/ص138-139.

(2) الخالدي: **الخطَّة البراقة**؛ ص127.

(3) القرطبي: **الجامع**؛ ج8/ص360.

للسكون، وأن لا يُترك ضغط العمل أو مداومة العبادة ـ بمعنى الشعائر ـ تمنعه من هذه الحقوق، وحديث أبي الدرداء مع سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، خير موضِّح لهذا المعنى[1]. ولعلَّ نظرة الإسلام إلى البرمجة الزمنية يمكن تلخيصها في كلمة هي: **التوازن**. وهذا بالذات ما ينقص المجتمع الغربيَّ عبر مراحل تاريخه.

ولقد عقد «جريسمان» فصلا عنونه بـ: الفصل الخامس عشر: **الموازنة بين العمل والعائلة والحياة الاجتماعية**[2]. يذكر فيه أنَّ عدم الموازنة في الغرب ورَّثته قلقا واضطرابا، وأنَّ أصل المشكلة هو الوفرة في الوقت وفي الوسائل، فنقل مقولة «إريك فروم»: «يعتقد الرجل المعاصر أنَّه يخسر شيئا ـ الوقت ـ عندما لا يؤدِّي الأشياء بسرعة، ومع ذلك فهو لا يعرف ما يفعله بالوقت الذي يكسبه، إلَّا أن يقتله»[3].

4 اللباس:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسًا﴾[الفرقان: 47]. ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسًا﴾[النبأ: 10]. ولكلمة اللباس معانٍ عديدة ذكرها المفسِّرون، وهي في مجملها لا تخرج من دَلالة اللفظين السابقين: السكن، والسكون. من هذه المعاني:

- «سكنا» وقد نسب لابن عباس، وقتادة[4]، والسدي[5].
- «تسكنون فيه وهو مشتمل عليكم»[6].
- بمعنى «المواقعة» قاله عبد الرحمن بن زيد[7].

(1) **رواه البخاري؛ كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع**؛ 694/2، رقم 1867.

(2) جريسمان: **فن إدارة الوقت**؛ ص417-420،

(3) **نفس المرجع**؛ ص417.

(4) الطبري: **تفسير**؛ ج2/ص163. وابن كثير: **تفسير**؛ ج4/ص463.

(5) القرطبي: **نفس المرجع**؛ ج19/ص172.

(6) ابن منظور: **لسان العرب**؛ ج6/ص203.

(7) الطبري: **تفسير**؛ ج2/ص163.

- «الغطاء يستر بظلمته من أراد الاختفاء»[1].

5 القنوت:

قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾[الزمر: 9]. ولقد حصر ابن منظور معاني القنوت[2]، وهي:

- «الإمساك عن الكلام» عموما أو في الصلاة، فيكون المعنى هنا امتداح الذين لا يسمرون في الليل بالكلام والحديث الدنيوي.
- «الدعاء» عموما، أو الدعاء في الصلاة.
- «الخشوع والإقرار بالعبودية، والقيام بالطاعة التي ليس معها معصية» وهذا لا يخصُّ الليل فقط، بل هو لليل والنهار.
- «القيام»، أي «الصلاة».

لكلِّ معنى من هذه المعاني شواهد من القرآن الكريم ومن السنَّة النبوية الشريفة. وباستثناء المعنى الأوَّل، فإنَّ القنوت يعني الذكر في معناه الشامل، ويكون بالتالي مما خُصَّ بالليل لفظا لا معنى، إذ أنَّ الذكر من الأعمال التي تستغرق الليل والنهار، وهو من نوع **الزمن الصبغة**.

6 الهجوع:

﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾[الذاريات: 17]. فسِّر الهجوع «بالنوم ليلا»[3]، أو بـ«الفرار من النوم»[4]؛ فيكون المعنى امتداح الذين لا ينامون من الليل إلَّا قليلا لغرض العبادة والذكر، وفسِّر كذلك بالصلاة بين المغرب والعشاء، وبقيام الليل،

(1) البيضاوي: **تفسير**؛ ج5/ص439.

(2) **لسان العرب**؛ ج2/ص74.

(3) الرازي: **مختار الصحاح**؛ ج1/ص288. مادة هجع. ابن منظور: **نفس المرجع**؛ ج8/ص367.

(4) الزمخشري: **الكشاف**؛ ج4/ص398.

وبالصلاة كلَّ ليلة ولو قليلا[1].

7 التهجّد:

﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾[الإسراء: 79]. هجد من الأضداد: «فيقال هجد: نام، وهجد: سهر»[2] ومعناه في الآية «القيام إلى الصلاة من النوم»، أو السهر «في قراءة» القرآن[3]، فيكون معنى الآية: «ومن الليل فاسهر بعد نومة، يا محمد، بالقرآن. نافلة لك خالصة دون أمتك»[4]، و«التهجد زيد لك على الصلوات المفروضة، فريضة عليك، خاصَّة دون غيرك، لأنَّه تطوُّع لهم»[5].

فالخلاصة أنَّ التهجُّد فرض على الرسول ﷺ، وهو تطوُّع لغيره من المسلمين، رحمة من الله تعالى بهم؛ لأنَّهم لا يطيقون ما يطيق محمد ﷺ، ولا يستطيعون ما يستطيع.

8 تلاوة القرآن:

﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ﴾[آل عمران: 113]. سواء قُصد بالمدح أمَّة محمَّد ﷺ أم جماعة من اليهود أسلموا فحسن إسلامهم[6]، فإنَّ المعنى أنَّ هؤلاء المذكورين قائمون بأمر الله تعالى، وهم «يقيمون الليل، ويكثرون التهجُّد، ويتلون القرآن في صلواتهم»[7].

وآناءُ الليل ساعاته، أو تعني جوفَ الليل، أو وقت صلاة العشاء، أو فيما

(1) الطبري: **نفس المرجع**؛ ج26/ص295-297.

(2) القرطبي: **الجامع**؛ ج10/ص307.

(3) **نفس المرجع**؛ ج10/ص308.

(4) الطبري: **تفسير**؛ ج15/ص141. وانظر ـ المقريزي: **مختصر قيام الليل**؛ ص11.

(5) الزمخشري: **الكشاف**؛ ج2/ص687.

(6) الطبري: **نفس المرجع**؛ ج4/ص51-54.

(7) ابن كثير: **تفسير**؛ ج1/ص398.

بين المغرب والعشاء، على خلاف بين المفسِّرين[1]. والذي نستفيده أنَّ هؤلاء يخصِّصون **وقتا من ليلهم في برنامجهم اليوميِّ** لقراءة القرآن الكريم، وتدبُّر معانيه، والاعتبار بعبره.

والقرآن الكريم هو ميزان العقل، وغذاء القلب، ولذا توجَّب على المسلم إذا هو أراد أن يُصلح دينه ودنياه أن يكثر من تلاوته. فهو ـ لمن حفظه، أو حفظ جزءا منه ـ لا يحتاج إلى وقت مخصَّص، بل يسعفه في انتظاره ومسيره، وفي جلوسه وقيامه، وقبل نومه وبعد استيقاظه... وليست العبرة بـ«كَمْ يَحفَظ»، ولكن بالتدبُّر، ولو في القليل ممَّا يحفظ[2].

9 قيام الليل:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[المزمل: 1-2]، ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾[المزمل: 20][3]. إنَّ لفظة «قم» في الآية الأولى معناها «صلِّ، عُبِّر به عنه، واستعير له، حتى صار عرفا بكثرة الاستعمال»[4].

وأمَّا من الناحية الفقهية والحدود الزمانية فإنَّ «**المستفاد من كلام الفقهاء أنَّ قيام الليل قد لا يكون مستغرقا لأكثر الليل**، بل يتحقَّق بقيام **ساعة منه**. أمَّا العمل فيه فهو الصلاة دون غيرها. وقد يطلقون قيام الليل على إحياء الليل»[5] أو شامل للاشتغال «**معظمَ الليل بطاعةٍ، وقيل ساعة منه**، يقرأ القرآن، أو يسمع الحديث،

(1) الطبري: **نفس المرجع**؛ ج4/ص54-55.

(2) ولقد بُحث هذا المعنى بإسهاب في كتاب: الغزالي، محمد بن محمد: **كيف نتعامل مع القرآن الكريم**؛ مدارسة أجراها عمر عبيد حسنة؛ ط3: 1413هـ.

(3) انظر ـ المقريزي: **مختصر قيام الليل**؛ ص11 وما بعدها، ذكر الترغيب في قيام الليل من كتاب الله عز وجل.

(4) القرطبي: **الجامع**؛ ج14/ص34.

(5) جماعة العلماء: **الموسوعة الفقهية**؛ (الأصلية: وزارة الأوقاف الكويتية)، طبعة جامع الفقه، شركة حرف، الإمارات العربية المتحدة؛ 1999م؛ ج2/ص232 وانظر ـ الزغبي، محمد عبد الملك: **رهبان الليل**؛ مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، 1418هـ/1997م؛ كلُّه.

أو يسبِّح، أو يصلِّي على النبي ﷺ. (...) وقد يسبقه نوم بعد صلاة العشاء، وقد لا يسبقه نوم»[1].

10 ناشئة الليل:

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا﴾[المزمل: 6]. عرِّفت الناشئة في هذه الآية بعدَّة تعريفات، عدَّدها ابن منظور، بعد أن قال: «ونشأ الليلُ: ارتفع»[2].

وناشئة الليل، قيل هي:

- **أوَّل ساعة**.
- إذا نمت من **أوَّل الليل** نومة ثم قمت.
- ما ينشأ في الليل من الطاعات.
- **ساعاته** وهي آناء الليل، ناشئة بعد ناشئة.
- **ساعات الليل كلُّها**، ما نشأ منه أي ما حدث، فهو ناشئة.
- قيام الليل مصدرٌ جاء على فاعلة، وهو بمعنى النشء، مثل العافية بمعنى العفو، والعاقبة بمعنى العَقْب، والخاتمة بمعنى الختم[3].

والحاصل أنَّ ناشئة الليل عبادة **تختصُّ بجزء من الليل، أو تعمُّ الليل كلَّه**، وهي «أوطأُ للقيام، وأسهلُ على المصلِّي من ساعات النهار، لأنَّ النهار خُلق لتصرُّف العباد فيه، والليل خُلق للراحة من العمل، فالعبادة فيه أسهل»[4].

(1) **نفسه**.

(2) ابن منظور: **لسان العرب**؛ ج1/ص172.

(3) ابن منظور: **لسان العرب**؛ ج1/ص172. (بتصرف).

(4) شهاب الدين، أحمد بن محمَّد الهائم المصري (ت. 815هـ/1412م): **التبيان في تفسير غريب القرآن**؛ تح. د. فتحي أنور الدابولي؛ دار الصحابة للتراث بطانطا، القاهرة، مصر؛ 1992م؛ ج1/ص431.

11 الرفث والأكل في ليالي شهر رمضان:

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾[البقرة: 187]، توسَّع المحدِّثون والفقهاء في بيان سبب نزول هذه الآيات[1]، وأمَّا الحكم الفقهيُّ فـ«يقتضي إباحة الوطء في ليلة الصيام»[2]، بعد أن كان محرَّمًا، وكذا الأكل والشرب لقوله تعالى: ﴿فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾[البقرة: 187]. وهذه الأعمال الليلية جاءت من قبيل الإباحة إلَّا ما أفضى إلى محرَّم أو هلاك، واعتبارها في البرمجة الزمنية لشهر رمضان ضرورة للمسلم متى بلغ.

وهنا يستشكل وضع البرنامج الزمنيِّ على أساس السنة الميلادية فقط، ويتوجَّب الاهتمام بالسنة الهجرية، التي هي محلُّ قياس العبادة في الشريعة الإسلامية[3]. **ولم أطَّلع على أيِّ مرجع من مراجع إدارة الوقت تعرَّض لشهر رمضان بما يجب من تخطيط، كذا لم أطَّلع على أيِّ مرجع فقهيٍّ تعرَّض لشهر رمضان من جهة البرمجة الزمنيَّة**؛ فيبقى الانفصام قائما بين العلوم الإدارية والعلوم الشرعية، إلى أن تتأسَّس علوم جديدة تصل الحياة بالعبادة، والتنظيمَ بالفقه، ولا تقيم حاجزا بين الدين وسائر العلوم.

والجصَّاص في تفسيره **يذهب إلى أنَّ العمل بالتقويم الهجريِّ واجب**، وأنَّ القرآن الكريم والرسول ﷺ «أبطلا ما غيَّره المشركون من ترتيب الشهور ونظامها، وما زاد به في السنين والشهور، **وأنَّ الأمر قد استقرَّ على ما وضعه الله تعالى في الأصل**، لِما علم تبارك وتعالى من تعلُّق مصالح الناس في عباداتهم وشرائعهم بكون الشهر والسنين على هذا الوجه، فيكون الصوم تارة في الربيع،

(1) ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني الشافعي (ت. 852هـ/1448م): **فتح الباري**؛ تح. محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب؛ دار المعرفة، بيروت، 1379هـ؛ ج4/ص129-131.

(2) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت. 1250هـ/1834م): **نيل الأوطار**؛ دار الجيل، بيروت، 1963م؛ قرص فقه وأصول؛ ج4/ص292.

(3) انظر ـ باباعمي: **مفهوم الزمن**؛ ص162-168.

وتارة في الصيف، وأخرى في الخريف، وأخرى في الشتاء، وكذلك الحجُّ؛ لعلمه بالمصلحة في ذلك»[1].

نقترح بحوثا ودراسات معمَّقة تجمع بين التقويم الهجري، وبين دراسات الساعة البيولوجية، ودراسة الإيقاع الجسميِّ والنفسيِّ للإنسان.

ويمكن أن نجمع الأعمال الخاصة بالليل، من خلال القرآن الكريم، في الجدول الآتي:

أعمال الليل		
النوم	قيام الليل(*)	الأهل
المنام	القنوت	السكن
السكون	الهجوع	السكون
	التهجُّد	اللباس
	تلاوة القرآن	
	قيام الليل	
	ناشئة الليل	
الرفث والأكل في شهر رمضان		

الأعمال الخاصة بالليل، في القرآن الكريم

بعد هذا الحصر، سنحاول أن نعرض **الأعمال التي تخصُّ النهار من خلال القرآن الكريم**، ثم نرسم جدولا توضيحيًّا، يقرِّب الصورة، ويضبط الفهم.

(1) الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي الرازي الحنفي (ت. 370هـ/980م): **أحكام القرآن**؛ (الأصلية: دار الفكر) طبعة جامع الفقه، شركة حرف، الإمارات العربية المتحدة؛ 1999م؛ ج3/ص162.

(*) بمعناه الشامل للصلاة، والذكر، وتلاوة القرآن، والتفكُّر...

• ثالثا • الأعمال الخاصَّة بالنهار في القرآن الكريم

حدُّ النهار عند الفقهاء من صلاة الصبح إلى صلاة المغرب، ذلك أنَّ صلاتي الظهر والعصر نهاريتان، وصلاتي المغرب والعشاء ليليتان، «ووقت الصبح مستقلٌّ لا من الليل ولا من النهار»[1]، ولذلك اختُلف فيه، والتحقيق في هذه الصلاة قول الحطَّاب: «ثبت أنَّها من صلاة النهار». وآية الصوم في البقرة تدلُّ على أنَّ حدَّ النهار من الفجر إلى غروب الشمس، وذلك أنَّ «حتى» تفيد الغاية[2]، وهذا الرأي «به العمل في الصوم، والصلاة، والأيمان، وغير ذلك من جميع ما يناط به حكم شرعيٌّ»[3].

والنهار بهذا المعنى اختصَّت به جملة من الأعمال في القرآن الكريم، من بينها:

1 الابتغاء من فضل الله:

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾[الإسراء: 12]. ﴿يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾[المزمل: 20].

تجمع التفاسير على أنَّ الابتغاء من فضل الله معناه: **التصرُّف في المعاش وطلب أسبابه، بالأسفار ونحوها**[4]. فيكون النهار بالتالي مجعولا من الله تعالى للحركة والعمل والاسترزاق، ولا يكون العمل في الليل إلَّا لضرورة، أو في الوظائف التي تقتضيه، وإلَّا فهو مخالف للفطرة.

(1) القرطبي: **الجامع**؛ ج2/ص318.

(2) **نفسه**.

(3) ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري (ت. 711هـ/1311م): **كتاب نثار الأزهار في الليل والنهار**؛ دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1403هـ/1983م؛ ص70.

(4) وانظر ـ ابن الجوزي: **زاد المسير**؛ ج5/ص14. القرطبي: **الجامع**؛ ج10/ص228. ج3/ص27. الزمخشري: **الكشَّاف**؛ ج2/ص652. البيضاوي: **تفسير**؛ ج3/ص435. ابن كثير: **تفسير**؛. الشوكاني: **فتح القدير**؛ ج3/ص212.

2 الجرح:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ﴾[الأنعام: 60]. في اللغة يقال: «جرح الشيءَ و اجترحه: كسبه»[1]، ومعناه في هذه الآية هو نفس المعنى اللغوي، أي أنَّه تعالى يعلم «ما كسبتم بجوارحكم من الخير والشر»[2] في النهار، ومن أنواع الخير السعي للكسب والاسترزاق، والابتغاء من فضل الله تعالى، كما تبينه الآية السابقة.

3 الإبصار:

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَسۡمَعُونَ﴾[يونس: 67]. ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِيَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يُؤۡمِنُونَ﴾[النمل: 86]. ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾[غافر: 61].

إمَّا تفهم هذه الآيات على الحقيقة، فيكون مبصرا صفة للنهار أي: «مضيئا»[3]، و«منيرا، ومشرقا»[4] ليتصرَّفوا فيه. أو أنَّ مبصِرًا معناه «مبصَرا فيه على النسب، كما قال في ﴿عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ﴾، أي ذات رضى، أي يرضى بها»[5]، أو أضيف الإبصار إلى النهار مجازا «وإنَّما يبصَر فيه، وليس النهار مما يبصِر، ولكن لما كان مفهوما في كلام العرب معناه خاطبهم بما في لغتهم وكلامهم»[6].

وكون النهار مبصِرا، سواء على الحقيقة أو المجاز، إنِّما هو لمصلحة العباد،

(1) ابن منظور: **لسان العرب**؛ ج2/ص423.

(2) الشوكاني: **نفس المرجع**؛ ج2/ص124.

(3) ابن كثير: **تفسير**؛ ج4/ص87..

(4) **نفس المرجع**؛ ج3/ص378..

(5) الفراء: **معاني القرآن**؛ ج3/ص304.

(6) الطبري: **تفسير**؛ ج11/ص140.

وذلك ليتصرَّفوا فيه «في المعايش، والمكاسب، والأسفار، والتجارات، وغير ذلك من شؤونهم التى يحتاجون إليها»[1].

وشتَّان بين من ينظر إلى هذه النعمة نظرة جفاء، ويغفل عن المنعِم الوهَّاب، كما في النظرة الغربية للزمن خصوصا وللنعم الأخرى عموما؛ وبين من ينظر إليها على أنَّها فضل من أفضال الله على عباده، فيشكر ربَّه باللسان أوَّلا، ويشكره بعمارتها بأنواع الخير ثانيا، ثم يشكره ثالثا بالابتعاد فيها عن دروب الشرِّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾[البقرة: 243].

4 النشور:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا﴾[الفرقان: 47]. في تفسير النشور قولان: «**أحدهما**: تنتشرون فيه لابتغاء الرزق، قاله ابن عباس. **والثاني**: تُنشر الروح باليقظة كما تنشر بالبعث، حكاه الماوردي»[2]. وفي روح المعاني: «وجعل النهار نشورا: **تنتشرون فيه لطلب ضرورياتكم**»[3] وهو أوسع من طلب الرزق والمعاش.

5 المعاش:

﴿وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا﴾[النبأ: 11]. «ملتمَسًا للعيش»[4]، أو في الآية «إضمارٌ، أي: **وقت معاش**، أي متصرَّفا لطلب المعاش، وهو كلُّ ما يعاش به من المطعم والمشرب وغير ذلك (...) ويجوز أن يكون مصدرا بمعنى: **العيش**»[5]. وعلى هذا يكون طلب المعاش من وظائف النهار، والمعاش كذلك من وظائف النهار، وليس

(1) ابن كثير: **نفس المرجع**؛ ج3/ص378.

(2) ابن الجوزي: **زاد المسير**؛ ج6/ص94. وانظر ـ البيضاوي: **تفسير**؛ ج4/ص221.

(3) الألوسي: **روح المعاني**؛ ج19/ص56.

(4) ابن منظور: **لسان العرب**؛ ج6/ص322.

(5) القرطبي: **الجامع**؛ ج19/ص172. وانظر ـ ابن الجوزي: **زاد المسير**؛ ج9/ص5. والزركشي: **البرهان**؛ ج4/ص130.

في الإسلام تبتُّل وتنسُّك، بمعنى الانقطاع عن الدنيا، والجوع لغرض الجوع: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[الأعراف: 32].

ويذكر السرخسي أنَّه «ليس على الرجل أن يدع الأكلَ حتى يصير بحيث لا ينتفع بنفسه، يعني حتى ينتهي به الجوع إلى حالٍ تضرُّه، وتفسد معدته (...) لأنَّ في الامتناع من الأكل إلى هذه الغاية تعريضُ النفس للهلاك، وهو حرامٌ، وفيه اكتساب سبب تفويت العبادات، ولا يتوصَّل إلى أداء العبادات إلَّا بنفسه».

و«أمَّا تجويع النفس على وجه لا يعجز معه عن أداء العبادات، وينتفع بالأكل بعده، فهو مباح؛ لأنَّه إنما يمنع من الأكل لإتمام العبادة إذا كان صائما، أو ليكون الطعام ألذَّ عنده إذا تناوله»[1].

ولم يبيِّن القرآن الكريم عدد الأكلات في اليوم، ولا أوقات الأكل، ولم يذكر فيه الفطور ولا العَشاء، ولكنَّه ترك كلَّ ذلك للعادة، وللبيئة... غير أنَّنا نستنتج من آيتي سورة الكهف والأحزاب، ضابطين عن وقت الطعام ومدَّته، وهما:

(أ) • **أنَّ الغداء يكون بعد مرحلة من التعب، حسب الطلب والحاجة:** ففي قصَّة موسى عليه السلام من سورة الكهف: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾[الكهف: 62]. يقول القرطبي في تفسير هذه الآية: «من جاع وجب عليه أن يطلب ما يردُّ جوعه، خلافا لجهَّال المتصوِّفة»[2]، والغداء في اللغة: «طعام الغُدوَة، والجمع أغدية»[3].

(ب) • **لا ينبغي للطعام أن يأخذ وقتا طويلا،** ولا أن يُستطرد في الحديث والمسامرة بعده، قال تعالى مخاطبا المؤمنين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ

(1) السرخسي: أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل (ت.483هـ/1090م): **المبسوط**؛ (الأصلية: دار المعرفة)، طبعة جامع الفقه، شركة حرف، الإمارات العربية المتحدة؛ 1999م؛ ج30/ص269-270.

(2) **الجامع**؛ ج11/ص24.

(3) ابن منظور: **لسان العرب**؛ ج15/ص118.

﴿ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾[الأحزاب: 53]. والنهي من الله تعالى، لأنَّ ذلك المكث يضرُّ بالنبي ﷺ، ولا شكَّ أنَّه يضرُّ بمن بعده، وهو مدعاة لتضييع الوقت فيما لا يعني، والآية عامَّة. يقول أبو السعود: «إنَّ ذلكم الاستئناس الذي كنتم تفعلونه من قبلُ، كان يؤذي النبي، لتضييق المنزل عليه، وعلى أهله، **وإيجابه للاشتغال بما لا يعنيه، وصدِّه عن الاشتغال بما يعنيه**»[1].

وقد يستثنى من أنواع المكث المنهي عنه ـ عند غير الرسول ﷺ ـ ما كان لمنفعة، مثل البسط مع الأهل، والحوار في مواضيع الساعة مع الأصدقاء والخلَّان... على أن لا يستغرق وقتا فاحشا، بحيث يضرُّ بعبادة أو واجب متعيِّن.

6 الصوم في رمضان:

﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِ﴾[البقرة: 187]. يعرَّف الصوم في اللغة بأنَّه: «الإمساك»، وفي الاصطلاح: «إمساك المكلَّف بالنية، من الليل، عن تناول المطعم والمشرب، وكلِّ ما يصل الجوف، والاستمناء، والاستقاء، والجماع، والكبائر، من **الفجر إلى المغرب** تقرُّبا إلى الله»[2] فيكون هذا الإمساك من الأعمال التي تخصُّ النهار دون الليل، سواء في صوم الفرض أم التطوُّع، ذلك أنَّ الرسول ﷺ نهى المسلمين عن الوصال[3]، وهو من خصوصياته عليه السلام[4].

ويلاحظ أنَّ الصوم ـ على خلاف الأعمال الأخرى ـ سلبٌ، أي هو امتناع وليس إتيانا، فهو من الناحية الزمنية لا يشغل وقتا خاصًّا، بل يلازم الأعمال الأخرى،

(1) **روح المعاني**؛ ج7/ص112.

(2) اطفيش: **شرح النيل**؛ ج3/ص308.

(3) ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله الأندلسي المالكي (543هـ/1148م): **أحكام القرآن**؛ (الأصلية: دار الكتب العلمية) طبعة جامع الفقه، شركة حرف، الإمارات العربية المتحدة؛ 1999م؛ ج1/ص110، ج1/ص132.

(4) **نفس المرجع**؛ ج3/ص599.

وزمنه من نوع **الزمن الصبغة**؛ غير أنَّ عدم الفهم الصحيح لهذه الشعيرة جعل المسلمين ينحرفون في رمضان، ويتَّخذونه للنوم والكسل والتعطُّل عن العمل؛ وتكاد الإدارة في بعض البلاد تتعطَّل كلية في شهر رمضان، مما يضيِّع كثيرا من المصالح، ويعرِّض الأمَّة للتخلُّف والتردِّي.

أعمال النهار	
الابتغاء من فضل الله	المعاش
الابتغاء من فضل الله	**المعاش**
الجرح	الإبصار
الإبصار	
النشور	
طلب للمعاش	
الصوم في رمضان، وفي غيره	

الأعمال الخاصة بالنهار، في القرآن الكريم

وإذا ما قمنا بإحصاء الأعمال المجعولة لليل والنهار سويا، والتي خصَّت الليل وحده، أو النهار وحده، فإنَّنا سنقترب من وضع أرضية ولو أوليَّة للبرنامج اليوميِّ للإنسان المسلم، من منطلق قرآنيٍّ، مع الاستعانة بالمدخل اللفظيِّ لكلمتي «الليل» و«النهار»، وبالقراءة المصحفيَّة، ويبقى الجهد مطلوبا لتطوير هذه العملية والدفع بها إلى أكمل صورة ممكنة، حسب طاقة العقل والفكر.

ويكون لنا بالتالي هذه القائمة الجامعة، في انتظار قوائم أخرى من مداخل أخرى:

أعمال الليل والنهار				
الفكر	الذكر	الصلاة	الإنفاق	الدعوة
أعمال الليل		أعمال النهار		
النوم	قيام الليل	الأهل	الابتغاء من فضل الله	المعاش
	القنوت	السكن	الابتغاء من فضل الله	المعاش
	الهجوع	السكون	الجرح	الإبصار
	التهجُّد	اللباس	الإبصار	
	تلاوة القرآن		النشور	
	قيام الليل		المعاش	
	ناشئة الليل			
الرفث والأكل في رمضان		الصوم في رمضان		

القائمة الجامعة لأعمال الليل والنهار، في القرآن الكريم

المبحث الثالث البرنامج اليومي في القرآن الكريم (أجزاء الليل والنهار)

ذُكرت أجزاء الليل والنهار في كامل القرآن الكريم:

- إمَّا في مقام **القسَم بها**، مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾[الضحى: 1]، ﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾[العصر: 1]، ﴿وَٱلصُّبۡحِ﴾[التكوير: 18].
- وإمَّا في مقام **الدعوة إلى التدبُّر فيها**، مثل قوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا﴾[النازعات: 29-27].
- أو في معرض **الحديث عن الأمم السابقة، والتأريخ لحدث من أحداثها التي وقعت في ذلك الوقت**، مثل قوله سبحانه: ﴿قَالَ مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾[طه: 59]. ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ﴾[يوسف: 16].
- وقد يكون الجزء المذكور من الوقت مسرحا لهلاك أمَّة من الأمم، أو أنَّهم هدِّدوا بالهلاك في ذلك الوقت: فالأوَّل مثل قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ﴾[الأعراف: 4]، وفي هلاك قوم لوط عليه السلام: ﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ﴾[هود: 81]. والثاني، مثل قوله: ﴿أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا بَيَٰتٗا وَهُمۡ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ضُحٗى وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ﴾[الأعراف: 98-97].
- وإمَّا **لتخصيص هذا الوقت بعمل من أعمال البرِّ** كالتفكُّر والذكر والتسبيح والصلاة، أو الفطرةِ كالنوم والمعاش، وهذا النوع هو الذي يندرج ضمن **البرمجة اليومية**، ولذا سنحاول تتبُّعه في كامل القرآن الكريم، مستعينين بالمدخل اللفظيِّ، وبالقراءة المصحفية فيما لا يدلُّ عليه اللفظ.

• أولا • بداية اليوم:

يجعل النظام العربيُّ بداية اليوم وقتَ غروب الشمس، باعتبار أنَّ الليل أصلٌ والنهار فرعٌ، وأمَّا النظام الزواليُّ، الذي به العمل حاليا في جلِّ مناطق العالَم، فيحدِّد بداية اليوم في منتصف الليل، وبهذا يقع اليوم بين نصفي ليلتين[1]، ومن العجم من يجعل ابتداء اليوم «من طلوع الشمس إلى طلوعها مرَّة أخرى»[2].

ولقد بيَّن ابن تيمية حكمة التقويم بالشهر الهلاليِّ، وأنَّه أفضل من التقويم بالشهر الشمسيِّ، ذلك أنَّ الأوَّل «طبيعيٌّ، وسَنَتُه عدديَّة»، أمَّا الثاني «فعدديٌّ، وسَنَتُه طبيعيَّة»[3].

ويفسِّر هذا توصُّل الباحثين إلى أنَّ للإنسان إيقاع داخليٌّ، وقد أظهرت التجارب عدم تطابق اليوم الشمسيِّ مع ساعتنا الداخلية، وأنَّ إيقاعنا الداخليَّ «أقرب إلى اليوم القمريِّ، الذي يحدِّد إيقاع حركات المدِّ والجزر»[4]. ولهذه

(1) وانظر ـ القلقشندي: **صبح الأعشى**. وقد عقد فصلا عنونه بـ: «الفصل الثالث من الباب الأول من المقالة الأولى في معرفة الأزمنة والأوقات من الأيام والشهور والسنين، على اختلاف الأمم فيها وتفاصيل أجزائها، والطرق الموصلة إليها، ومعرفة أعياد الأمم» ج2/ص366 وما بعدها. علي، حسن موسى: **التوقيت والتقويم**؛ دار الفكر العربي، بيروت، لبنان؛ 1990م؛ ص66-67.

(2) ابن الأجدابي، أبو إسحق إبراهيم (ت. 950هـ/1543م): **الأزمنة والأنواء**؛ تح. د. عزَّة حسن؛ سلسلة إحياء التراث القديم، رقم 9؛ وزارة الثقافة والإرشاق القومي، دمشق، سورية؛ 1964م؛ ص28.

(3) ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت. 728هـ/1327م): **دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية**؛ تح. محمد السيد الجليند؛ مؤسسة علوم القرآن، دمشق؛ ط2: 1404هـ؛ ج2/ص218. ابن تيمية: **كتب ورسائل**؛ ج15/ص89.

(4) A. Dorozunski, ***Vivons-nous au rythme de la lune?*** Science et vie, № 907, avr.1993, p.43.

ونفس المقال مترجما: دوروزنيسكي، ألكسندر: **هل نعيش وفقا لإيقاع القمر؟**؛ تر. نبيل حسون؛ مجلَّة **الثقافة العالمية**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت (عدد 62: جانفي 1994م) ص131. وانظر ـ شمسي: **النوم والأرق**؛ ص35.

الأبحاث تطبيقات عملية في مجال علم العمل[1].

هذا من الناحية الفلكية[2] والبيولوجية، أمَّا من حيث البرمجةُ الزمنية لعمل الإنسان، فإنَّ المرجعية هي أوقات الصلاة، فبداية أوقات الصلاة هي ذات البداية للأعمال الأخرى، ونهايتها هي نهايتها، ما دامت الصلاة **هي المحور الذي يدور حوله البرنامج اليوميُّ للإنسان المسلم**، وهذا خلافا لمؤلَّفات إدارة الوقت التي تجعل بداية اليوم العمليِّ من الصبح، ونهايته في الليل[3].

ولقد قرَّر الفقهاء أنَّ أصل مشروعية أوقات الصلاة عُرف بالقرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾[الروم: 17-18].

والمراد بالتسبيح في هذه الآية الصلاة،

﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾: المغرب والعشاء،

﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾: الصبح،

﴿وَعَشِيًّا﴾: العصر،

﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾: الظهر[4].

وينبغي أن نشير إلى أنَّه اختلف المفسِّرون في تفسير هذه الآيات، وفي آية: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[الإسراء:

(1) شمسي: **نفس المرجع**؛ ص139-140.

(2) وانظر ـ بوناطيرو: **علم الميقات**؛ ص106-110.

(3) وانظر ـ شيلينغ: **تخطيط الوقت، كيف تقسِّم يومك**؛ ص257، 260، 261. سلامة: **إدارة الوقت**؛ ص73.

(4) الشافعي: **الأم**؛ ج1/ص86. الطبري: **تفسير**؛ ج21/ص28-29. الجصاص: **أحكام القرآن**؛ ج1/ص376. الكاساني: **بدائع الصنائع**؛ ج1/ص89. جماعة العلماء: **الموسوعة الفقهية**؛ ج7/ص170.

78]. فبعضهم جعل دلوك الشمس هو المغرب[1]، فتتناسق هذه الآية مع التي قبلها، والبعض الآخر فسَّره بالظهر[2]. وكذلك تُمسون فسَّره البعض بالمغرب والعشاء، وقد تقدَّم، والبعض الآخر بالعصر[3]. غير أنَّنا اعتمدنا المعنى الراجح، الذي يكاد يجمع عليه الفقهاء والمفسِّرون فيما اطَّلعنا عليه: وهو اعتبار المغرب أوَّل صلاة ذُكرت في هاتين الآيتين.

ومن المغرب نبدأ تحليل أجزاء اليوم والأعمال المختصَّة بها، جزءا جزءا:

• ثانيا • الأعمال الخاصَّة بأجزاء الليل في القرآن الكريم:

1 حين تمسون ـ صلاة المغرب:

قال تعالى: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ ﴾[الروم: 17].

في لسان العرب: «المساء ضدُّ الصباح، والإمساء نقيض الإصباح، والمساء بعد الظهر إلى صلاة المغرب، وقال بعضهم: إلى نصف الليل»[4]، وحين تُمسون في الآية إشارة إلى صلاة المغرب، فنأخذ من الآية أنَّ **أوَّل عمل يترتَّب على المؤمن في برنامجه اليوميِّ هو الصلاة**، مع التنبيه إلى أنَّ المفروضة منها لا تستغرق وقتا طويلا.

2 دلوك الشمس (بمعنى الغروب) ـ صلاة المغرب:

في التنزيل الحكيم: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ ﴾[الإسراء: 78].

(1) وهو رأي ابن مسعود، وعلي، وأبي بن كعب، وروي عن ابن عباس. وانظر ـ ابن العربي: **أحكام القرآن**؛ ج3/ص209.

(2) وهو رأي عمر، وابن عمر، وأبي هريرة، وابن عباس. وانظر ـ ابن العربي: **أحكام القرآن**؛ ج3/ص209.

(3) السرخسي: **المبسوط**؛ ج1/ص141.

(4) ابن منظور: **لسان العرب**؛ ج15/ص280-281.

اختلف المفسِّرون في تفسير دلوك الشمس، وأصل الاختلاف لغويٌّ، فـ«دلكت الشمس تدلك دلوكا: غربت، وقيل: اصفرَّت ومالت للغروب»[1]. فمن اعتبر المعنى الأوَّل فسَّره بصلاة الظهر، باعتبار بداية ميلان الشمس نحو المغرب؛ ومن اعتبر الثاني فسَّره بصلاة المغرب، باعتبار نهاية ميلان الشمس نحو المغرب، وعلامته الاصفرار، فتكون هذه الآية تفسيرا لقوله تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ [الروم: 17-18]. وتكون صلاة المغرب أوَّل أعمال اليوم، كما ذكرنا.

3 غسق الليل ـ صلاة العشاء:

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾[الإسراء: 78].

تدلُّ مادَّة «غسق» على الانصباب والانسكاب[2]، فيكون معنى: «غسق الليل على الظِّراب، أي انصبَّ الليل على الجبال، وغسق الليل يغسق: انصبَّ وأظلم»[3].

والآية تفيد الأمر بصلاة العتمة[4]، أو بصلاة المغرب[5]، وقد رجَّح الجصَّاص العشاء، فإنَّ «الأظهر أن يكون المراد بالدلوك ههنا هو الغروب، وغسق الليل ههنا هو اجتماع الظُّلمة»[6].

فتثبت **صلاة العشاء في البرنامج اليوميِّ** للمسلم، كفرض عينيٍّ مؤقَّت، لهذه الآية، ولآية ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾[الروم: 17-18]. علمًا أنَّ هذا الوقت وما قبله وما بعده، يخصَّص

(1) **نفس المرجع**؛ ج10/ص427.

(2) الجوهري، إسماعيل بن حمَّاد (ت. 394هـ/1005م): **الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية**؛ تح. أحمد عبد الغفور عطَّار؛ دار العلم للملايين، بيروت، لبنان؛ ط3: 1404هـ/1984م؛ ج4/ص1536.

(3) ابن منظور: **نفس المرجع**؛ ج10/ص288.

(4) الشافعي: **الأم**؛ ج1/ص86..

(5) الجصاص: **أحكام القرآن**؛ ج2/ص374 ونسب هذا التفسير لابن عباس، وعبد الله بن عمر.

(6) **نفسه**.

عند الأمم الغربية إمَّا للمعاش، أو للهو واللعب[1]. وهو في الغالب مشغول بمشاهدة وسائل الإعلام، وبخاصَّة التلفزيون، أو بأنواع اللهو والسهرات.

يقول جون كوندري: «أدَّى ظهور التلفزيون في الولايات المتحدة في بداية الخمسينيات إلى تغيُّر كبير في الكيفية التي يمضي بها الأمريكيون وقتهم، وعلى حين أدَّى اختراع السيارة إلى زيادة مقدارها 6 % من زمن السفر، على الرغم من أنَّ مسافات أطول أصبحت تقطع، فإنَّ ظهور التلفزيون تسبَّب ـ حسب بعض التقديرات ـ في زيادة مقدارها 58 % في الزمن الذي يتمُّ قضاؤه مع وسائل الإعلام»[2]. حتى تحوَّل الناس عبر العالم إلى مُدمنين[3]، ففي فرنسا مثلا «يعترف 81 % من الفرنسيين بأنَّهم عبيدٌ للتلفزيون، حسب استطلاع قامت به CSA/Telerama في شهر سبتمبر 1997م، حيث يشاهدون التلفزيون بمعدَّل ساعتين وأربعين دقيقة كلَّ يوم»[4]، وفي أمريكا ـ مثلا ـ يصل الرقم أحيانا إلى 7 ساعات في اليوم، أمَّا المعدَّل فيتراوح بين ثلاث وأربع ساعات في اليوم[5].

والمسلم المعاصر يتقلَّب بين إقامة الصلاة، وبين مشاهدة التلفزيون، ولعلَّ المعتاد أنَّ التلفزيون يأخذ وقتا أكثر وعددا أكبر مما تأخذه الصلاة، فيرى

(1) انظر ـ ستيفنسون، د. ك.: **الحياة والمؤسسات في أمريكا**؛ مركز الكتب الأردني، عمَّان؛ 1987م؛ ص236.

(2) كوندري: **سارق الوقت**؛ ص118.

(3) وين: **الأطفال والإدمان التلفزيوني**؛ فصل إدمان التلفزيون، ص37-49.

(4) لالي وروكاسين: **التلفزيون كدواء مهدِّئ**؛ ص148.

(5) كوندري: **نفس المرجع**؛ ص118–117.

الباحث ضرورة إجراء إحصائيات دقيقة في هذا الشأن[1]، للمقارنة والوصول إلى معلومات واضحة عن الصراع القائم والدائم بين **الغايات الكبرى** للمسلم والإغراءات التي تجذبه، بغية إيجاد حلول ناجعة لها.

يقول صاحب كتاب «وقت الفراغ في المجتمع الحديث»: «فمشاهدة فيلم سينمائيٍّ أو مشاهدة برامج التلفزيون، أو مشاهدة البرامج الرياضية، هي كلُّها نماذج مألوفة الآن لقضاء وقت الفراغ بين مختلف الأعمار والاتجاهات، ويجب أن يُدرس بعناية أثر هذا اللون الجديد من أسلوب قضاء وقت الفراغ على شخصياتنا»[2]، أي الإسلامية والعربية.

والمؤكَّد أنَّ البرمجة الزمنية المؤسَّسة تساعد في التدريب على التعامل مع وسائل الإعلام بطرق معقولة، دون انغماس فيها ولا إقصاء لها، ومن غير تحريم

(1) تبين بعض الدراسات ـ مثلا ـ أنَّ الشباب السعودي يقضِّي أوقات فراغه حسب الترتيب التالي للأنشطة:
أولا: الأنشطة الرياضية،
ثانيا: مشاهدة التلفزيون والفيديو،
ثالثا: زيارات الأصدقاء،
رابعا: القراءات الثقافية والدينية،
خامسا: الرحلات الخلوية.
وانظر ـ للسدحان: **وقت الفراغ وأثره في انحراف الشباب**؛ ص114-115.

(2) محمد علي: **وقت الفراغ في المجتمع الحديث**؛ ص67.

مطلق أو تحليل بغير ضوابط[1].. ولا يتمُّ ذلك إلَّا بالتدريب والتربية والعمل العلميِّ المدروس.

4 من بعد صلاة العشاء ـ وقت الخلوة:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡ﴾[النور: 58].

إذا كان الليل يُبدأ فيه بالصلاة، ثم بانتظار الصلاة بما يتأتَّى من أعمال البرِّ، ثمَّ صلاة العتمة أو العشاء، فإنَّ ما بعد العِشاء من نصيب الأهل، وهو من جملة العورات الثلاث التي ذُكرت في القرآن الكريم، بمعنى «الساعة التي يتمُّ فيها اللجوء إلى الراحة والانكشاف»[2].

ومن حيث الفقهُ تعدُّ هذه الساعات الثلاث، عادةً، أوقاتًا للخلوة التي يكون فيها «التصرُّف بخلاف الليل كلِّه، فإنَّه وقت خلوة، ولكن لا تصرُّف فيه; لأنَّ كلَّ أحد مستغرق بنومه، وهذه الأوقات الثلاثة أوقات خلوة وتصرُّف، فنُهوا عن الدخول بغير إذن، لئلَّا يصادفوا منظرة مكروهة»[3].

والحديث عن هذا الوقت يدفعنا إلى ضبط حكم السمر في القرآن الكريم،

(1) في الحكم الفقهي للتلفزيون ووسائل الإعلام، انظر ـ مادون، رشيد: **قضايا اللهو والترفيه، بين الحاجة النفسية والضوابط الشرعية**؛ دار طيبة، الرياض، السعودية؛ ط1: 1419هـ/1998م. ص221-252. ومجمل الحكم كما لخَّصه رضا علوي كالآتي: «الأفلام السينيمائية والتلفزيونية، وأفلام الفيديو، الرائجة في العالم العربي والإسلامي، يمكن تقسيمها إلى أربعة أقسام:
• 1. أفلام ملتزمة مفيدة • 2. أفلام ملتزمة غير مفيدة • 3. أفلام مفيدة غير ملتزمة • 4. أفلام غير ملتزمة وغير مفيدة.
فأفلام القسم الأوَّل هي التي تستحقُّ المشاهدة والاستفادة منها. أمَّا أفلام القسم الثاني، فإنَّ مشاهدتها ليس إلَّا مضيعة للوقت. وأمَّا أفلام القسم الثالث والرابع فهي تشجِّع على المعاصي والانحراف السلوكي والأخلاقي، بالإضافة إلى قتل الوقت...» **كيف تستثمر أوقاتك**؛ ص58.

(2) جماعة العلماء: **الموسوعة الفقهية**؛ ج31/ص43. (بتصرف).

(3) ابن العربي: **أحكام القرآن**؛ ج3/ص414-415.

ونقرأ في هذا قوله تعالى في سورة المؤمنون، حديثا عن الكفَّار: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ ٦٤ لَا تَجۡـَٔرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ٦٥ قَدۡ كَانَتۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ ٦٦ مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرٗا تَهۡجُرُونَ﴾[المؤمنون: 64-67]. من معاني "**سَامِرًا**" أنَّه منصوب على الحال أي سُمَّارا، وهم «الجماعةُ يتحدَّثون بالليل، مأخوذ من السمر، وهو ظلُّ القمر، ومنه سمرة اللون، وكانوا يتحدَّثون حول الكعبة في سمر القمر فسمِّي التحدُّث به»[1].

أمَّا ما يُتحدَّث فيه بالهُجر، فذكر ابن كثير في تفسيره ثلاثة معانٍ، هي:

- **الأوَّل** «أنَّه الحرم، أي مكَّة. ذُمُّوا لأنَّهم كانوا يسمرون فيه بالهُجر من الكلام.
- **والثاني** أنَّه القرآن، كانوا يسمرون ويذكرونه بالهجر من الكلام: إنَّه سحر، إنَّه شعر، إنَّه كهانة، إلى غير ذلك من الأقوال الباطلة.
- **والثالث** أنَّه محمد ﷺ كانوا يذكرونه في سمرهم بالأقوال الفاسدة، ويضربون له الأمثال الباطلة، من أنَّه شاعرٌ، أو كاهن، أو ساحر، أو كذَّاب، أو مجنون، فكلُّ ذلك باطل»[2].

وحكم السمر مفصَّل كالآتي:

- إذا كان في معصية، فهو **حرام** إجماعا.
- وإذا كان فيما ليس محرَّما، فإن كان من قبيل القرب والأذكار، فهو **جائز**، بل **مندوب**، وإلَّا فهو **مكروه**.
- حتى ولو كان السمر في عبادة، **وأدَّى إلى تضييع الفجر**، فإنَّ الشارع ينهى عنه، لأنَّ الفرض أولى من غيره.
- **أجيز** السمر كذلك **للمسافر، وللعابد** عموما.

(1) القرطبي: **الجامع**؛ ج12/ص146. وانظر ـ مادة «يسمر» في: الجرزي: **النهاية في غريب الأثر**؛ ج2/ص399-400.

(2) ابن كثير: **تفسير**؛ ج3/ص250. (بتصرف).

- **أجيز** السمر **لقضاء مصالح العباد**، أو **للرباط**.

- وقد يرقى حكم الجواز إلى **الوجوب** في بعض الحالات، مثل خوف غارة العدوِّ، أو تحقُّق المضرَّة بالنفس أو الغير بتركه[1].

ولكلِّ ما مرَّ توجَّب على المسلم ضمانا للتوازن في برنامجه اليوميِّ، ووفاء بحقوق مترتِّبة عليه، أن يستغلَّ ما بعد صلاة العشاء لِما يعود عليه بالنفع العميم. ونحن نلاحظ في جملة العالَم الإسلاميِّ أنَّ ثمَّة تجاوزات كثيرة في برمجته، وهذا يؤثِّر سلبا على باقي اليوم.. وما ذلك إلَّا للتأثُّر الواضح بالبرنامج الغربيِّ[2].

5 البيات ـ السجود والقيام، النوم:

«كلُّ من أدركه الليل فقد بات، نام أو لم ينم، ومن قال بات فلان إذا نام فقد أخطأ»[3] وفي سورة الفرقان، قال تعالى إشادة بعباد الرحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا﴾[الفرقان: 64]. إلَّا أنَّه لا يُفهم أنَّ هذا الوصف مقتصر على من قضَّى الليل كلَّه ساجدا وقائما، فإنَّ «من صلَّى ركعتين أو أكثر بعد العشاء، فقد **بات** لله ساجدا وقائما»[4].

ويفهم من هذا أنَّ تخصيص وقت ولو يسير لإدراك أجر الساجد القائم من مطلوبات البرمجة اليومية للمسلم المعاصر، ولعلَّ هذه الركعات أحسن ضمان

(1) في تفصيل هذه الأحكام انظر ـ القرطبي: **الجامع**؛ ج12/ص138 وما بعدها. ابن كثير: **تفسير**؛ ج2/ص242. وابن حجر: **فتح الباري**؛ ج2/ص73. جماعة من العلماء برئاسة نظام الدين البلخي: **الفتاوي الهندية**؛ دار الفكر (الأصلية: دار الفكر) طبعة جامع الفقه، شركة حرف، الإمارات العربية المتحدة؛ 1999م. وفي الباب أحاديث كثيرة منها المرفوع ومنها الموقوف، سنعرض لبعضها في أوانها.

(2) كنموذج لهذا التأثر والانبهار، طالع: الطويل، عبد الستار: **الإنسان الأروبي في الجد واللعب**؛ سلسلة اقرأ الشهرية؛ دار المعارف، مصر، د.تا.. فصل: ليالي باريس، ص15 وما بعدها.

(3) ابن منظور: **لسان العرب**؛ ج2/ص16. وانظر ـ الفرَّاء، أبو زكرياء يحي بن زياد (ت. 338هـ/949م): **معاني القرآن**؛ تح. محمد علي الصابوني؛ جامعة أم القرى، مكة المكرَّمة؛ 1409هـ؛ ج5/ص46.

(4) القرطبي: **الجامع**؛ ج13/ص71.

لإبعاد الإنسان عن المعاصي، وربطه بربِّه قبل الرقاد، فينام بذلك على الطاعة، وينال الأجر من الله، كما يستفيد مِن طمأنينة النفس وراحة البال.

وليس هجران النوم إلى حدِّ الإضرار مما رغَّب فيه الشرع الحنيف، بل الواجب هو الأخذ منه بالقدر الذي يعين النفس على الطاعة، ويقوِّي الجسم على العبادة، وهذا من معاني قول الرسول ﷺ: «ولنفسك عليك حقًّا»[1]، بل إنَّ من ينام بنية الطاعة فله أجره عند الله تعالى.

6 الأسحار ـ الاستغفار، والدعاء، والصلاة:

من حيث اللغةُ، قيل: «السحر آخر الليل قبيل الصبح (...) وقيل هو من ثلث الليل الآخر إلى طلوع الفجر»[2] وجمعه أسحار.

وقد اختلف المفسِّرون فيمن صفته الاستغفار في الأسحار، في قوله تعالى: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾[آل عمران: 17]. وفي قوله: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[الذاريات: 18]. وجملة ما ذهبوا إليه:

- أنَّهم المصلُّون بالأسحار.
- أنَّهم المستغفرون من ذنوبهم بالدعاء.
- وقيل: الذين يشهدون صلاة الصبح جماعة.

قال الطبري: «وأولى هذه الأقوال بتأويل قوله "**والمستغفرين بالأسحار**"، قول من قال: هم السائلون ربَّهم أن يستر عليهم فضيحتهم بها، بالأسحار، وهي جمع سحر. وأظهر معاني ذلك أن تكون مسألتهم إياه بالدعاء، وقد يحتمل أن يكون معناه تعرُّضهم لمغفرته بالعمل والصلاة، غير أنَّ أظهر معانيه ما ذكرنا من الدعاء»[3].

(1) تقدَّم تخريجه، ص113.

(2) ابن منظور: **لسان العرب**؛ ج4/ص350.

(3) الطبري: **تفسير**؛ ج3/ص208-209.

وخصَّ الله سبحانه الأسحار بالفضل «لأنَّها من أوقات الإجابة»[1] فنقل عن لقمان الحكيم قوله لابنه: «يا بني، لا يكن الدِّيك أكيس منك، ينادي بالأسحار، وأنت نائم»[2].

ولا ريب أنَّ هذا الوقت لا يمكن أن ينشط فيه إلَّا من لم يتَّخذ السهر والسمر ديدنه، وأنَّه وقت مبارك كلُّه، **ولذا لزم الاعتناء به في وضع البرنامج اليوميِّ**، لمن أراد أن ينال أجر التهجُّد بمعنى «القيام إلى الصلاة من النوم»[3]، وهو وقت صفاء النفس، وزمن الخلوة بين العبد وربِّه، وقد توسَّع الفقهاء في بيان أجره، استنادا إلى القرآن الكريم، والسنَّة النبوية الشريفة.

7 مِن قَبل صلاة الفجر ـ وقت الانكشاف:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ...﴾[النور: 58].

هذا الوقت من العورات الثلاث، وهو أصلا وقت الانكشاف، ولذا خاطب الله تعالى الرجال والنساء جميعا بهذه الآية، مجيزا للذين ذكرهم فيها أن يدخلوا عليهم أيَّ وقت من الأوقات شاؤوا، ولا حاجة لهم إلى الاستئذان، إلَّا أنَّه لا بدَّ عليهم أن يستأذنوا ثلاث مرَّات في اليوم والليلة:

- «مرَّة **من قبل صلاة الفجر**؛ لأنَّه وقت القيام من المضاجع، وطرح ثياب النوم، ولبس ثياب اليقظة.
- ومرَّة حين تضعون ثيابكم من الظهيرة للقيلولة.
- ومرَّة بعد صلاة العشاء؛ لأنَّه وقت التجرُّد عن اللباس»[4].

(1) الشوكاني: **فتح القدير**؛ ج1/ص324.

(2) القرطبي: **الجامع**؛ ج4/ص40.

(3) **نفس المرجع**؛ ج10/ص308.

(4) آبادي: **عون المعبود**؛ ج11/ص110.

الليل						
الأعمال الخاصَّة بأجزاء الليل						
حين تمسون	دلوك الشمس	غسق الليل	من بعد صلاة العشاء	البيات	الأسحار	من قبل صلاة الفجر
صلاة المغرب التسبيح		صلاة العشاء	الخلوة والتصرُّف	صلاة قيام الليل النوم	صلاة قيام الليل الاستغفار والدعاء	الخلوة والانكشاف

الأعمال الخاصة بأجزاء الليل، في القرآن الكريم

• ثالثا • الأعمال الخاصَّة بأجزاء النهار في القرآن الكريم:

يُعتبر الفجر أوَّل وقت النهار، فيكون بداية للأعمال الخاصَّة بالنهار، وهي حسب القاموس القرآنيِّ:

أعمال مشتركة بين الليل والنهار، منها: الفكر، والذكر، وإقامة الصلاة، والإنفاق، والدعوة.

وأعمال خاصَّة بالنهار، منها: الابتغاء من فضل الله، والجرح، والإبصار، والنشور، والمعاش، وبداية الصوم في شهر رمضان.

فإضافة لهذه الأعمال، سنحاول أن نتتبَّع أجزاء النهار في القرآن الكريم، ليس من مدخل فلكيٍّ، ولكن بالنظر إلى ما ارتبط بها من أعمال البرِّ، منها ما هو من قبيل العبادة، ومنها ما هو من قبيل الفطرة. وأوَّلها صلاة الفجر.

1 الفجر ـ صلاة الفجر، الإمساك في رمضان:

يعرِّف لسان العرب الفجرَ لغة بأنَّه: «ضوءُ الصباح، وهو حمرة الشمس في سواد الليل. وهما فجران:

- أحدهما: **المستطيل**، وهو الكاذب الذي يسمَّى ذنب السرحان.
- والآخر: **المستطير**، وهو الصادق المنتشر في الأفق، الذي يحرِّم الأكل والشرب على الصائم»[1].

وقد فسَّره القرآن الكريم في آية الصوم، فقال تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾[البقرة: 187]. وفي الباب أحاديث كثيرة تظهر أنَّ بعض الصحابة رضوان الله عليهم لم يفقهوا الآية إلَّا على ظاهرها، فصحَّح لهم الرسول ﷺ المعنى، ومن هذه الأحاديث حديث روي عن الصحابيِّ الجليل عديِّ بن حاتم، جاء فيه: «قلت: يا رسول الله ما الخيط الأبيض من الخيط الأسود، أهما الخيطان؟ قال إنَّك لعريض القَفا إن أبصرت الخيطين، ثم قال: لا بل **هو سواد الليل، وبياض النهار**»[2].

وإذا كان هذا الوقت للإمساك عن الطعام في شهر رمضان، فهو في سائر السنة لصلاة الفجر، لقوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[الإسراء: 78].

وسميت هذه الصلاة بأسماء، أهمها: الصبح، والفجر، والغداة[3]، مع اختلاف بين الفقهاء في حكم التعجيل بها، ويسمَّى التغليس؛ أو تأخيرها، ويسمَّى

(1) ابن منظور: **لسان العرب**؛ ج5/ص45.

(2) رواه **البخاري**؛ **كتاب تفسير القرآن، باب وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض**؛ ج4/ص1640؛ رقم 4240؛ بسند: «حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا جرير عن مطرف عن الشعبي عن عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: **قلت يا رسول الله...**».

(3) النفراوي: **الفواكه الدواني**؛ ج1/ص165.

الإسفار[1].

وبدءُ النهار بها يبعث على النشاط، ويُعِدُّ المسلم جسميا ونفسيا لأداء مهامِّه الفردية والاجتماعية طوال اليوم، ووقتها هو أوان ينادي المنادي: «يا ابن آدم، أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد، فتزوَّد منِّي، إنِّي إذا مضيتُ لا أعود إلى يوم القيامة».

2 الصبح ـ صلاة الصبح:

الصبح «أوَّل النهار، والصبح الفجرُ، والصباح نقيض المساء»[2]

سأل نافع بن الأزرق ابن عباس: «هل تجد ميقات الصلوات الخمس في كتاب الله؟» قال: «نعم: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾: صلاة المغرب والعشاء، ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾: صلاة الفجر، ﴿وَعَشِيًّا﴾: العصر، ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾: الظهر»[3].

وهذه الآية تأكيد للتي قبلها في بيان أنَّ صلاة الفجر واجبة حين الصباح.

3 الإبكار ـ الصلاة، الذكر:

في التعاريف: «الإبكار بالكسر المبادرة لأوَّل الشيء، ومنه التبكير وهو السرعة، والباكورة أوَّل ما يبدو من الثمر، والإبكار اقتطاف زهرة النهار وهو أوَّله»[4]. ووقته «من بين طلوع الفجر إلى وقت الضحى»[5].

ولقد حكى القرآن الكريم عن نبي الله زكرياء، أنَّه ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ

(1) فصلت مصادر الفقه في التفاضل بين التغليس والإسفار، وانظر مثلا ـ السرخسي: **المبسوط**؛ ج1/ص145-146. الشوكاني: **نيل الأوطار**؛ باب وقت صلاة الفجر وما جاء في التغليس بها والإسفار؛ ج2/ص21-22.

(2) ابن منظور: **لسان العرب**؛ ج2/ص502.

(3) الطبري: **تفسير**، ج21/ص29. القرطبي: **الجامع**؛ ج14/ص14.

(4) المناوي: **التعاريف**؛ ج1/ص30.

(5) الطبري: **تفسير**؛ ج3/ص262.

﴿أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾[آل عمران: 41].

فقيل في المراد بالتسبيح الصلاة، بدليل أنَّها خصَّت بوقت معيَّن، كما في آية: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾[الروم: 17].

وقيل هو الذكر القلبيُّ عموما[1].

وعلى المعنى الأوَّل يكون موضع الآية صلاة الغداة، وعلى المعنى الثاني ـ وهو أعمُّ ـ تكون الآية أمرًا بالذكر والتسبيح وقت البكور، وقد تقدَّم أنَّ هذا العمل من الأعمال غير المؤقَّتة، وأنَّه مما يشمل الليل والنهار معا.

وقد قوبلت البكرة بالأصيل، وجاءت الآيات في ذلك بالأمر بالتسبيح، وذلك قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[الأحزاب: 42]. ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[الإنسان: 25].

كما قوبلت بالعشيِّ في قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[مريم: 11]، ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾[غافر: 55].

4 الغدوة ـ الصلاة عموما، الذكر، تلاوة القرآن:

يقال: الغدوةُ بالضمِّ «البكرةُ ما بين صلاة الغداة، وطلوع الشمس، والغداة كالغدوة»[2]. وهو وقت تسجد فيه كلُّ الخلائق لله تعالى، فلزم أن ينسجم الإنسان معها، ويلهج بالذكر والدعاء لله تعالى فيه، قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ﴾[الرعد: 15]، وإنَّ «ظلال الخلق ساجدة لله تعالى بالغدوِّ والآصال، لأنَّها تبين في هذين الوقتين، وتميل من ناحية، وذلك تصريف الله إياها على ما يشاء»[3].

(1) أبو السعود: **تفسير**؛ ج2/ص34.

(2) ابن منظور: **لسان العرب**؛ ج14/ص116.

(3) القرطبي: **الجامع**؛ ج9/ص302.

ولهذا أمر الله عزَّ وجلَّ نبيَّه بقوله: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾[الأعراف: 205]. وفسِّر الذكر في الآية بالصلاة المفروضة، أو صلاة الجمعة، أو يوم الأضحى ويوم الفطر ويوم النحر، أو تلاوة القرآن الكريم، أو مطلق الذكر في هذين الوقتين[1].

وأيًّا كان المعنى، فإنَّ المطلوب أن يكون الإنسان ذاكرا لله في الغدوة، غير ناس ولا غافل ولا جاحد، وهو وقت مبارَك ينبغي أن لا يضيع على المؤمن الموفِّي لدين الله، الراجي مغفرته. ولقد خصَّ الله «الغداة والعشيَّ بالذكر؛ لأنَّ الشغل غالب فيهما على الناس، ومن كان في وقت الشغل مقبلا على العبادة كان في وقت الفراغ من الشغل أعمل»[2].

وقد كان جملة من الصحابة يحرصون على مداومة الذكر في هذا الوقت بالخصوص، وفي سائر الأوقات بالتبع، فشرَّفهم الله بأن أمر رسوله بملازمتهم، فقال: ﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ﴾[الأنعام: 52]. ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ﴾[الكهف: 28].

ومن شرف بيوت الله أنَّه يُذكر فيها اسم الله تعالى غداة وأصيلا، فقال عنها سبحانه: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾[النور: 36].

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[آل عمران: 121]، إشارة لطيفة إلى أنَّ الذهاب إلى الجهاد يكون غدوة، ومعلوم أنَّ الآية نزلت في غزوة أحد[3]، وقد كان الخروج إليها يوم السبت أوَّل النهار[4]. وفي سورة العاديات أقسم الله تعالى بالخيل ﴿فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحًا﴾[العاديات: 3]؛ «لأنَّها تغير

(1) الطبري: **تفسير**؛ ج6/ص282. القرطبي: **نفس المرجع**؛ ج6/ص432.

(2) الطبري: **نفسه**.

(3) السيوطي، أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمَّد (ت. 911هـ/1505م): **لباب النقول في أسباب النزول**؛ دار إحياء العلوم، بيروت؛ د.ت.ن؛ ج1/ص56.

(4) ابن كثير: **تفسير**؛ ج1/ص401.

على العدوِّ وقت الصبح»[1] وهو وقت مبارك.

والملاحظ أنَّ هذا الوقت مغيَّب تماما من مراجع إدارة الوقت؛ لأنَّها تعنى بأوقات العمل، وتبدأ عموما من الساعة السابعة أو الثامنة صباحا، ولئن كان هذا مسموحا في الدراسات الغربية، لعدم ارتباطها بالصلاة أوَّلا، ولبرودة الجوِّ في البلاد الغربية ثانيا، فإنَّه غير مسموح به في البلاد الإسلامية، التي يفترض فيها أن تتلاءم مع حركية الصلاة والذكر البكوريِّ، وتراعي حرارة الطقس، التي تُلزم بالشروع في العمل باكرا. ويمكننا أن نقول: **إنَّ الحضارة الإسلامية حضارة بكورية، فإن ألغى المسلمون هذا الوقت من برنامجهم اليوميِّ استحال عليهم أن يقيموا كيانا وحضارة.**

5 الإشراق ـ التسبيح:

«أشرقت الشمس إشراقا: أضاءت وانبسطت من على الأرض»[2].

يقول الحقُّ تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾[ص: 18]. أي «إنَّا سخَّرنا الجبال يسبِّحن مع داود بالعشيِّ: وذلك من وقت العصر إلى الليل، والإشراقِ: وذلك بالغداة وقت الضحى»[3]. وهذه الآية تركِّز معنى التناسق مع الكون في البرمجة الزمنية الإسلامية، ولذا لزم على المسلم في برنامجه اليوميِّ أن يحرص على هذا التناغم الفطريِّ، وأن لا يخالف الفطرة فيما يأتي وما يذر، وفي أوقاته وحالاته.

6 دلوك الشمس (بمعنى الزوال) ـ صلاة الظهر:

تقدَّم أنَّ المفسِّرين والفقهاء اختلفوا في معنى دلوك الشمس، فبعضهم قال: هو المغرب، والبعض الآخر فسَّره بالظهر، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ

(1) الزمخشري: **الكشاف**؛ ج4/ص787.

(2) ابن منظور: **لسان العرب**؛ ج10/ص174.

(3) الطبري: **تفسير**؛ ج23/ص137.

﴿لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا﴾[الإسراء: 78].

وعلى المعنى الثاني يكون ممَّا خصَّ به وقت ما بعد زوال الشمس من السماء بصلاة مفروضة هي: الظهر.

7 الظهيرة ـ صلاة الظهر، الخلوة والقيلولة:

«الظهر بالضمِّ: بعد الزوال، ومنه صلاة الظهر. والظهيرة: الهاجرة . وهو اسم لنصف النهار، سمي به من ظهيرة الشمس، وهو شدَّة حرِّها، وقيل: أضيفت إليه لأنَّه أظهر أوقات الصلوات للأبصار، وقيل: أظهرها حرًّا، وقيل: لأنَّها أوَّل صلاة أُظهرت وصلِّيت»[1]

وقوله سبحانه: ﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ﴾[الروم: 18]. فإمَّا يقصد بها **صلاة الظهر**، كما في الآثار، وإمَّا إخبار من الله تعالى: «في معنى **الأمر بتنزيه الله تعالى، والثناء عليه، في هذه الأوقات التي تظهر فيها قدرته، وتتجدَّد فيها نعمته**؛ أو دلالةٌ على أنَّ ما يحدث فيها من الشواهد الناطقة بتنزُّهه واستحقاقه الحمد ممن له تمييز من أهل السموات والأرض»[2].

وعلى هذا، فإنَّ الذكر يلازم المؤمن في هذا الوقت، وصلاة الفرض تكون في وقتها. ثم ذَكَر الله تعالى عملا آخر يأتي في هذا الوقت، وهو: **النوم للراحة والقيلولة، ووضع الثياب**، وذلك في آية الاستئذان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾[النور: 58].

فلزم أن يستأذن الأطفال في هذه العورات الثلاث، ومنها وقت الظهيرة؛ لأنَّه «وقت التجرُّد»[3] للقائلة، لشدَّة الحرِّ خاصَّة، أو للاستعانة على قيام الليل، أو

(1) ابن منظور: **نفس المرجع**؛ ج4/ص527.

(2) البيضاوي: **تفسير**؛ ج4/ص330.

(3) القرطبي: **تفسير**؛ ج12/ص304.

لأخذ قسط من الراحة بعد عبادة وعمل متواصل من وقت صلاة الفجر.

وللقيلولة مكانةٌ خاصَّة في البرنامج اليوميِّ للإنسان المسلم، بخلاف البرامج اليومية الغربية؛ فإنَّها لا تعطي القيلولة كبير شأن، ولا مكانة، بل تنظر إلى النهار كقطعة متواصلة، ولعلَّ للحرارة والبرودة بعضًا من الأثر في ذلك.

8 قبل الغروب ـ صلاة العصر، التسبيح:

﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَا ﴾[طه: 130]. وفي سورة ق: ﴿وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ﴾[ق: 39]. إمَّا أن تكون الإشارة في هذه الآية والتي تليها إلى الصلوات المفروضة، فتكون صلاة ما قبل الغروب هي: صلاة العصر[1]، وهو الرأي الأكثر ورودا لدى المفسِّرين، لأحاديث عن الرسول ﷺ استندوا إليها.

وإمَّا أن تكون الإشارة إلى مطلق التسبيح في هذا الوقت[2].

9 العشي ـ التسبيح، والاستغفار، والدعاء، والحمد:

في اللغة: «العشيُّ: ما بين زوال الشمس وغروبها»[3]، و«صلاتا العشيِّ هما: الظهر والعصر»[4]. وفي الفرق بين العشيِّ والعِشاء، فإنَّ العشي يقع «ما بين زوال الشمس إلى وقت غروبها، كلُّ ذلك عشيٌّ، فإذا غابت الشمس فهو العشاء»[5].

وقد قرن بالعشيِّ أربعة أنواع من الذكر:

(1) الطبري: **تفسير**؛ ج2/ص567، ج16/ص233-234. القرطبي: **نفس المرجع**؛ ج11/ص261. ابن كثير: **تفسير**؛ ج3/ ص171.

(2) الشوكاني: **فتح القدير**؛ ج3/ص394.

(3) الرازي: **مختار الصحاح**؛ ص183.

(4) ابن منظور: **لسان العرب**؛ ج15/ص60.

(5) ابن منظور: **نفس المرجع**؛ ج15/ص60. وانظر ـ قلعه جي محمد رواس، وقنيبي حامد صادق: **معجم لغة الفقهاء: عربي إنجليزي**؛ دار النفائس، بيروت، لبنان؛ ط2: 1408هـ/1985م. ص312-313.

- **التسبيح**: في قصّة زكرياء عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾[آل عمران: 41]. ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا﴾[مريم: 11]. ﴿إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ﴾[ص: 18].

- **الاستغفار**: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾[غافر: 55].

- **الدعاء**: ﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ﴾[الأنعام: 52]. ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ﴾[الكهف: 28].

- **الحمد**: ﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ﴾[الروم: 18].

وفي أغلب هذه الآيات يفسَّر بصلاة من الصلوات المفروضة، إمَّا الظهر والعصر، وإمَّا العصر، ويفسَّر كذلك بمطلق الذكر والتسبيح والاستغفار في هذا الوقت.

10 الأصيل ـ صلاة العصر، الذكر عموما:

«هو الوقت بين العصر والمغرب، أو العشيِّ»[1] والأصيل لغة تجمع على الآصال: وهو «زمن جنوح الشمس حين تهم بالوجوب»[2]. وقيل الآصال صلاة العصر.

وقد أخبرنا الله تعالى أنَّ الخلائق تسجد له في هذا الوقت، وكذا ظلالها: ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾[الرعد: 15]. فأمرنا بأن نكون مثلها ونسبِّحه، ونذكره، ونعزِّره، ونوقِّره فيه فقال: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾[الأحزاب: 42]. ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾[الإنسان: 25]. ﴿لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾[الفتح: 9].

(1) ابن منظور: **لسان العرب**؛ ج1/ص68. وانظر ـ الرازي: **مختار الصحاح**؛ ص18.

(2) ابن منظور: **نثار الأزهار**؛ ص108.

والذي يغفل عن الذكر الواجب أو المستمرِّ في هذا الوقت يعدُّ من الغافلين: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾[الأعراف: 205].

بعد هذا العرض لمجمل الأعمال المرتبطة بالنهار في القرآن الكريم، نجمعها في هذه القائمة:

النهار						
الأعمال الخاصَّة بأجزاء النهار						
الفجر والصبح	البكرة والغدوة	الإشراق	دلوك الشمس (الزوال)	الظهيرة	قبل الغروب	العشي والأصيل
صلاة الفرض تلاوة القرآن	صلاة الفرض الذكر تلاوة القرآن	التسبيح	صلاة الظهر	صلاة الظهر الخلوة والقيلولة	صلاة العصر التسبيح	صلاة العصر الذكر

الأعمال الخاصة بأجزاء النهار، في القرآن الكريم

• رابعا • نحو برنامج يوميٍّ، من خلال القرآن الكريم:

سبق وأن أوضحنا الفرق بين قائمة الأعمال اليومية والبرمجة اليومية، فبتدفُّق عامل الزمن على القائمة تتحوَّل إلى برنامج، فتجيب بالتالي على أسئلة ثلاثة هي:

متى يبدأ عمل ما في القائمة؟

ومتى ينتهي؟

وكم مدَّته التقديرية؟

فبعد أن ضبطنا قائمة أولية للأعمال اليومية من خلال القرآن الكريم، سنحاول أن نلحق بها عامل الوقت، ونحوِّلها إلى قاعدة للبرنامج اليوميِّ، وينبغي أن نسجِّل قبل ذلك جملة من المنطلقات الأساسية، وهي:

1. ما نعرضه لا يعدو أن يكون أرضية لبرنامج يوميٍّ، وليس هو البرنامج اليوميُّ لكلِّ الناس في كلِّ العصور، ذلك أنَّ القرآن الكريم راعى الاختلاف في الوظائف، وفي الأعمار، والأجناس، والمسؤوليات، والجغرافيا... **فلم يلزم الناس ببرنامج يوميٍّ موحَّد؛ وهذا في اعتقادنا ممَّا يعطي الفكر الإسلاميَّ قدرة على الاستمرار في كلِّ زمان ومكان**. وأيُّ محاولة من أيِّ جهة لتوحيد البرنامج اليوميِّ للمسلمين، هي محاولة مخالِفة لروح الشريعة الإسلامية في المنهج والمحتوى. ومن نماذج الانحراف في عصرنا بعض الحركات الروحية، التي أنزلت الناس جميعا في قالب واحد، وأرادتهم نسخة واحدة.

2. البرنامج اليوميُّ في القرآن الكريم لا ينطلق من التخطيط البشريِّ ولا يلغيه، بل ينطلق من «**الجعل**» الإلهيِّ، الذي يعني «توجيه الشيء المخلوق إلى مهمَّته التي خلق لها»، ثم يعتمد التخطيط كعملية مشروعة ومطلوبة.

3. **اليوم في القرآن الكريم هو الوحدة الرئيسة في برمجة عمل الإنسان**، وهو مقسَّم قسمين: الليل والنهار، وكلُّ قسم يتجزَّأ إلى أجزاء زمنية.

4. **الصلاة محور البرنامج اليوميِّ** في القرآن الكريم:

- فهو العمل اليوميُّ الوحيد الذي حدِّد بالوقت ابتداء.
- ولا يسقط وجوبه في أيِّ حال من الحالات، بل يخفَّف.
- وللصلاة وقت موسَّع، به يتمُّ رفع الحرج عن المسلم.
- ومجرَّد إقصاء الصلاة من البرنامج اليوميِّ، يخرج هذا البرنامج من دائرة الإيمان.

5. يمكن تقسيم أعمال الليل والنهار إلى **أعمال تشغل حيِّزا من الوقت، وأعمال أخرى ضابطة للمنهج**، ممَّا أطلقنا عليه اسم: **الزمن الصبغة**.

6. **بداية البرنامج اليوميِّ من وقت صلاة المغرب**، وليس من منتصف الليل، ولا من الصبح كما هو المعتاد في البرمجة الزمنية الغربية. فنجاح النهار ـ من أوَّل ساعة فيه ـ إنَّما منطلقه وتحضيره من الليل، ومردُّه إلى وقت النوم، وحجم السهر، ووقت العبادة... والمؤسف أنَّ جميع المذكِّرات اليومية و«الأجندات» تسجِّل الوقت ابتداء من شروق الشمس، وأحسنها تلك التي تسجِّل الساعة الخامسة وقت بداية اليوم، وعلى هذا درج الطابعون في العالم العربيِّ، تماشيا مع السياق العامِّ.

من هذه المنطلقات نصوغ قاعدة البرنامج اليوميِّ من خلال القرآن الكريم:

المدخل القرآني	العمل	الوقت	الأولوية	المدَّة	الإنجاز
وقت صلاة المغرب	صلاة المغرب	20:12	1	15 د	
		20:27			
وقت صلاة العشاء	صلاة العشاء	21:52	1	15 د	
من بعد صلاة العشاء		22:07			
من قبل صلاة الفجر					
وقت صلاة الفجر	صلاة الفجر	03:47	1	15 د	
بداية النهار					
وقت صلاة الظهر	صلاة الظهر	13:04	1	15 د	
بعد الظهيرة					
وقت صلاة العصر	صلاة العصر	16:44	1	15 د	
العشي					
ملاحظات:					

قاعدة[1] البرمجة اليومية في القرآن الكريم

(1) ليست هذه سوى قاعدة أولية.

نتائج الفصل الثاني

من خلال هذا الفصل توصَّلنا إلى النتائج الآتية:

1. إنَّ مصطلح **التخطيط** لم يرد في القرآن الكريم ولا في السنَّة النبوية، بالمعنى المراد في البرمجة الزمنية، وقد ضبطنا تعريفه من خلال بعض المراجع، وبينَّا مشروعيته وأهميته كخطوة سابقة للبرمجة الزمنية.

2. أمَّا «**الجعل**» فهو من الله تعالى، ويعني في مجال البرمجة الزمنية: «وضع الأعمال في آنائها التي خلقت لها»، وتقوم أسس الفلسفة القرآنية على «الجعل» والتوجيه، وهو أوسع وأعمق من التخطيط.

3. **البرنامج اليومي**: يعني قائمة الأعمال اليومية، مضافا إليها «تدفُّق الأنشطة، وتوقيتها»

4. **اليوم** هو الوحدة الرئيسة في البرمجة الزمنية، سواء في القرآن الكريم، أم في الفكر الغربي، إلَّا أنَّه في القرآن الكريم يبدأ مع غروب الشمس.

5. **الصلاة هي المحور الذي يدور حوله البرنامج اليومي للإنسان المسلم.**

6. لا يزال اعتبارُ الصلاة محورا للبرنامج اليومي مجرَّد إشارات، في الدراسات الزمنية الإسلامية؛ أمَّا مؤلَّفات إدارة الوقت فتلغي الصلاة تماما من قوائم المهامِّ اليومية... **فضاعت مكانة الصلاة بالتالي بين منهجين متناقضين.**

7. من وجهة علم اجتماع الفراغ، **يمكننا أن نصنِّف وقت الصلاة ضمن وقت الترويح**، لكن مع تعديل طفيف في التعريف، وإلَّا صنِّفت في وقت رابع هو وقت **العبادة المؤقَّتة**.

8. جملة **الأعمال المشتركة بين الليل والنهار** من خلال القرآن الكريم، هي: الفكر، والذكر، والصلاة، والإنفاق، والدعوة.

9. أمَّا **الأعمال الخاصَّة بالليل** في القرآن الكريم، فمنها ما يختصُّ به لفظا لا معنى، ومنها ما يختصُّ به لفظا ومعنى، وهي: النوم، والسكون، واللباس، والقنوت، والهجوع، والتهجُّد، وتلاوة القرآن، وقيام الليل، وناشئة الليل،

أما في رمضان فالرفث والأكل. وهي في مجملها لا تخرج من إحدى الأصول الثلاثة: النوم، وقيام والليل، والأهل.

10. أمَّا الأعمال الخاصَّة بالنهار، فهي: الابتغاء من فضل الله، الجرح، الإبصار، النشور، طلب للمعاش، والمعاش.

11. بداية اليوم من حيث البرمجة الزمنية للأعمال يكون من المغرب، وبالتالي فإنَّ أوَّل عمل هو صلاة المغرب، باعتبار محورية الصلاة في الفكر الإسلامي.

- مجمل الأعمال الخاصة **بأجزاء الليل** في القرآن الكريم هي: صلاة المغرب، والتسبيح، وصلاة العشاء، والخلوة، والتصرُّف، والنوم، وقيام الليل، والاستغفار، والدعاء بالأسحار.

- أمَّا جملة **الأعمال الخاصة بأجزاء النهار**، من خلال القرآن الكريم، فأحصينا: صلاة الفجر، والذكر، وتلاوة القرآن، والتسبيح، وصلاة الظهر، والخلوة، والقيلولة، وصلاة العصر.

12. من خلال الضوابط التي وضعناها في البحث حاولنا أن نقترح **أرضية للبرنامج اليومي** في الفكر الإسلاميِّ، يَعتبر الثوابت ولا يتنكر للمتغيرات، وهي الوسطية المميزة لهذا الفكر في كلِّ مجالاته.

الفصل الثالث

أصول «البرنامج اليومي» في الفكر الإسلامي من خلال التراث، والسنَّة النبوية الحية

- **المبحث الأول** : المحاولات السابقة في البرمجة اليومية.
- **المبحث الثاني** : أصول البرنامج اليومي من خلال السنة النبوية.

علم البرمجة الزمنية

الفصل الثالث

لكلِّ مؤمن في حياته **أُسوتان**:

- **أُسوة** في أب الأنبياء إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، والذين معه من الأنبياء والأولياء.

- وأسوة في خاتم النبيئين محمد ﷺ.

فلقد دعا القرآن الكريم إلى **الأسوة الأولى**، في قوله:

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ (...) لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[الممتحنة: 4-6].

وبزيادة تأكيد، ركَّز كتاب الله تعالى على **الأسوة الثانية**، فقال:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[الأحزاب: 21].

ولكن، فيم تكون **الأسوة** بخير الخلق، محمَّد عَلَيْهِ السَّلَامُ؟

في خُلُقه؟ وهو الذي شرِّف بأقدس اعتراف نزل من السماء إلى الأرض: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم: 4].

في تشريعه وبيانه لأحكام القرآن؟ وهو من خاطبه الله بقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[النحل: 44].

في رحمته بالمؤمنين وسياسته الحكيمة لأمَّته؟ وهو من نزل فيه قرآنٌ يتلى على رؤوس الأشهاد: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[آل عمران: 159].

في كلِّ ذلك، وفي أكثر من ذلك...

ومن أجل هذا لم يُعرف في التاريخ «رجلٌ منذ أن خلق الله تعالى آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى يوم الناس هذا، قد نُقلت لنا تفاصيل حياته، ودقائق تصرُّفاته، كما نُقلت تفاصيل حياة رسول الله محمد ﷺ، ودقائق تصرُّفاته.

ولا نعلم سيرة قد نقِّحت، وحقِّقت، ومحِّصت، كما فُعل بسيرة رسول الله ﷺ»[1].

ولقد بُحث محمَّد ﷺ من مداخل كثيرة، لا يحصيها عدٌّ: بُحث كمشرِّع، وكقائد، وكربٍّ لأسرة، وكعابد متفرِّد، وكتاجر نصوح... إلخ.

ومع ذلك ستبقى نوافذ من حياة الرسول ﷺ مفتوحةً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، **ولعلَّ في هذا سرًّا من أسرار صلاحية الإسلام لكلِّ زمان ومكان.**

ونستسمح التاريخ والمؤرِّخين، والإدارة والإداريِّين، والاجتماع والاجتماعيِّين... في محاولة لفتح كوَّة ولو صغيرة، في نافذة لا شكَّ ستكبر مع مرور الأيام، عنوانها:

علاقة الرسول ﷺ مع الوقت كإنسان، لا من جانب واحد، ولكن من جوانب متفرِّقة:

- كيف كان محمَّد ﷺ يخطِّط يومه ويبرمجه؟
- وما هي أبرز خصائص تعامل محمَّد ﷺ مع الزمن؟
- وكيف كان ليله ونهاره؟ مساؤه وصباحه؟ بكُرُه وأصيله؟ سحَرُه وظهيرته؟...

إنَّنا لا ندَّعي السبق في هذا الموضوع، بل ثمَّة **محاولات من المتقدِّمين، وأخرى من كتَّاب معاصرين**، لكنَّها في رأينا تحتاج إلى من يضبطها في **منحىً متَّسق**، وفي قالب معاصر، يجيب على بعض إشكالات العلوم الزمنية، ويوظِّف مصطلحاتها ومناهجها..

(1) قلعه جي، محمد رواس: **دراسة تحليلية لشخصية الرسول محمد ﷺ من خلال سيرته الشريفة**؛ دار النفائس، بيروت؛ ط1: 1408هـ/1988م. ص5.

بل الحاجة أكثر إلحاحًا إلى **علم قائم بذاته، يتَّخذ من الزمن مادَّة لكلِّ محاوره، لا الزمن الفزيائي، أو الفلكي، أو الفلسفي.. ولكن الزمن كوعاء للخير وللشرِّ، وكمسرح للإنسان ـ أيِّ إنسان ـ عبر فصول حياته؛ معتمدا على النصوص الشرعية في بنائه وصياغته..**

وأوَّل هذه النصوص مكانة، وأقدسها شرفا: السنَّة النبوية، بعد القرآن الكريم. بل السنَّة الشريفة، كبيان للقرآن العظيم.. ومن وراء هذه الخطوات **نرمي إلى استجلاء أصول وجذور البرمجة الزمنية في الفكر الإسلاميِّ.**

ومن أجل ذلك ألِّف هذا الفصل، وصيغت مباحثه وعناوينه... وأوَّل مباحثه: عرض للمحاولات التراثية، ثم اقتراح الأصول وبناء البرنامج اليوميِّ من خلال سنَّة المصطفى ﷺ.

المبحث الأول المحاولات السابقة في البرمجة اليومية:

أثناء البحث عن البرمجة اليومية للرسول ﷺ، وقعتُ على جملة من الكتابات حول تقسيم اليوم إلى محطَّات، بالاستناد إلى القرآن الكريم والسنَّة النبويَّة، وبالرجوع أحيانا إلى مجال الطبِّ وعلم التربية وعلم النفس... ولقد عثرت على ثماني محاولات، واستثنيت منها ما كان اختصارا وتلخيصا؛ وما اندرج ضمن فضائل الأوقات[1]، فهو كثير، ولا يلحق بالبرمجة الزمنية؛ لأنَّه في جوهره إلحاق أفضال بأزمان، وهو مختلف عن إلحاق أعمالٍ بأزمان.

ومما يُستثنى كذلك ما أُلِّف في أذكار اليوم والليلة؛ لأنَّه رغم كونه توزيعا لأعمال على أزمان، إلَّا أنَّه مقتصرٌ على الذكر والدعاء والصلاة دون غيرها من الأعمال، وهذا النوع من المؤلَّفات كذلك كثير في التراث الإسلاميِّ[2].

ولا أدَّعي استقراء جميع المراجع والمصادر، ولكنني أعتقد أنَّ هذا العدد كاف لإعطاء صورة واضحة للبرنامج اليومي في المحاولات السابقة، سواء المتقدِّمة منها أو المعاصرة.

وهذه المحاولات، هي حسب ترتيبها الزمني:

(1) انظر مثلا ـ البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت. 458هـ/1066م): **كتاب فضائل الأوقات**؛ منشورات محمد علي بيضون ـ دار الكتب العلمية، بيروت؛ 1417هـ/1997م..

(2) انظر مثلا ـ النووي، أبو زكرياء بن شرف بن مري (ت. 676هـ/1277م): **ورد الإمام النووي**؛ تقديم محمد سعيد رمضان البوطي؛ مكتبة الفارابي، دمشق ـ سورية؛ د.ت.ن.. المقريزي: **مختصر قيام الليل**. وذكَر حاجي خليفة في **كشف الظنون** جملة من هذه الكتب؛ ج2/ص1705، 1925، 1949... وانظر ـ القنوجي: **أبجد العلوم**؛ ج2/ص349. ومن الكتب المعاصرة: الغزالي، محمد: **فنُّ الذكر والدعاء عن خاتم الأنبياء**؛ قصر الكتاب، البليدة ـ الجزائر؛ 1409هـ. رضوان محمد رضوان: **المأثورات، الحزب اليومي**؛ نشر مجلة الشريعة، سورية؛ 1415هـ. الزغبي، محمد عبد الملك: **رهبان الليل**؛ مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، 1418هـ/1997م.

• أوّلا • من المتقدمين

1 • الغزالي في «إحياء علوم الدين» (ت. 505هـ/ 1111م):

عقد كتابا سماه بـ«كتاب ترتيب الأوراد وتفصيل إحياء الليل»، وقد قسَّم اليوم إلى أوراد: سبعةٌ بالنهار، وأربعةٌ بالليل.

فأوراد النهار: ما بين طلوع الصبح إلى طلوع قرص الشمس ورد، وما بين طلوع الشمس إلى الزوال وردان، وما بين الزوال إلى وقت العصر وردان، وما بين العصر إلى المغرب وردان.

وأوراد الليل: وردان من المغرب إلى وقت نوم الناس، ووردان من النصف الأخير من الليل إلى طلوع الشمس. وتفصيل ذلك كالآتي:

▪ **أوراد النهار**:

الورد الأول • ما بين طلوع الصبح إلى طلوع قرص الشمس: ويُشغل بالأدعية المأثورة، وركعتي الفجر في بيته، وبصلاة الفجر جماعة، ثم القعود في المسجد إلى طلوع الشمس مكرِّرا للأذكار والأدعية، وجملة من الآيات وردت الأخبار بفضلها. وليُعمل عقله كذلك في هذا الوقت بأنواع الفكر. وجملة وظائف الصبح أربعة: **الدعاء، والذكر، والقراءة، والفكر**[1].

الورد الثاني • ما بين طلوع الشمس إلى ضحوة النهار (ثلاث ساعات من النهار): وفيه وظيفتان زائدتان على وظائف الصبح، وهما: صلاة الضحى، «والخيرات المتعلِّقة بالناس، التي جرت بها العادات بكرة، من عيادة مريض، وتشييع جنازة، ومعاونة على برٍّ وتقوى، وحضور مجلس علم»[2].

الورد الثالث • من ضحوة النهار إلى الزوال: الوظائف الأربعة، بزيادة وظيفتين: الاشتغال بالكسب، وحضور السوق، و«يُقتصر من الكسب على قدر حاجته ليومه، مهما قدر على أن يكتسب في كلِّ يوم لقوته، فإذا حصل كفاية يومه

(1) الغزالي: **إحياء علوم الدين**؛ ص393-400.

(2) **نفس المرجع**؛ ص400-401.

فليرجع إلى بيت ربِّه وليتزوَّد لآخرته»[1]. والوظيفة الثانية هي القيلولة، وهي سنَّة يستعان بها على قيام الليل. وليستيقظ قبل الزوال ليحضِّر للصلاة[2].

الورد الرابع • ما بين الزوال إلى الفراغ من صلاة الظهر: وهو أقصر أوراد النهار وأفضلها، يصلِّي أربع ركعات، ويصلِّي الظهر جماعة، ثم يصلِّي بعد الظهر أربعا[3].

الورد الخامس • ما بعد الظهر إلى العصر: ويستحبُّ فيه العكوف في المسجد للذكر والصلاة وضروب الخير، والنوم لمن لم ينم قبل الظهر[4].

الورد السادس • إذا دخل وقت العصر: النافلة، والفرض جماعة، ثم الاشتغال بالأوراد الأربعة: **الدعاء، والذكر، والقراءة، والفكر**[5].

الورد السابع • إذا اصفرَّت الشمس: للتسبيح والاستغفار. ثم محاسبة النفس على ما مضى من أوراد اليوم[6].

- **أوراد الليل**:

الورد الأول • إذا غربت الشمس: صلاة المغرب جماعة، وإحياء ما بين العشاءين بالصلاة[7].

الورد الثاني • يدخل بدخول وقت العشاء الأخيرة إلى حدِّ نومة الناس: فرض العشاء، وصلاة قيام الليل لمن أخذ بالحزم، ثم الوتر قبل النوم لمن لم يكن عادته القيام.

(1) **نفس المرجع**؛ ص401.

(2) الغزالي: **إحياء علوم الدين**؛ ص401-402.

(3) **نفس المرجع**؛ ص402.

(4) **نفس المرجع**؛ ص402-403.

(5) **نفس المرجع**؛ ص403.

(6) **نفس المرجع**؛ ص403-404.

(7) **نفس المرجع**؛ ص404.

الورد الثالث • النوم: وليعدَّه من أوراد اليوم، وليراع فيه آداب النوم.

الورد الرابع • يدخل بمضيِّ النصف الأول من الليل إلى أن يبقى من الليل سدسه: وفيه التهجد، وهي الصلاة بعد نومة، وفيه أدعية مأثورة.

الورد الخامس • السدس الأخير من الليل ـ والوظيفة فيه الصلاة[1].

وقد ربط بكلِّ ورد من الأوراد ما تعلَّق به من عبادات وأدعية مأثورة عن الرسول ﷺ غالبا، وعن جملة من العبَّاد والزهَّاد المشهورين؛ وكانت مصطلحاته صوفية في غالبيتها، والوظيفة التي مثَّل بها هي وظيفة **العابد**. الذي عرَّفه بأنَّه «المتجرِّد للعبادة، الذي لا شغل له غيرها أصلا، ولو ترك العبادة لجلس بطَّالًا»[2]، و«يقتصر من الكسب على قدر حاجته ليومه، مهما قدر على أن يكتسب في كلِّ يوم لقوته»[3].

ثم سرد سلَّم الوظائف، وذكر ما يميِّز كلَّ وظيفة في برنامجها اليوميِّ، بالإضافة إلى العبادة المستغرقة لجميع اليوم، والوظائف هي: وظيفة العابد، والعالم، والمتعلِّم، والمحترف، والوالي، والموحِّد المستغرق بالواحد الصمد. وهذه الأخيرة أعلى الدرجات عند الغزالي، لكن كلُّ أصحاب هذه الوظائف «مهتدون، وبعضهم أهدى من بعض (...) وإنَّما يتفاوتون في درجات القرب لا في أصله، وأقربهم إلى الله تعالى أعرفهم به، وأعرفهم به لا بدَّ وأن يكون أعبدهم له، فمن عرفه لم يعبد غيره»[4].

ويكون الغزالي ـ حسب ما وصل إلينا ـ أوَّل من اقترح برنامجا يوميا متكاملا للمسلم، وفصَّل جوانب حياته بدقَّة وترتيب زمنيٍّ محكم، ثم اختصر عبد الرحمن

(1) الغزالي: **إحياء علوم الدين**؛ ص411-412.

(2) **نفس المرجع**؛ ص412.

(3) **نفس المرجع**؛ ص401.

(4) **نفس المرجع**؛ ص414-415.

بن الجوزي (ت. 597هـ/ 1200م) هذا الباب في كتابه «منهاج القاصدين»[1]، ثم اختصر نجمُ الدين ابن قدامة المقدسي (ق. 7هـ/ 13م) «منهاج القاصدين» في كتابه «مختصر منهاج القاصدين». ولقد تعاقب طلبة العلم على دراسة هذا المختصر، والإفادة منه قديما وحديثا[2].

ومن أبرز **إيجابيات** هذا البرنامج اليومي الذي اقترحه الغزالي، نذكر:

- استيفاءه لجميع أوقات اليوم، دون استثناء.
- اعتماده النصوص الشرعية، من قرآن كريم وسنَّة نبوية شريفة.
- تعرُّضه لأعمال القلب، وأعمال اللسان، وأعمال الجوارح جميعا.
- تنبيهه إلى اختلاف البرنامج اليومي باختلاف الوظائف، وتقسيمه لأنواع الوظائف.
- اتخاذ الصلاة مرجعا يعود إليه المبرمج، وحدًّا بين ورد وآخر، وبين عمل وآخر...
- إشارته إلى بعض القواعد التي يُبنى عليه البرنامج اليوميُّ للمسلم، مثل قاعدة المداومة، وقاعدة الانتقال بين الأعمال لدفع الملل...
- تفريقه بين الأعمال المستغرقة لجميع اليوم، والأعمال المؤقَّتة بأوقات معيَّنة، فالأولى هي الذكر والفكر، اللذين «ينبغي أن يستغرقا جميع الأوقات أو أكثرها»[3]. والثانية مثل النوم، «فقد كان نومهم غلبة»[4]، ومثل

(1) بحثت عن كتاب منهاج القاصدين في العديد من المكتبات، وبخاصَّة في المملكة العربية السعودية، فلم أجده، ويبدو أنَّه لم يطبع، وإنَّما الذي طُبع واشتهر هو المختصر للمقدسي.

(2) ابن قدامة المقدسي، أحمد بن عبد الرحمن: **مختصر منهاج القاصدين**؛ تقديم: محمد أحمد دهمان، تعليق: شعيب وعبد القادر الأرناؤوط؛ مكتبة دار البيان ـ مؤسسة علوم القرآن، دمشق ـ بيروت؛ 1403هـ/1982م. ص3.

(3) الغزالي: **إحياء علوم الدين**؛ ص392.

(4) **نفس المرجع**؛ ص407.

«الخيرات المتعلِّقة بالناس، التي جرت بها العادات **بُكرةً**»[1].

أمَّا **السلبيات** المسجلَّة على هذا البرنامج اليومي، فهي:

- تغليب وظيفة العبادة على سائر الوظائف، ففي ترتيبها لم يكن موفَّقا في ضبط سلَّم تصاعديٍّ من المهمِّ إلى الأهـمِّ، بل إنَّ الترتيب وضع على أساس عشوائي، هكذا: العابد، والعالم، والمتعلِّم، والمحترف، والوالي، والموحِّد المستغرق بالواحد الصمد. والخطأ أنَّ العبادة، والتوحيد والاستغراق، ليسا من جملة الوظائف، ولا يمثلان زمنا **مهيمنا**، بل هما من نوع **الصبغة**، الذي يجب أن يلازم جميع الوظائف، مهما اختلفت مكانتها.

- عدم الاهتمام ببرنامج عامَّة المسلمين، اهتماما ذا بال، وإنَّما برمج للمشتغلين بالزهد والعبادة، أي أنَّ البرنامج أسِّس على الأمثل ـ في ذلك ـ لا على الأدنى والأيسر.

- الاعتماد على الأحاديث الضعيفة، لتقوية فكرة ما على حساب أخرى، ولتقوية منحاه التصوُّفي الواضح، مما دفع بابن الجوزي والمقدسي لمحاولة حذف أغلبها.

- عدم ضبط **الأولويات** بحيث يُعرف ما يقدَّم على ماذا، وما هو الأهـمُّ من المهمِّ، ضبطا يساعد المبرمج على مراعاة ميزان الأعمال.

- غياب أوراد **المرأة**، فلم يورد ولو إشارة إلى برنامجها اليوميِّ، أو يدرج حقَّها وحقَّ الأهل في برنامج الرجل، رغم كونها في سيرة المصطفى ﷺ ركيزة في البرنامج الزمني؛ لم يضِع حقُّها عند الرسول ﷺ، ولا عند الصحابة رضوان الله عليهم.

- غياب العمل **الجهاديِّ** الذي هو في عمقه من أبرز الوظائف، ولقد شغل حيِّزا كبيرا من حياة الرسول ﷺ، والصحابة من بعده. كما أنَّ القرآن الكريم أولاه عناية خاصَّة ومكانة معتبرة.

(1) **نفس المرجع**؛ ص401.

2 • ابن العربي في تفسيره «أحكام القرآن» (ت. 543هـ/ 1148م):

قسَّم الأوقات قسمين: أوقات عبادة وأوقات عادة؛ وقسَّم اليوم أقساما، لخَّصها في نموذج عاشه، فقال: «كنَّا بثغر الإسكندرية مرابطين أياما، وكان في أصحابنا رجل حدَّاد، وكان يصلِّي معنا الصبح، ويذكر الله إلى طلوع الشمس، ثم يحضر حلقة الذكر، ثم يقوم إلى حرفته، حتى إذا سمع النداء بالظهر رمى بالمرزبَّة[1] في أثناء العمل وتركه، وأقبل على الطهارة، وجاء المسجد فصلَّى وأقام في صلاة أو ذكر حتى يصلِّي العصر، ثم ينصرف إلى منزله في معاشه، حتى إذا غابت الشمس جاء فصلَّى المغرب، ثم عاد إلى فِطره، ثم يأتي المسجد فيركع أو يسمع ما يقال عن العلم، حتى إذا صلَّى العشاء الآخرة انصرف إلى منزله»[2].

ويسجَّل له اعتماده الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، في ضبط البرنامج اليوميِّ للمسلم، واتخاذه الصلاة مرجعا لجميع الأعمال، وتمثيله ببرنامج الحدَّاد ـ وهو محترف ـ تمثيلا يقرِّب الصورة إلى الذهن، وسردُه لأغلب أوقات اليوم دون أن يجمعها في مصطلح واحد.

وابن العربيِّ لم يستغرق جميع أعمال اليوم، ولم يقترح برنامجا شاملا، بل إنَّه خلط بين أقسام النهار الخمسة، واختزل بعض الأوقات الطويلة في عمل واحد، ولم يضبط اختلاف الوظائف وأثرها في البرمجة، كما أنَّه نحَا نحو المتصوِّفة بتغليبه للعبادات والأذكار على العمل الحركيِّ.

3 • ابن الحاج، في «المدخل» (ت. 737هـ/ 1336م):

يعتبر «المدخل» من بين كتب الآداب الشرعية، تعرَّض المؤلِّف فيه إلى جملة من أعمال اليوم والليلة بالنسبة لطالب العلم، وذلك تحت عنوان: «فصل في

(1) «**المِرْزَبَة** والإِرْزَبَّة: عُصَيَّة من حديدٍ. و الإِرْزَبَّة: التي يُكْسر بها المَدَرُ». ابن منظور: **لسان العرب**: ج1/ص416

(2) ابن العربي: **أحكام القرآن**؛ ج4/ص281-282.

أوراد طالب العلم»[1]، و«فصلٌ، ينبغي للمريد أن يكون أشدَّ الناس نظرا إلى نعم الله تعالى عليه»[2].

فتحت العنوان الأوَّل، وجَّه المؤلِّف تحليله إلى وجوب «أن لا يخلِّي طالب العلم نفسه من العبادات، واستدلَّ بحديث: «واستعينوا بالغدوة، والروحة، وشيء من الدلجة»[3]، ثم وازن بين النوافل والعلم في حقِّ طالب العلم، **فحدَّد الأولوية** في ذلك بقوله: «وليحذر أن يتكلَّف من العمل ما عليه فيه مشقَّة، أو يخِلَّ باشتغاله بالعلم»[4]، ثم وزَّع عليه أنواع العبادات اليومية من صلاة الضحى، وقيام الليل، وركَّز على **الديمة** وأثرها على الأعمال.

ولكن تحت العنوان الثاني كان أظهر في تقسيم يومِ الطالب[5]، فذكر أنَّ:

- المريدَ يصبح عليه الصباح فينهض إلى صلاة الصبح في وقتها جماعة.
- بعد الصلاة يجلس في مجلس العلم.
- ثم يأتي إلى من يعتقده فيتكلَّم معه في مسائل الخير.
- ثم يصلِّي بقية الصلوات في جماعة.
- وإن فتح له شيء من أوراد الليل أو أوراد النهار «فبخ بخ».

وزاد المسألة تعميقا في أصول العقيدة حين ربط البرنامج اليوميَّ بمفهوم الكفر، فذكر أنَّ من لم يفتح عليه في هذه الأوراد «يُخاف عليه، لقوله تعالى:

(1) ابن الحاج، محمد بن محمد العبدري (ت.737هـ/1336م): **المدخل**؛ (الأصلية: دار التراث)؛ طبعة جامع الفقه، شركة حرف، الإمارات العربية المتحدة؛ 1999م؛ ج2/ص180، ج2/ص132-139.

(2) **نفس المرجع**؛ ج3/ص155-156.

(3) رواه **البخاري**؛ **كتاب الإيمان، باب الدين يسر**؛ ج1/ص23، رقم 39؛ بسند: «حدثنا عبد السلام بن مطهر قال حدثنا عمر بن علي عن معن بن محمد الغفاري عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:...». ورواه **ابن حبان في صحيحه**، ج2/ص63، رقم 351.

(4) ابن الحاج: **المدخل**؛ ج2/ص135.

(5) **نفس المرجع**؛ ج3/ص155.

﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[إبراهيم: 7]. والكفر عامٌّ»، وهذا الكفر هو كفر النعم، أو هو كفر دون كفر[1].

وما يلاحظ لابن الحاج أنَّه أعطى البرنامج اليوميَّ أبعادا فقهية وعقدية، وضبط **الأولوية** بين العلم والعمل بالنسبة لطالب العلم، غير أنَّه لم يستوف جميع الأزمنة، ولم يفصِّل في الأعمال التي تسقط عليها، ولعلَّ هذا ما يلاحظ على كتب الآداب الشرعية الأخرى، والتي يمثِّل «المدخل» أحسن نموذج لها، في البرمجة اليومية وأصولها[2].

4 • بهاء الدين العاملي، في «مفتاح الفلاح» (ت. 1030هـ/ 1620م):

«مفتاح الفلاح» من مؤلَّفات الشيعة[3]، جعل فيه المؤلِّف محور البرنامج اليومي حركةَ الشمس، واعتمد في ذلك على حديث روي عن رسول الله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، يوصي فيه الإمامَ عليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قائلا: «يا علي، كنَّا مرَّة رُعاة الإبل، وصرنا اليوم رُعاة الشمس»[4]. فقسَّم اليوم إلى ستَّة مراحل، وقسَّم المراحل إلى ساعات[5]:

(أ) • **فجر الشمس**: فجر كاذب وفجر صادق.

(ب) • **طلوع الشمس**:

◂ **الساعة الأولى**: ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.

(1) ابن الحاج: **المدخل**؛ ج3/ص155.

(2) تتبعت جملة من كتب الآداب الشرعية، فصلا فصلا، ومنها: الماوردي، علي بن محمد بن حبيب (ت. 450هـ/1058م): **أدب الدنيا والدين**؛ (الأصلية: دار مكتبة الحياة)؛ طبعة جامع الفقه، شركة حرف، الإمارات العربية المتحدة؛ 1999م؛. المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مفلح الحنبلي (ت. 673هـ/1274م): **الآداب الشرعية والمنح المرعية**؛ (الأصلية: مؤسسة قرطبة)؛ طبعة جامع الفقه، شركة حرف، الإمارات العربية المتحدة؛ 1999م.

(3) إذا كانت التجارب السابقة في البرمجة اليومية صوفية النزعة، سنيَّة المذهب؛ فإنَّ تجربة العاملي كذلك صوفية النزعة، غير أنَّها شيعيَّة المذهب. بل إنَّ المذهبية أظهر وأكثر استحكاما في «مفتاح الفلاح» منها في الكتب الأخرى.

(4) العاملي: **مفتاح الفلاح**؛ ص13-14.

(5) **نفسه**.

- **الساعة الثانية**: من طلوع الشمس إلى ذهاب حمرتها.
- **الساعة الثالثة**: من ذهاب حمرتها إلى ارتفاع النهار.
- **الساعة الرابعة**: من ارتفاع النهار إلى الزوال.

(ج) • **زول الشمس**:

- **الساعة الخامسة**: من زوال الشمس إلى مضي مقدار أربع ركعات.
- **الساعة السادسة**: من مضي أربع ركعات قبل الظهر إلى صلاة الظهر.
- **الساعة السابعة**: من صلاة الظهر إلى مضي أربع ركعات من قبل العصر.
- **الساعة الثامنة**: من مضي أربع ركعات قبل العصر إلى صلاة العصر.
- **الساعة التاسعة**: من صلاة العصر إلى أن تمضي ساعتان.
- **الساعة العاشرة**: من ساعتين بعد صلاة العصر إلى قبل اصفرار الشمس.
- **الساعة الحادية عشرة**: من قبل اصفرار الشمس إلى اصفرارها.
- **الساعة الثانية عشرة**: من اصفرار الشمس إلى غروبها.

(د) • **غروب الشمس**: وقت المغرب، وقت العشاء.

(هـ) • **غيبة الشمس**: من وقت النوم إلى منتصف الليل.

(و) • **مقدِّمة فجر الشمس**: من منتصف الليل إلى الفجر.

ويبدو التكلُّف واضحا في تقسيم المراحل، ليصل بها إلى اثنتي عشرة ساعة، والهدف هو نسبة كلِّ ساعة من الساعات إلى إمام من الأيمة الاثني عشر، بدءً بالإمام عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المنسوب إليه الساعة الأولى، وانتهاء بالساعة الثانية عشرة المنسوبة للخلف الحجَّة، وكلُّ ساعة تمتاز بأدعية مأثورة عن النبي ﷺ، وعن الأيمة الشيعة.

والكتاب موجَّه لمن يحترف العبادة بمعنى الشعائر، مع إشارات خفيفة لغيره في بعض المراحل. مثل قوله: «ومما ينبغي أن يُعمل في صدر النهار التصدُّق بما

تيسَّر، وإن كان حقيرا»[1]، وقوله: «ومما جرت العادة بفعله في أثناء هذا الوقت ـ أعني ما بين طلوع الشمس والزوال ـ الأكل والشرب»[2].

ويُنتقد على العاملي أغلب ما انتقد على الغزالي، ويُعترف لكتابه بأنَّه أوَّل كتاب مستقلٍّ في البرمجة اليومية ـ حسب ما توصلنا إليه ـ مرتَّبا بالمراحل، ومقسَّما إلى أعمال، لكلِّ عمل محلُّه من عجلة اليوم، ليلِه ونهاره، باعتماد القرآن الكريم، والسنة النبوية، ثم الآثار المروية.

• ثانيا • من المعاصرين

5 • سويدان، في كتابه «الصلاة صحة ووقاية» (1394هـ/ 1974م):

قسَّم اليوم إلى مراحل، تفصل بين كلِّ مرحلة وأخرى صلاةُ الفرض، مبتدئا بصلاة الصبح. فقد كانت له إشارات بارزة، وربطٌ متميِّز بين الطبِّ وعلم النفس في تحديد الحكمة من البرمجة اليومية على المنهج الإسلامي.

فالمرحلة الأولى • من الصبح إلى الظهر: يميِّزها صلاة الفرض، والنشاط في هذا الوقت موافق للطبيعة «وإذا نظرنا إلى الطير، فإنَّها تغدو مبكِّرة، تسعى للرزق مرحة مهلِّلة، وهي تسبِّح بحمد الله»[3]. وفي هذا الوقت «يكون الجسم والعقل قد تخلَّصا من تعب وإرهاق اليوم السابق، مما يجعلهما في أعلى درجات النشاط»[4].

وبعد الصلاة تأتي فترة العمل اليوميِّ، مناسبة «لأطول فترة من ضوء النهار، إذ التبكير بالعمل ما هو إلَّا زيادة فترة مباشرة العمل في ضوء النهار، فليس البدء بالعمل عند الفجر، كالبدء بالعمل عند الضحى أو الظهر»[5].

المرحلة الثانية • بين الظهر والعصر: بحلول الظهر يكون حوالي ست ساعات

(1) العاملي: **مفتاح الفلاح**؛ ص50.

(2) **نفس المرجع**؛ ص52.

(3) سويدان: **الصلاة صحة ووقاية**؛ ص162.

(4) **نفسه**.

(5) **نفس المرجع**؛ ص163.

من العمل قد مرَّت، «وهذه الفترة تكاد تكون متوسِّط العمل اليومي للشخص العاديِّ»[1]. وتنتهي بالطهارة والوضوء فيتخلَّص الموظَّف «من أيِّ عامل يهيئ الطريق لانتشار الأمراض، وخاصَّة الأمراض التي تنتشر بالأيدي قبل تناول وجبة الغداء، كما أنَّه بالصلاة تتخلَّص من العوامل النفسية والإرهاق النفسي والانفعالات التي قد تكون اعترضته أثناء قيامه بالعمل، وبذلك يكون متهيِّئًا لتناول وجبة الغداء، دون تداخل هذه المؤثرات في عملية الهضم على أحسن وجه»[2].

وبعد الغداء تأتي فترة استرخاء إلى ما قبل العصر، والمعروف طبِّيًّا «أنَّ الاسترخاء أو على الأقلِّ تجنُّب أيِّ مجهود جسمانيٍّ لفترة بعد تناول الطعام، يوفِّر المقدار المطلوب من الدم للجهاز الهضمي»[3].

المرحلة الثالثة • بين العصر والمغرب: مرحلة نشاط ثانية، يكون الإنسان فيها مهيَّأً جسميا ونفسيا لمواصلة العمل اليوميِّ حتى الغروب.

المرحلة الرابعة • من المغرب إلى العشاء: تؤدَّى صلاة المغرب قبل وجبة العَشاء، وتؤدِّي نفس الغرض الذي تؤديه صلاة الظهر، طبيًّا ونفسيًّا، ويعقب الوجبة حركات إقامة صلاة العِشاء[4].

المرحلة السادسة • بين العشاء والصبح: هي ختام النشاط اليومي، وينام العبد بفضل الصلاة على «النظافة، والهدوء الروحيِّ، والخشوع، والرضا، والتخلُّص من جميع الانفعالات التي يكون الإنسان قد تعرَّض لها أثناء العمل اليومي. وبذلك ينام الليل دون أرق أو قلق، فيستعيد الجسم حيويته ونشاطه لليوم التالي»[5].

(1) سويدان: **الصلاة صحة ووقاية**؛ ص163.

(2) **نفس المرجع**؛ ص164.

(3) سويدان: **الصلاة صحة ووقاية**؛ ص164.

(4) **نفس المرجع**؛ ص165.

(5) **نفسه**.

يبدو أنَّ سويدان قد أسَّس برنامجه على حديث «أفلح إن صدق»، ونصُّه: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فإذا هو يسأل عن الإسلام; فقال رسول الله ﷺ: خمس صلوات في اليوم والليلة. قال: هل عليَّ غيرهن؟ قال : لا إلَّا أن تتطوَّع ... فأدبر الرجل ، وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه; فقال رسول الله ﷺ: أفلح إن صدق، دخل الجنة إن صدق»[1] قال ابن حزم: «لا يحمَّق من ترك ما ليس فرضا»[2].

مما يُنتقد على هذا البرنامج اليومي اقتصاره على الفرض، وعدم إدراجه لحقوق الأهل والأرحام، وعدم ضبطه لفترة القيام بهذه الحقوق، وكذا عدم اعتماده الحديث النبويَّ الشريف، كمرجع من المراجع الأساسية في البرمجة، وعدم تحديد **القواعد** الأساسية للبرمجة... ويشفع للمؤلِّف كون كتابه غير متخصِّص في الزمن، ولا في البرمجة الزمنية.

6 • القرضاوي في «الوقت في حياة المسلم» (1405هـ/ 1985م):

إنَّ ما سجَّله القرضاوي في هذا الكتاب عن نظام الحياة اليومي للمسلم، يعدُّ من عمق البرمجة الزمنية، فهو بمثابة الإرهاصات الحقيقية لهذا المجال الخصب من الدراسة[3].

ولقد ضبط القرضاوي بعض الأسس المعتبرة في بناء البرنامج اليومي للمسلم، أهمُّها: «المسارعة في الخيرات»[4]، و«الاعتبار بمرور الأيام»[5]،

(1) ابن حزم: **المحلَّى بالآثار**؛ ج2/ص4 بسند: «حدثنا عبد الوهاب بن عيسى ثنا حمد بن محمد حدثنا أحمد بن علي ثنا مسلم بن الحجاج ثنا قتيبة بن سعيد عن مالك بن أنس عن أبي سهيل بن مالك عن أبيه أنه سمع طلحة بن عبيد الله يقول».

(2) **المحلى بالآثار**؛ ج1/ص256.

(3) انظر أعلاه ـ ص63-64.

(4) القرضاوي: **الوقت في حياة المسلم**؛ ص16.

(5) **نفس المرجع**؛ ص18.

و«تنظيم الوقت»[1]، و«لكل وقت عمله»[2]، و«تحرِّي الأوقات الفاضلة»[3].

ثم تدرَّج مع فترات اليوم، فإنَّه «ينبغي للمسلم إذا أراد أن يبارَك له في عمره أن يسير على نظام الحياة اليومي في الإسلام»[4].

الفترة الأولى • منذ مطلع الفجر، أو على الأقلِّ قبل مشرق الشمس «وبهذا يتلقَّى الصباح طاهرا نقيًّا، قبل أن تلوِّثه أنفاس العُصاة، الذين لا يفيقون من نومهم إلَّا في ضحى النهار»[5]، وهنا يستقبل المسلمُ يومه بالبكور، الذي دعا الرسول لأمته بالبركة فيه.

واستشهد بأحاديث في فضل هذا الوقت، وبأذكار الصباح المأثورة عن الرسول ﷺ، وبما ينبغي أن يقرأه من القرآن الكريم.

وأثناء هذه الفترة يتناول المسلم «فطوره باعتدال، ثم يتوجَّه إلى عمله، ساعيا في تدبير معاشه، وطلب رزقه، يجتهد أن يشغل نفسه بأيِّ عمل حلال، مهما كان من ذوي الثراء والمال»[6]. وليكن رزقه من حلال، ويحذر الربا والحرام.

ولقد ذمَّ الإسلام التعطُّل، و«شبَّه بعضُ الصالحين الصوفيَّ الذي لا حرفة له بالبومة الساكنة في الخراب، ليس فيها نفع لأحد»[7].

ومن الواجبات اليومية الأكيدة: واجب المسلم نحو المجتمع، «ومساعدة أفراده على قضاء حوائجهم»[8]. وفي ذلك شواهد كثيرة من السنة النبوية الشريفة، أوردها القرضاوي من مصادرها.

(1) **نفسه**.

(2) **نفس المرجع**؛ ص21.

(3) **نفس المرجع**؛ ص22.

(4) **نفس المرجع**؛ ص25.

(5) القرضاوي: **الوقت في حياة المسلم**؛ ص25.

(6) **نفس المرجع**؛ ص27.

(7) **نفس المرجع**؛ ص27-28.

(8) **نفس المرجع**؛ ص28.

الفترة الثانية • بداية من الظهر، يهرع فيها المصلِّي لصلاته، على أن تكون في المسجد[1]. ثم يتناول غداءه من طيَّب ما رزق الله، غير مسرف ولا متقشِّف.

و«في البلاد الحارَّة، وفي فصل الصيف فيها خاصَّة، قد يحتاج بعض الناس إلى قيلولة يخلدون فيها إلى شيء من الراحة، يستعينون بها على قيام الليل، ويقظة البكور»[2].

الفترة الثالثة • بداية من العصر، يصلِّيها المسلم جماعة، ولا يجوز أن يُشغل عنها[3].

الفترة الرابعة • عند غروب الشمس، يبادر المسلم إلى صلاة المغرب لأوَّل وقتها «وبخاصَّة أنَّ وقتها ضيِّق»[4]. ثم يدعو بما أثر من أدعية المساء.

الفترة الخامسة • وقت العِشاء، وقد يصلِّيها قبل العَشاء، غير أنَّه إذا اجتمعا قدَّم العَشاء كما في الحديث. و«يستطيع المسلم أن يقضي بعض الحقوق قبل نومه، كبعض الزيارات أو المجاملات»[5].

وفي هذا الوقت يحرص على بعض القراءة المنتظمة، طلبا للزيادة في العلم. ولا حرج عليه أن يمتِّع نفسه ببعض اللهو والترفيه المباح[6].

ولا يحسن بالمسلم أن يطيل السهر، حتى لا يطغى على حقوقه نحو الله، ونحو الوالدين، والأرحام، والضعفاء، وكلِّ ما يجب الإحسان نحوه[7].

وبرنامج القرضاوي في مجمله شامل، ومؤسَّس على أصول من القرآن الكريم

(1) **نفسه**.

(2) **نفسه**.

(3) القرضاوي: **الوقت في حياة المسلم**؛ ص29.

(4) **نفس المرجع**؛ ص30.

(5) **نفس المرجع**؛ ص30.

(6) **نفس المرجع**؛ ص31.

(7) **نفس المرجع**؛ ص31-32.

والسنَّة النبوية الطاهرة، وضابط لجملة من **القواعد** الأساسيَّة... وهو مع ذلك مخلٌّ في بعض الجوانب، منها عدم اعتبار الاختلاف في الوظائف، والاسترسال في العرض دون ترتيب وتنظيم معتبر، فميَّزه الانتقال من موضوع إلى موضوع، ومن نقطة إلى أخرى شجونا واستطرادا، فهو يعرض لنقطة في مكان، ثم يعود إليها؛ ويعتبر بعض الأمور فيضع لها عنوانا، ويعرض أمورا أهمَّ منها في سياق الكلام...

ومن نقائصه عدم البرمجة لِما بين العصر والمغرب، وعدم عرضه للفروق بين الرجل والمرأة في البرنامج اليومي، وعلاقات التأثير والتأثر بينهما. فالدراسات الزمنية في عمقها دراسات تأثير وتأثر، في مختلف مناحي الحياة.

7 • الشنتوت في كتاب «دور البيت المسلم» (1414هـ/ 1994م):

من منطلق حضاري ـ تربوي يعرض المؤلِّف برنامجه اليومي، فيقول: «المرجوُّ من البيت المسلم أن يكون متميِّزا، لينجب أطفالا متميِّزين، وبالتالي يقدِّم للأمَّة الإسلامية أفرادا مسلمين متميِّزين» ثم يعيد ذلك إلى برنامج يوميٍّ متميِّز للبيت المسلم، فيقول: «وتقع مسؤوليَّة ذلك على الأب المسلم والأمِّ المسلمة، اللذان يعوِّدان أفراد الأسرة كلَّهم على هذا اليوم، ويكونان قدوة لهم في ذلك»[1].

ويعرض الشنتوت معالم اليوم الأساسية، وهي:

(أ) • الاستيقاظ المبكِّر، وأداء صلاة الفجر، ثم تلاوة ورد من القرآن، ثم إفطار خفيف، ثم العمل اليومي «وينبغي للبلدان المسلمة أن تجعل بدء العمل بعد صلاة الفجر»[2] وفي الحديث: «اللهمَّ بارك لأمَّتي في بكورها»[3].

(ب) • يستمرُّ العمل إلى صلاة الظهر، فتؤدَّى جماعة، ثم يُكمل المسلم

(1) الشنتوت، خالد أحمد: **دور البيت المسلم في تربية الطفل المسلم**؛ المطبعة العربية، غرداية؛ ط4: 1994م. ص137-138.

(2) **نفس المرجع**؛ ص136.

(3) انظر تخريجه، أدناه ـ في المبحث الموالي ص229.

العمل، ليعود إلى بيته، ويتناول الغداء، ثم ينام القيلولة، وهي ضرورة[1].

(ج) • ينهض من القيلولة على أذان العصر، ليؤدِّيها جماعة، «ثم يجلس نصف ساعة أو ساعة مع أسرته، يقضيها في التعلُّم»، ثم يعود لعمله اليوميِّ، أو يقضي بعض الواجبات الاجتماعية، أو يمارس أنشطة ثقافية[2].

(د) • يصلِّي المغرب، ويمكث في المسجد، لتلاوة القرآن، أو تذاكر العلم إلى العِشاء[3].

(هـ) • يتناول طعاما خفيفا للعَشاء بعد الصلاة، ثم ينام إن لم يكن له علم يشغله عن النوم[4].

ومما ميَّز برنامج الشنتوت ذكره لخصوصية شهر رمضان، وما يقع فيه من أخطاء من قِبل المسلم المعاصر، الذي اعتاد أن يجعل الليل نهارا والنهار ليلا. وكذا ذكرُه لخصوصية يوم العطلة وما ينبغي أن يُفعل فيه[5].

ويلاحَظ المنحى التربوي في هذا المقترح، والاهتمام بحقِّ العائلة والأولاد، أكثر من غيرهما من الحقوق، باقتراح وقت بين العصر والمغرب لتعليمهم، وهو ما افتقده سابقوه.

ويُنتقد عليه عدم فصله بين وظائف المبرمج لهم، وعدم اعتماده الآيات القرآنية والأحاديث النبوية كما ينبغي. وبخاصَّة إغفاله وضع **قواعد** تُبنى عليها البرمجة اليومية، لأنها المرتكز الأساس، وبغيرها لا يُتوصَّل إلى برنامج متميز ومرن في آن واحد.

(1) الشنتوت: **نفس المرجع**؛ ص136.

(2) **نفسه**.

(3) **نفسه**.

(4) **نفس المرجع**؛ ص136.

(5) **نفس المرجع**؛ ص136-137.

8 • الخالدي، في «الخطَّة البرَّاقة» (1418هـ/ 1998م):

تحت عنوان «مع صاحب العلم في ساعات يومه»، أدرج المؤلِّف جملة من النصائح، قبل أن يعرض الأعمال على شريط اليوم، وخلاصة هذه النصائح هي:

- أن يبرمج ساعات يومه، ولصاحب العلم «في التعامل مع ساعات يومه طريقة» مختلفة عن سائر الناس[1].
- أن يحذر الغفلة، وهي «العدوُّ اللدود الذي يضيِّع على صاحب العلم ساعات يومه»، ومن أشدِّ أنواع الغفلة على طالب العلم «الغفلة عن حياته **وغاياته**، وقضاءُ يومه في ضياع، وحيرة، وفوضى»[2].
- الشعور بقيمة الساعات، وصاحب العلم «يتمنَّى لو ضوعفت ساعات يومه، ولو كانت خمسين أو ستين ساعة»[3]، لمعرفته بقيمة الوقت وأثره على حياته..
- مراعاة تفاوت الساعات حسب الفصول، فينبغي على طالب العلم أن يتكيَّف مع كلِّ فصل حسب طبيعته[4].
- أن لا ينام أكثر من ست ساعات في اليوم، وهذه «نسبة فطرية معقولة»[5]. وأن يحسن اختيار وقت النوم، فيتفادى السهر، ولا ينام في البُكر، وبذلك «يتوافق مع السنَّة الربانية الكونية في النوم واليقظة»[6]. ويتوافق كذلك مع سنَّة المصطفى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وبعد هذه النصائح والمقدِّمات، اقترح الخالديُّ نموذجا لبرنامج مثاليٍّ،

(1) الخالدي: **الخطة البراقة**؛ ص119-120.

(2) **نفس المرجع**؛ ص120.

(3) **نفس المرجع**؛ ص122.

(4) **نفس المرجع**؛ ص123-124.

(5) **نفس المرجع**؛ ص126.

(6) الخالدي: **الخطة البراقة**؛ ص127-132.

يسترشد به طالب العلم «في وضع برنامجه الخاصِّ به»[1]. وهو كالآتي:

(أ) • **ساعة قبل الفجر**: للتهجُّد، وتلاوة القرآن، والوتر. وهذه الساعة في مجملها للتربية الروحيَّة، «ولا يجوز أن تضيع هذه الساعة الإيمانية المباركة على صاحب العلم»[2].

(ب) • **صلاة الفجر**: يحرص أن تكون في مسجد، ويبقى في مصلَّاه بعد الفجر لأذكار الصلاة، ويكمل ورده القرآني[3].

(ج) • **ما بعد الشروق للعلم لا للنوم**: ولا حرج أن يساعد كيانه على الانتباه «بشرب فنجان من القهوة»، وليقدِّم في هذا الوقت المسائل العلمية التي تحتاج إلى جهد وتركيز. وليحرص على صلاة الضحى بعد الشروق[4].

(د) • **فترة العمل أو الدراسة**: من بعد الضحى إلى ما بعد الظهر، ويطلب منه أن يحسن في عمله، وهذا من أوجب واجبات الإسلام.

(هـ) • **الحرص على القيلولة**: بعد الظهر، يحرص على أن ينام ساعة أو أقلَّ، اتِّباعا للسنَّة، «لأنَّ هذه الغفوة تعيد للجسم نشاطه، وللدماغ حيويته»[5].

(و) • **ما بعد العصر للدعوة**: العصر في المسجد، ثم الدعوة والزيارات، والواجبات الاجتماعية والإرشادية، والمشاركة في الأفراح والأتراح، وفي زيارة المرضى، ومساعدة المحتاجين، أو لجلسة عملية مع الإخوان والأصدقاء... ولا يجوز لصاحب العلم أن يعتزل المسلمين[6].

(1) نفس المرجع؛ ص133.

(2) نفس المرجع؛ ص134.

(3) نفس المرجع؛ ص134-135.

(4) نفس المرجع؛ ص135.

(5) نفسه.

(6) نفس المرجع؛ ص137.

(ز) • **ما بعد المغرب**: في المسجد، لحضور درس علميٍّ، أو تلاوة القرآن[1].

(ح) • **ما بعد العشاء**: في العلم، وذلك قبل النوم، وليحذر الاشتغال بما لا يعني من تلفزيون، أو تمثيليات، أو مسرحيات.

(ط) • **قيام الليل، ثم محاسبة النفس**: قبل النوم يتوضَّأ صاحب العلم، ويصلِّي أربع ركعات، ثم يحاسب نفسه على ساعات نهاره[2].

(ي) • **النوم المبكِّر**: يكون النوم خمس ساعات على الأقلِّ، وعلى الأكثر ست ساعات[3].

هذا البرنامج أقرب ما يكون إلى الشمولية، وميزته هي أنَّه موجَّه أساسا لطالب العلم، فهو متخصِّص، ومع ذلك راعى صاحبه اختلاف الوظائف، ووضع **قواعد** تساعد على أن يكون برنامجا واقعيا وفعَّالا.

غير أنَّه يبقى كمحاولة تحتاج إلى **إثراء وإنماء، وتعميم** على الوظائف الأخرى، **وتثمين باعتبار** اختلاف المدارك، واختلاف الجنس، والعمر، والإمكانات المعنوية والمادية، والطبيعة الجغرافية... **واعتماد** على المحاولات والتجارب السابقة... ولا يمكن ذلك بالطبع إلَّا إذا استقامت البرمجة الزمنية ـ ومنها اليومية ـ في الفكر الإسلاميِّ، **كعلم قائم بذاته، له مناهجه، ومصطلحاته، ومواضيعه**... والدعوة إلى هذا من أبرز الأهداف التي يرمي إليها هذا البحث، وإلَّا فإنَّ العلوم لا تؤلَّف في يوم، ولا تقوم من عدم، وهي جهد تراكميٌّ متواصل، غير منقطع، وغير مجزَّأ.

(1) **نفس المرجع**؛ ص138.

(2) الخالدي: **الخطة البراقة**؛ ص139.

(3) **نفس المرجع**؛ ص139-140.

وخلاصة ما يلاحظ على هذه المحاولات:

1. أنَّها **غير موحَّدة** في المصطلح.
2. **وغير منتظمة** في نسق منهجيٍّ واحد.
3. لم تضبط **القواعد العامَّة** التي تحكم البرنامج اليوميَّ، بما يميِّز برنامج المسلم عن غيره من البرامج، **ضبطا كافيا** ومستفيضا، بل كانت ثمة إشارات وتنبيهات، لا تكفي لوضوح الرؤية وبروز المنهج.
4. بعض هذه المحاولات أحدث **أزمنة مهيمنة**، على حساب أزمنة لا تقلُّ أهمية عنها؛ فلم تؤسَّس على مبدأ **الزمن الصبغة**، الذي يمثِّل روح الإسلام وعمقَه، في مجال البرمجة الزمنية واليومية.
5. **تعرَّضت هذه المحاولات للغايات** وتطبيقاتها على البرنامج اليوميِّ، **ولكن ليس كمقصد مباشر، بل عرضا دون ترتيب**، علما أنَّ **تحديد الغايات** هي الخطوة الأساس في أيِّ برنامج زمنيٍّ، لأيِّ إنسان مهما كان.
6. لا نجد اهتماما ذا بال **بالأهداف** ولا **بالأولويات** في البرنامج اليوميِّ، إلَّا نادرًا وعرَضًا، ولذا كثيرا ما وقع المبرمج في اقتراحات متضاربة زمنيا، إنجازُ بعضها يلغي الأخرى طبيعيا، والاهتمام ببعضها يعني إغفال البعض الآخر ضرورة.
7. **لم نعثر على سلك ينتظم العلوم التي أنتجها الفكر الإسلاميُّ مع البرنامج اليوميِّ للمسلم**، فكان البرنامج في معزل عن العلوم، والعلوم في منأى عن الفرد المسلم، فهي لا تخدمه مباشرة. ومن جملة العلوم المتبادرة إلى الذهن: علم العقيدة، والمقاصد، وفقه مراتب الأعمال، وفقه الأولويات، والسيرة النبوية، وعلم الرجال...
8. ينقص هذه المحاولات **استقصاء واستقراء للنصوص، سواء القرآنية منها أم الحديثية**، مما يفرض على المنظِّر للبرنامج اليوميِّ تعارضا بين نصٍّ وآخر، وبين عمل يوميٍّ وعمل آخر يزيد عنه أهمية أو يقلُّ...

بعدما صاغ البحث أصول البرنامج اليومي من خلال القرآن الكريم، سيحاول في المبحث التالي أن يضبط **أصول وقواعد البرنامج الزمني للرسول ﷺ، ثم يرسم برنامجه اليوميَّ، ويتجه إلى محاولة للأسوة به في ذلك**، محاولا تثمين ما سبق من التجارب، وتعديل ما يمكن تعديله، وإضافة ما يمكن إضافته. فهذه الخطوة هي من عمق التأصيل، والتنظير المنهجيِّ للبرمجة الزمنية...

المبحث الثاني أصول البرمجة اليومية من خلال السنة النبوية:

• أوّلا • قواعد برمجة اليوم في السنة النبوية

ليست البرمجة اليومية مجرَّد أعمال توزَّع على أزمان في بحر اليوم، بليله ونهاره، وبأجزائه وآنائه؛ ولكنَّها قبل ذلك قواعدُ ومبادئ يعتمد المبرمج عليها، ويتَّخذها منطلقا له ومرجعا.

ولقد أسَّس الرسول ﷺ حياته ـ بتوفيق من الله تعالى، وبكفاءات عالية متَّعه بها ـ على جملة من القواعد هي المقدِّمة لكلِّ برمجة أصيلة وعميقة، وهي **المرتكز المنهجيُّ** في برمجة اليوم لكلِّ مسلم، بل لكلِّ إنسان يبتغي حياة سعيدة ومتوازنة، من هذه القواعد ما يُستخرج من القرآن الكريم، وعلى رأسها قاعدة «محورية الصلاة للبرنامج اليومي»[1]. ومنها ما جاءت به السنة النبوية الشريفة. وأبرزها:

1 قاعدة المداومة:

جمع الطحاوي في مشكل الآثار طرق حديث «لكلِّ عمل شِرَّةٌ»[2]، ومن بين هذه الروايات ما روي عن عبد الله بن عمرو أنَّ النبي ﷺ قال: «إنَّ لكلِّ عمل شِرَّةٌ، ولكلِّ **شِرَّة فترةٌ**، فإمَّا إلى سنَّة وإمَّا إلى بدعة، فمن كانت فترته إلى سنَّتي فقد اهتدى، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك»[3]. ومنها رواية عن أبي هريرة، أنَّ النبي ﷺ قال: «لكلِّ عمل **شرَّة** ولكل **شرَّة فترة**، فإن كان صاحبها سادا وقاربا

(1) انظر أعلاه ـ ص92.

(2) الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة (ت. 321هـ/933م): **مشكل الآثار**؛ (الأصلية: دار الكتب العلمية)؛ نسخة جامع الفقه الإسلامي، 1999م؛ ج1/ص266-271.

(3) رواه: **ابن خزيمة**، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري (ت. 311هـ/923م): **صحيح ابن خزيمة**؛ مر. محمد مصطفى الأعظمي؛ المكتب الإسلامي، بيروت؛ 1390هـ/1970م؛ (الذهبية) ج3/ص293، رقم 2105. بسند: «حدثنا محمد بن أبان حدثنا بن فضيل حدثنا حصين عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو ». والطحاوي: **مشكل الآثار**؛ ج1/ص266؛ بسند: «حدثنا أبو أمية قال ثنا سريج بن النعمان الجوهري قال حدثنا هشيم قال ثنا حصين عن مجاهد عن عبد الله ابن عمرو أن النبي ﷺ قال: لكلِّ عمل شرَّة...».

فارجوه، وإن أشير إليه بالأصابع فلا تعُدُّوه»[1].

وفي معنى الشِرَّة والفترة يقول الماوردي: «فجعل للإسلام شرِّة وهي الإيغال في الإكثار، وجعل للشرَّة فترة وهي الإهمال بعد الاستكثار»[2]. وأمَّا الخادمي ففسَّر الشرِّة بـ«نشاط ورغبة، والظاهر المراد: الشوق والنشاط في قصد العمل الذي به الترجيح على تركه، وهو الداعي لإتيانه». وفسَّر الفترة بأنَّها: «فتور وضعف، وسكون بعد حدَّة»[3].

وما نستفيده من هذه الأحاديث أنَّ رسول الله ﷺ أمر بعدم الإيغال في الأعمال، مع الاستسلام بعدها للفترة في غير طاعة؛ ولهذا فإنَّ هديه ﷺ في برمجة أيامه كان على قاعدة: **المداومة**.

ولهذه القاعدة شواهد كثيرة من السنَّة النبوية، منها ما روى مسلم أنَّ رسول الله ﷺ «سئل: أيُّ العمل أحبُّ إلى الله تعالى؟ قال: **أدومه** وإن قلَّ»[4]. وعن علقمة قلت لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «هل كان رسول الله ﷺ يختصُّ من الأيام شيئا؟ قالت: لا، كان عمله **ديمة**. وأيكم يطيق ما كان رسول الله ﷺ يطيق»[5].

---

(1) رواه: ابن حبان، **صحيح ابن حبان**؛ ج2/ص62، رقم 340؛ يسند: «أخبرنا أحمد بن علي بن المثنى قال حدثنا محمد بن عباد المكي قال حدثنا حاتم بن إسماعيل عن محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال:... ». **نفس المرجع**؛ ج1/ص269؛ بسند: «حدثنا بكار بن قتيبة قال ثنا صفوان بن عيسى قال ثنا محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال...».

(2) الماوردي: **أدب الدنيا والدين**؛ ص108.

(3) الخادمي، محمد بن محمد بن مصطفى (ت. 1168هـ/1754م): **بريقة محمودية في شرح طريقة محمَّدية**؛ (الأصلية: دار إحياء الكتب العربية)؛ طبعة جامع الفقه، شركة حرف، الإمارات العربية المتحدة؛ 1999م؛ ج1/ص82.

(4) رواه **مسلم**؛ **كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره**؛ ج1/ص541، رقم 782؛ بسند: «حدثنا محمد بن المثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سعد بن إبراهيم أنه سمع أبا سلمة يحدث عن عائشة أنَّ رسول الله ﷺ سئل: أيُّ».

(5) رواه **البخاري**؛ **كتاب الصوم، باب هل يخص شيئا من الأيام**؛ ج2/ص701، رقم 1886. بسند: «حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن سفيان عن منصور عن إبراهيم عن علقمة...».

وسرُّ تفضيل العمل الدائم مع القلَّة، على المنقطع مع الكثرة «أنَّ **المداومةَ**: فيها تغذية الإيمان في كلِّ وقت، فلا تذبل شجرته، وفيها مراقبة دائبة للنفوس، فهي دائما صاعدة في سلَّم الكمال؛ ولا كذلك الإجهاد الذي يقعد بالإنسان عن العمل، فتذوى شجرة الإيمان، وتضعف نفسه عن مكافحة الشدائد»[1].

وابتغاء **الديمة** في الأعمال ـ من الناحية النفسية ـ يعين على اقتلاع العادة السوء، ويحوِّل أصعب الأعمال اليومية إلى عادات سهلة يسيرة، تؤتى بلا مشقَّة ولا تكلُّف. يقول صاحب «أدب الإمارة»: «والعادة السوء إذا استحكمت كالصبغ الرديء في الثوب الجيد إذا وشِّح، وربَّما زال الصبغ من الثوب، وأعوز زوال العادة من المعتاد... والسبب في إصلاح ذلك أن يبتدئ المعالج بالانتقال عنها على التدرُّج، ويزيد في كلِّ وقت من أوقات العادة قليلا في الإمساك عن الزيادة، حتى يقف على حدِّ السلامة، فيأخذ نفسه حينئذ **بالدوام**»[2]. ومن أبرز الأمثلة على ذلك من أَلِفت نفسه نومَ البكر، فهو يرى استحالة التخلِّي عنه، وإذا هو سار على خطوات للإقلاع عنه، وابتغى **الديمة** في عمل الغدوة، هاجر النوم، فاستحكمت فيه عادة البكر، وتحوَّل إلى عامل بكوريٍّ مبارك له في عمله.

وعدم **المداومة** على الأعمال سمة من سمات المجتمع القروي، فالفلاح ـ في عيِّنة دراسة اجتماعية، أنجزها «برديو» ـ تجده يستخدم «الوقت في حرية، حيث يتخير الأوقات التي يعمل فيها؛ ثم إنَّه حرٌّ في تخيُّر نوع العمل الذي يبدأ به يومه، وفي تقدير السرعة التي يؤدِّيه بها، ويمكنه إذا شاء أن يتوقَّف عن عمله، أو أن يُقبل عليه إقبالا شديدا في يوم دون آخر... وهذه هي سمات العقلية القروية في كلِّ مكان، في تصوُّرها لفكرة الزمان»[3]. ذلك أنَّ **المداومة** على الأعمال درجة

(1) الخولي، محمد عبد العزيز: **الأدب النبوي، متخيرة من حديث الرسول ﷺ، مشروحة شرحا واسعا يتصل بالحياة**؛ مطبعة الاستقامة، القاهرة؛ 1371هـ/1951م؛ ص182-183.

(2) المرادي: **كتاب الإشارة**؛ ص86.

(3) جباري، محمد إسماعيل: **دوركايم مؤسِّس علم الاجتماع المعاصر، نظريا وتطبيقيا**؛ منشأة المعارف، الاسكندرية، مصر؛ 1976م. نقلها عن دراسة أجراها بيير بورديه (Pierre Bourdieu) عن الزمن كما يتمثله الفلاح الجزائري، نشرت سنة 1963م.

عالية من الوعي الحضاري للفرد والمجتمع، وإدراك متميِّز لمفهوم الحرية، ومفهوم الالتزام.

ولقد صاغ الفقهاء من «**الديمة**» قاعدةً في فقه **الأولويات**، وهي «أولوية العمل الدائم النفع على العمل المنقطع»[1]، ذلك أنَّه «بالمداومة على القليل، تستمرُّ الطاعة وتكثر بركتها، بخلاف الكثير الشاقِّ، وربما ينمو القليل الدائم حتى يزيد على الكثير المنقطع أضعافا كثيرة، ولهذا استقرَّ في فِطر الناس في سائر الأمور: أنَّ القليل الدائم خير من الكثير المنقطع»[2]. غير أنَّ هذا الطرح الأولويَّ لهذه القاعدة لم يحوِّلها إلى ممارسة يومية، ولم يبدع الباحثون منها تدريبا عمليًّا، يسهم في تنشئة التلميذ العدل، والمحترف العدل، والمدير العدل...

وفي البرمجة اليومية والزمنية للرسول ﷺ، يلاحظ أنَّ قاعدة **الديمة**، كما وردت في الأحاديث، تستلزم جملة من الخطوات المنهجية، يستنتجها المحلِّل لمحتوى النصوص، منها:

- **تحديد الغاية**، وهي ابتغاء «وجه الله تعالى»، ثم ضبط **الأهداف** مع مراعاة **الأولويات**، وذلك «بابتغاء **أحبِّ الأعمال** إلى الله تعالى».
- **العمل بذكاء لا بشدَّة**، وهذا بتنظيم العلاقة النفسية بين الشرَّة والفَتْرة، وعدم الإيغال في العمل، ثم التعطُّلِ بعده في معصية، أو في غير منفعة. ومن الناحية العملية ترتبط هذه الخطوة بعدَّة مداخل في إدارة الوقت، منها أنَّ الذي يتعامل مع الوقت «كعدوٍّ»[3]، يعتقد خطأً أنَّه «كلَّما عمل الفرد بمشقَّة أكثر، فإنَّ ذلك يعني أنَّه أنجز أكثر»[4]، والصواب أنَّه «لا توجد أيُّ علاقة مباشرة بين العمل الشاقِّ والإنجاز الإيجابيِّ»، والمثل يقول: «اعمل بأكثر

(1) القرضاوي: **في فقه الأولويات**؛ ص105-106.

(2) **نفس المرجع**؛ ص106.

(3) وانظر ـ الصور الشائعة عن صراع الإنسان مع الوقت في: حسن، محمد عبد الغني: **مهارات إدارة الوقت، كيف تدير وقتك بكفاءة**؛ مركز تطوير الأداء والتنمية، الأردن؛ ط2: 1995م؛ ص21-31.

(4) معايعة: **إدارة الوقت**؛ ص33.

براعة لا بأكثر قساوة (Work smarter, not harder)»[1]. ولقد تبنَّت الجمعية الأمريكية لتقييم المهندسين هذا الشعار، كمحاولة منها لتمييز الشغل من الانشغال.

ولقد طوَّر الفكر الغربيُّ بناء على هذه القاعدة **مفهوم تخطيط الوقت**، وتخطيطُ اليوم مظهر من مظاهره؛ لأنَّ التخطيط هو الوسيلة الأكيدة للعمل بذكاء عوض العمل بقوَّة. أمَّا الفكر الإسلاميُّ المعاصر فأبقى هذه القاعدة في مستوى النصائح والمواعظ، رغم أنَّ أصولها متجذِّرة فيه، والمفروض هو العمل على تحويل قاعدة «**الديمة**» إلى مجال خصب في التربية والتعليم، وفي علم العمل، وفي الترويح... إلخ.

- **القلَّة مع المداومة خير من الكثرة مع الانقطاع**، ويفسِّر الغزالي هذا بمثَل جيِّد أجمله في قوله: «ومثال القليل الدائم كقطرات ماء تتقاطر على الأرض على التوالي، فتُحدث فيها حفيرة، ولو وقع ذلك على الحجر. ومثال الكثير المتفرِّق ماء يصبُّ دفعة أو دفعات متفرِّقة متباعدة الأوقات، فلا يبين لها أثر ظاهر»[2]. وفي إدارة الوقت يأتي «قانون باريتو» المسمَّى بقانون 20/80، كطريقة عملية مبتكرة في مفهوم القلَّة والكثرة، «فعلى الإنسان أن يركِّز جهوده على الأقلية الهامَّة، لا على الأكثرية التافهة، إذا أراد أن يحقِّق لحياته ولمشاريعه نجاحا أكبر».

- **هذه المداومة على العمل هي بعينها ـ في جانبها التطبيقيِّ ـ برمجةٌ زمنية، وفي دائرة اليوم الواحد، هي برمجة يومية**. فلم يكن عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يستجيب للطوارئ والضغوطات، أو يعمل دون **أهداف** مسطَّرة **وغايات** واضحة، ولذا استطاع أن ينجز ما لم ينجزه غيره في عمر قصير.

وثمة تطبيقات عملية أخرى لقاعدة **الديمة**، منها على سبيل المثال: أسلوب

(1) نفسه. Bhatia, ***Managing***, p.4.

(2) الغزالي: **إحياء علوم الدين**؛ ج1/ص396.

الدقيقة الواحدة في الإدارة[1]، وخطوات التغيير في علم التغيير[2]... إلخ.

2 قاعدة التسديد والمقاربة:

رويت عن النبي ﷺ أحاديث في فلسفة العمل اليوميِّ، تقوم على أساس قاعدة «**التسديد، والمقاربة**»، ولقد تعدَّدت الصيغ والروايات، أقربها إلى معنى البرمجة قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ فيما رواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنَّ الدِّين يسر، ولن يشادَّ الدين أحد إلَّا غلبه، **فسدِّدوا وقاربوا**، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة»[3]. وفي لفظ: «لن ينجي أحدا منكم عملُه، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلَّا أن يتغمَّدني الله برحمة. **سدِّدوا وقاربوا**، واغدوا وروِّحوا، وشيء من الدلجة، والقصد القصد تبلغوا»[4].

ومعنى سدِّدوا: «قوِّموا، من سدَّده تسديدا قوَّمه، وقيل من السداد في الأمر وهو الصواب من غير إفراط وتفريط، أي فوسِّطوا في الأمور بلا زيادة ولا نقصان»[5].

وقاربوا: «أي إلى السداد، ولا يبعد أن يقال قاربوا إلى الله ورحمته بذلك

---

(1) يبرز مدير نموذج الدقيقة الواحدة باستخدام عبارة: «لا تعمل بجهد أكبر بل بذكاء أكبر»، وهو مدخل للتخطيط والتفويض، من خلال توفير دقيقة للتركيز في اليوم. عثمان، فاروق السيد: **سيكولوجية إدارة الوقت، وبناء مهارات التفكير الاستراتيجي**؛ دار المعارف، بيروت؛ 1995م. ص35-40.

(2) Bailleux, Jean-Marc et Cardon, Alain, ***Pour Changer! Repères pour agir dans un environnement incertain***, Ed. d'organisation, Paris, 1998.

(3) رواه **البخاري؛ كتاب الإيمان، باب الدين يسر**؛ ج1/ص23، رقم 39؛ بسند: «حدثنا عبد السلام بن مطهر قال حدثنا عمر بن علي عن معن بن محمد الغفاري عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:...». ورواه **ابن حبان في صحيحه**، ج2/ص63، رقم 351.

(4) رواه **البخاري؛ كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل**؛ ج5/ص2373، رقم 6098؛ بسند: «حدثنا آدم حدثنا بن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ: ... »

(5) الخادمي: **بريقة محمودية**؛ ج1/ص131. الصنعاني، أحمد بن قاسم العنسي (ت. 1182هـ/1768م): **التاج المذهب في أحكام المذهب**؛ (الأصلية: مكتبة اليمن)؛ طبعة جامع الفقه، شركة حرف، الإمارات العربية المتحدة؛ 1999م؛ ج1/ص409.

التسديد، فهو من قبيل عطف المعلول على العلَّة»[1]. وقال الصنعاني: «قاربوا أي لا تبلغوا النهاية في الأعمال دفعة، بل تقرَّبوا منها شيئا فشيئا لئلا تملُّوا»[2].

«والغدوة أوَّل النهار، والروحة آخره، والدلجة آخر الليل» والمراد من الحديث «العمل وقت النشاط والفراغ، كما أنَّ المسافر يسير في هذه الأوقات لليسر»[3]. وقيل المعنى اعملوا «آناء الليل وأطراف النهار، واستريحوا سائر الأوقات»[4].

وهذه القاعدة ترتبط بالبرمجة اليومية ارتباطا وثيقا، بل في الأحاديث تصريح بأنَّها تخصُّ برمجة العمل اليوميَّ للمسلم، ومما يؤخذ منها:

- **الحرص على الأكثر سدادا من الأعمال وعلى الأقوم**، وفي هذه الخطوة بالذات يفرِّق علماء الإدارة بين الكفاءة (***efficiency***) والفعالية (***effectiveness***)، فالكفاءة تعني «عمل الأشياء بطريقة صحيحة»، أمَّا الفعالية فتعني «عمل الأشياء الصحيحة بطريقة صحيحة». والفعالية بالتالي لا تنصرف إلى سرعة تنفيذ المهامِّ وحدها، بل إلى التركيز على ما يجب أن يفعله المدير[5]. وأمر الرسول ﷺ بأن يسدِّد العامل ويقارب، هو أمر له بأن يكون **فعَّالا**، ويركِّز على ما يجب أن يعمله، سواء في ذلك الأمور الدينية أم الدنيوية. والمؤكَّد أنَّ المؤلَّفات الإسلامية لم تطوِّر هذه النصوص لتصل بها إلى مستوى التطبيقات الميدانية اليومية، والمناحي التربوية الشاملة.
- **أن يصوِّب العامل جهده نحو هدف واضح**، وهذا المعنى يفيده لفظ التسديد، فسدَّد نحو الشيء معناه صوَّب طاقته إلى هدف معيَّن.
- **أن يقسِّم المبرمج مهامَّه إلى أجزاء**، ليصل إلى الهدف النهائيِّ، ولا يسعى

(1) الخادمي: **نفسه**.

(2) الصنعاني: **نفسه**.

(3) المقدسي: **الآداب الشرعية**؛ ج2/ص95.

(4) الخادمي: **بريقة محمودية**؛ ج1/ص131.

(5) أبو شيخة: **إدارة الوقت**؛ ص26.

لبلوغها طفرة. وذلك من معاني قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وقاربوا». ويُنصح في علم إدارة الوقت بأن تقسَّم «الأعمال المعقَّدة الطويلة المدى إلى أهداف يومية، وأسبوعية، قصيرة المدى، ومعرَّفة بشكل صحيح. إنَّ الأهداف قصيرة المدى تجعل من تلك الطويلة المدى تبدو نفسيا أكثر واقعية»[1]. وفي الحديث عن مخاطر التوقُّعات الكبيرة، يقول أحد مديري الشركات الكبرى بأمريكا: «واقعيا، كلُّ المديرين يدركون أنَّه من المستحيل إنجاز كلِّ شيء في يوم عمل واحد. لسوء الحظ معظم المديرين غير واقعيين؛ فهم يبدؤون اليوم بقائمة فيها ألف ألف مهمَّة، فإذا أنجزوا نصف ذلك العدد فإنَّهم يشعرون مع نهاية اليوم بالإحباط والإرهاق... المديرون الذين يستخدمون وقتهم جيدا، من جهة أخرى، يفهمون أنَّهم بكلِّ بساطة لا يستطيعون القيام بكلِّ هذه المهامِّ في يوم واحد. فهم يجعلون توقُّعاتهم واقعية، ويحمون أنفسهم وغيرهم من الشعور بالإحباط وضعف المعنويات، وذلك بتركيز أنظارهم على عدد معيَّن من **الأهداف**، وترتيبها حسب **أولوياتها**، ومن ثمَّ التعامل مع واحد منها في كلِّ مرَّة»[2]. فندرك بالتالي أنَّ لتجزئة **الأهداف** تطبيقات عملية في الشركات الغربية، بينما لم تلق في الفكر الإسلاميِّ المعاصر ما تستحقُّه من التطوير والتعميق.

- ومن معاني التقريب كذلك، العمل وفق **غاية، هي إرضاء الله تعالى**، أي «قاربوا إلى الله ورحمته بذلك التسديد».

- من بين أنواع التسديد والمقاربة، **العمل في وقت النشاط، ابتغاءً للكفاءة**، ووقت النشاط هو الغدوة، والروحة، وبعضٌ من الدلجة. ولقد درسنا العلاقة بين **الأولويات والتأجيل**، وتبيَّن لنا أنَّ العمل وفق **الأولويات** يضمن إنجاز الأعمال كبيرة القيمة عندما يكون الإنسان في مستوى من القدرة العالية، ويؤجِّل الأعمال قليلة القيمة إلى الأوقات التي تنخفض

(1) البعلبكي، سمير واللحام، سعيد: **إدارة الوقت وتخفيف التوتر**؛ دار الأصدقاء؛ بيروت؛ ط1: 1418هـ/1997م. ص216.

(2) جيمس: **الوقت، كيف تجعل القليل منه كثيرا**؛ ص342-343.

فيها الكفاءة[1]. والشائع أنَّ غالبيتنا يتعامل «مع أثقل الأعمال عندما تكون طاقتنا وحويتنا في أدنى درجاتها»[2]، أي عكس الاتجاه الصحيح. وقاعدة **التسديد والمقاربة** أصلٌ في هذه العلاقة، التي يتوقَّف عليها النجاح في كثير من الحالات، وإلَّا فإنَّ المبرمج سيقع في دوَّامة القلق ولوم الذات، أو في اللامبالاة وتحطيم الذات. والواضح أنَّه «لكي **تخطِّط** جيِّدا، وتحدِّد **الأولويات**، استخدم أيَّ طرف من طرفي اليوم لتحديد **الأهداف**، بعد ترتيبها حسب أهميتها... وأولئك المديرين الذين لا يرغبون في عمل الصباح الباكر "الغدوة"، ويعملون أفضل في آخر اليوم "الروحة" أو الليل "الدلجة" يمكنهم أن يتأخَّروا، بينما يمكن للآخرين أن يبدؤوا باكرا لتجنُّب أي انقطاع»[3]. والمؤكَّد أنَّ البكر أفضل، وأكثر توافقا مع الفطرة ومع روح الفكر الإسلاميِّ، ثم إنَّ العطاء الإنسانيَّ يصل «إلى قمَّته في الصباح الباكر»[4]. وتسمَّى هذه الظاهرة في مجال الساعة البيولوجية بـ«الدورة اليومية للعمل»[5].

3 قاعدة "فإذا فرغت فانصب":

نزلت سورة الشرح مخاطبة رسول الله ﷺ، ومبيِّنة نعم الله عليه، وفي آخرها أمره تعالى بقوله: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾[الشرح: 7]. وذكر المفسِّرون في معناها أربعة أوجه[6]:

(1) وانظر ـ ليستر: **إدارة الوقت، المرشد الكامل للمديرين**؛ ص25-26.

(2) ماكينزي: **مصيدة الوقت**؛ ص 210.

(3) ميشرا، م. جيتندرا وميسرا، برابهاكرا: **إدارة الوقت: كيف تحقِّق الاستفادة المثلى من وقتك**؛ سلسلة: فن وعلم إدارة الأعمال، تصدر عن الإدارة العامة للبحوث؛ محرر السلسلة: دايل تيمب؛ تر. د. وليد عبد اللطيف هوانة، مر. د. سعود بن محمد النمر؛ معهد الإدارة العامة، السعودية، 1411هـ/1991م؛ ص36-37.

(4) الحمود، زهير محمد: **الوقت والعمل**؛ مجلة **راية مؤتة**؛ ص188، 189.

(5) **نفس المرجع**؛ ص189.

(6) الجصاص: **أحكام القرآن**؛ ج3/ص713. ابن العربي: **أحكام القرآن**؛ ج4/ص358.

- فإذا فرغت من فرضك، فانصب إلى ما رغَّبك تعالى فيه من العمل.
- فإذا فرغت من جهاد أعدائك، فانصب إلى ربِّك في العبادة.
- فإذا فرغت من صلاتك، فانصب إلى ربِّك في الدعاء.
- فإذا فرغت من أمر دنياك، فانصب إلى عبادة ربِّك.

ويقول الجصَّاص: «وهذه المعاني كلُّها محتملة، والوجه حملُ اللفظ عليها كلِّها، فيكون جميعها مرادا، وإن كان خطابا للنبيِّ ﷺ فإنَّ المراد به جميع المكلَّفين»[1].

تمثِّل هذه الآية الكريمة **قاعدة** من أبرز قواعد البرمجة اليوميَّة لدى الرسول ﷺ، ولدى أمَّته بالتبع، ومما يستفاد منها في هذا المجال:

- **تنويع الأعمال والانتقال بين عمل وعمل، حتى لا تملَّ النفس**: ومن طبيعة النفس أنَّها «لِما جُبلت عليه من السآمة والملال، لا تصبر على فنٍّ واحد من الأسباب المعينة على الذكر والفكر، بل إذا رُدَّت إلى نمط أظهرت الملال والاستثقال (...) فمن ضرورة اللطف بها أن تروَّح بالتنقُّل من فنٍّ إلى فنٍّ، ومن نوع إلى نوع، بحسب كلِّ وقت؛ لتغرز بالانتقال لذَّتها، وتعظم باللذَّة رغبتها، **وتدوم بدوام** الرغبة مواظبتها»[2].
- **إعطاء النفس والأهل حقَّهما من الراحة والبسط**: وفي الحديث قال ﷺ: «يا

(1) الجصاص: **نفسه**.

(2) الغزالي: **إحياء علوم الدين**؛ ج1/ص392.

حنظلة ساعة وساعة»[1]. وفي الأثر: «إنَّ ليلك ونهارك لا يستوعبان لجميع حاجاتك، فاقسمهما بين عملك وراحتك»[2]. ويذكر الفقيه المالكي ابن الحاج في **آداب طالب العلم** حكم المزاح وشروطه، فيقول: «فإن أراد أن يستريح، فكيفية النية في ذلك أن ينوي بتلك الاستراحة امتثال السنَّة ... وذلك كلُّه جائز، بشرط أن يكون لا يعارضه مخالفة أمر، ولا ارتكاب نهيٍ؛ لأنَّ النبي ﷺ كان يمزح، ولا يقول إلَّا حقًّا»[3]، وشأنه عَلَيْهِ السَّلَامُ أن «يرى اللعب المباح فلا ينكره»[4].

- وتفيد الفاء في قوله «**فانصب**» ـ التي هي للترتيب والتعقيب ـ نفيَ الوقت المستقطع، أي الوقت الذي لا غرض من ورائه: مثل **التسويف والتأجيل**، فالمسلم دوما في عبادة، والعبادة تفهم بأشمل معانيها، وهذا بعينه مفهوم **الزمن الصبغة**، كما عرضناه في بحوثنا، ففي الكشَّاف في تفسير هذه الآية: لما عدَّد الله تعالى نعمه السالفة على رسوله «ووعده الآنفةَ، بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة والنصب فيها، **وأن يواصل بين بعضها وبعض، ويتابع ويحرص على أن لا يخلِّي وقتا من أوقاته منها، فإذا فرغ من**

(1) رواه **مسلم**؛ **كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر**؛ ج4/ص2107، رقم 2750؛ بسند: «حدثني إسحاق بن منصور أخبرنا عبد الصمد سمعت أبي يحدث حدثنا سعيد الجريري عن أبي عثمان النهدي عن حنظلة...» وتمامه: «قال حنظلة: كنا عند رسول الله ﷺ فوعظنا فذكر النار، قال: ثم جئت إلى البيت فضاحكت الصبيان ولاعبت المرأة. قال: فخرجت فلقيت أبا بكر فذكرت ذلك له فقال: وأنا قد فعلت مثل ما تذكر. فلقينا رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله نافق حنظلة، فقال مه، فحدثته بالحديث. فقال أبو بكر: وأنا قد فعلت مثل ما فعل. فقال: يا حنظلة ساعة وساعة. ولو كانت تكون قلوبكم كما تكون عند الذكر لصافحتكم الملائكة حتى تسلم عليكم في الطرق».

(2) رضا علوي: **كيف تستثمر أوقاتك**؛ ص257.

(3) ابن الحاج: **المدخل**؛ ؛ ج2/ص180. وانظر ـ الجزائري، أبو بكر جابر: **هذا الحبيب يا ربِّ**؛ مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنوَّرة؛ ط4: 1417هـ/1996م؛ ص547.

(4) ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الظاهري (ت. 456هـ/1064م): **جوامع السيرة النبوية**؛ دار الشهاب، باتنة؛ 1407هـ/1987م؛ ص35.

عبادة ذنَّبها بأخرى»[1].

4 قاعدة "الموازنة بين الحقوق":

إنَّ من سلبيات الفكر الغربي في مجال **الأهداف** انعدام «قاعدة صلبة ينطلق منها واضع **الأهداف**، تكون بمثابة موجِّه ومذكِّر، بل إنَّ الانطلاق عادة ما يكون من أرضية هشَّة، أو من فـراغ...»[2]. والمتأمِّل لسيرة الرسول ﷺ يستنتج أنَّه عَلَيْهِ السَّلَامُ **استطاع أن يعطي كلَّ ذي حقٍّ حقَّه**، فكانت حياته بذلك متوازنة لا خلل فيها، وما ذلك إلَّا لأنَّه بنى برنامجه اليوميَّ على أسس وقواعد دقيقة، من أبرزها قاعدة: **الموازنة بين الحقوق**.

فحديث سلمان الفارسي يعالج البرنامج اليومي للصحابي الجليل أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ويربطه **بقاعدة الموازنة التي تلخِّص روح الإسلام، وتبرز نظرة المسلم إلى الحياة وإلى الحضارة ككلٍّ**، وهذا نصُّه:

«آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أمَّ الدرداء متبذِّلة. فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء، ليس له حاجة في الدنيا. فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاما، فقال: كُل، قال: فإني صائم. قال: ما أنا بآكل حتى تأكل. قال: فأكل. فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم، فنام. ثم ذهب يقوم، فقال: نم. فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قم الآن، فصلَّيا، فقال له سلمان: إنَّ لربك عليك حقًّا، ولنفسك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حقًّا، فأعط كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، فأتى النبي ﷺ، فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ: صدق سلمان»[3].

(1) الزمخشري: **الكشاف**؛ ج4/ص772.

(2) انظر أعلاه ـ ص128.

(3) تقدَّم تخريجه، أعلاه ص113.

فالحقوق التي على الإنسان أن يسعى لأدائها خلال اليوم مجملة في:

إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا
وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا
وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا
فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ

ولا يُغفِل هذا الحديث حقَّ المرأة والأهل عموما، شأن بعض المحاولات التراثية التي أغفلتها، ولم تضبط لها مكانا في البرنامج اليومي للمسلم، بل إنَّ الحديث يصدق على الرجال كما يصدق على النساء، والحقوق التي طولب بالوفاء بها أبو الدرداء هي نفسها الحقوق التي على أمِّ الدرداء أن تؤدِّيها، والواجب على المرأة المسلمة أن توازن بين حقِّ الله، وحقِّ النفس، وحقِّ الأهل تماما مثل الرجل المسلم، والمختلف بينهما هو الدور المنوط بها، ونوعية العمل، وترتيب الأولويات. وهذا ما تبينه آيات قرآنية كريمة، وأحاديث شريفة في مختلف المواضيع، مثل: النفقة، وصلاة الجماعة، والجهاد... إلخ.

وتفسِّر جملة من الأحاديث العمل بناء على هذه الحقوق، منها أحاديث

«للمؤمن ثلاث ساعات»[1]، «أربع ساعات»[2]، و«ساعات»[3]... في يومه. وهي في مجملها لا تخرج عن الجدول الآتي:

(1) القرطبي: **الجامع**؛ ج20/ص25. ولم أجده بلفظ «ثلاث» في مصادر الحديث.

(2) البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت.463هـ/1070م): **تاريخ بغداد**؛ دار الكتب العلمية، بيروت؛ د.ت.ن.؛ ج3/ص154، 1186. ونصه: «محمد بن الفضل بن إسحاق أبو بكر حدث عن دعلج بن أحمد قال نبأنا أبو بكر محمد بن الفضل بن إسحاق البغدادي حدثنا أبو موسى محمد بن المثنى حدثنا موسى بن مسعود حدثنا سفيان عن الأعرج عن وهب بن منبه قال: في حكمة عن آل داود **حق على العاقل أن لا يشتغل عن أربع ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يفضي فيها إلى إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه ويصدقونه عن نفسه، وساعة يخلو بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويحمد، فإن هذه الساعة عون على تلك الساعات** كذا قال عن الأعرج عن وهب وروى هذا الحديث غير واحد عن سفيان عن أبي الأغر عن وهب بن منبه». وروي في: ابن حبان، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر (ت.369هـ/979م): **طبقات المحدِّثين بأصبهان**؛ تح. عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي، مؤسسة الرسالة، بيروت؛ 1412هـ/1992م. ج2/ص95، رقم 110.

(3) رواه **ابن حبان في صحيحه**؛ **وصحَّحه**؛ ج2/ص76، رقم 361؛ بسند: «أخبرنا الحسن بن سفيان الشيباني والحسين بن عبد الله القطان بالرقة وابن قتيبة واللفظ للحسن قالوا حدثنا إبراهيم بن هشام بن يحيى بن يحيى بن الغساني قال حدثنا أبي عن جدي عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر قال: دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس وحده، قال: يا أبا ذر، إن للمسجد تحية...» إلى أن يقول: «قلت: يا رسول الله، ما كانت صحيفة إبراهيم؟ قال: كانت أمثالا كلُّها ... **وعلى العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله أن تكون له ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يتفكر فيها في صنع الله، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب**».

	ثلاث ساعات	أربع ساعات	ساعات
ساعة	يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ.	يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ.	يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ.
وساعة	يُحَاسِبُ فيها نَفْسَهُ.	يُحَاسِبُ فِيهَا نَفْسَهُ.	يُحَاسِبُ فِيهَا نَفْسَهُ.
وساعة		يَخْلُو فِيهَا بِأَصْحَابِهِ الَّذِينَ يُخْبِرُونَهُ بِعُيُوبِهِ وَيُحَدِّثُونَهُ عَنْ ذَاتِ نَفْسِهِ.	يَتَفَكَّرُ فِيهَا فِي صُنْعِ اللَّهِ.
وساعة	لِلَذَّةِ نَفْسِهِ فِيمَا يَحِلُّ.	يَخْلُو فِيهَا بِلَذَّاتِهِ فِيمَا يَحِلُّ وَيَجْمُلُ.	يَخْلُو فِيهَا لِحَاجَتِهِ مِنْ الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ.

ولفظ المؤمن في الحديث شامل لكلِّ الأجناس، والأعمار، والمستويات الوظيفية، وغير مختصر على صنف دون آخر، فينبغي أن لا يُفهم فهما أحاديا قاصرا، كما أنَّ صيغة الحديث وترتيبه تفيد **الأولوية في الحقوق**، فمناجاة الله أولى **الأولويات**، وآخرها في السلَّم لذَّة النفس وحاجتها. ولا يسمح بالإضرار بساعة لأنَّها تؤثر لا محالة في الساعات الأخرى.

ومن نفس المنطلق، تضبط الأحاديث ما ينغي أن يشغل المسلمَ العاقلَ في يومه، يقول ﷺ: «على العاقل أن لا يكون ظاعنا إلَّا لثلاث: تزوُّد لمعاد، أو مرمَّة لمعاش، أو لذَّة في غير محرَّم»[1].

(1) ابن حبان، **صحيح**، ج2/ص76، تقدَّم تخريجه وهو نفس حديث «الساعات».
وانظر ـ ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد (ت. 281هـ/894م): **كتاب ذمِّ الملاهي، وكتاب العقل وفضله**؛ تح. السعيد بن بسيوني زغلول، ويسرى عبد الغني عبد الله؛ مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت؛ 1413هـ/1993م؛ ص20-21. بسند: «حدثنا عبد الله، قال: حدثنا علي بن الجعد، أخبرني عمير بن الهيثم الرقاشي، عن سفيان بن سعيد، عن أبي الأغر، عن وهب بن منبه، قال مكتوب في حكمة آل داود:...».

على العاقل أن لا يكون ظاعنا إلَّا لثلاث
تَزَوُّدٍ لِمَعَادٍ
مَرَمَّةٍ لِمَعَاشٍ
لَذَّةٍ فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ

ويفسِّر هذه الأحاديث حديث يبيِّن أنَّ رسول الله كان **يجزِّئ دخوله إلى بيته**، وهو أصل في البرمجة الزمنية، **لولا أنَّه ضعيف**؛ ذلك أنَّ التخطيط المسبق لأقسام الوقت وما يُعمل في كلِّ قسم وارد باللفظ في الحديث، فهو يفيد أنَّ الرسول ﷺ كان يقصد تقسيم وقت الدار إلى ثلاثة أجزاء متناسقة مع الأحاديث السابقة، ولذا فإنَّها تتعاضد، ويمكن ذكر هذا الحديث استئناسا.

ولفظ الحديث: «قال الحسين: سألت أبي عن دخول رسول الله ﷺ، فقال: كان دخوله لنفسه مأذونا له في ذلك، فكان إذا أوى إلى منزله جزَّأ نفسه ثلاثة أجزاء: جزء لله، وجزء لأهله، وجزء لنفسه. ثم جزَّء جزءه بينه وبين الناس، فيردُّ ذلك على العامَّة بالخاصَّة، فلا يدَّخر عنهم شيئا. فكان من سيرته في جزء الأمَّة إيثار أهل الفضل بإذنه، وقسمه على قدر فضلهم في الدين، فمنهم ذو الحاجة،

ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج، فيتشاغل بهم فيما أصلحهم...»[1].

تعتبر **قاعدة الموازنة** من أبرز أصول البرمجة الزمنية في الفكر الإسلاميِّ، **ولا نجد لها مثيلا في النتاج الغربي**، إلَّا في بعض المحاولات المعاصرة التي حاولت تدارك النقص المسجَّل على تعامل الإنسان الغربيِّ مع زمنه، ومع يومه بالذات؛ هذا التعامل الأحاديُّ الجافُّ، الذي أورث الحضارة المعاصرة اضطرابا وقلقا، وضيَّع الحقوق والعلاقات الرئيسة بين بني البشر... ومن هذه المحاولات نذكر:

(1) رواه **الترمذي**، في **شمائل النبي**، حديث رقم 225، ص133 بسند: «حدثنا سفيان بن وكيع، قال: حدثنا جُميع ابن عمر بن عبد الرحمن العجلي، قال حدَّثني رجل من بني تميم من ولد أبي هالة زوج خديجة يكنى أبا عبد الله، عن ابن لأبي هالة، عن الحسن بن علي، قال: سألت خالي...». قال المحقِّق: «**إسناده ضعيف جدا**».

==ورواه: ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري (ت. 230هـ/845م): **الطبقات الكبرى**؛ دار صادر، بيروت، د.ت.ن ج1/ص409، بسند: «أخبرنا يعلى ومحمد ابنا عبيد الطنافسيان وعبيد الله بن موسى العبسي ومحمد بن عبد الله بن الزبير الأسدي عن مجمع بن يحيى الأنصاري عن عبد الله بن عمران عن رجل من الأنصار أنه سأل عليا وهو محتب بحمائل سيفه في مسجد الكوفة عن نعت رسول الله ﷺ وصفته فقال كان رسول الله ﷺ أبيض اللون مشربا حمرة...قال الحسين فسألت أبى عن دخول رسول الله ﷺ قال كان دخوله...».

روي في: **الطبراني**، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب (ت. 360هـ/971م): **معجم الطبراني الكبير**؛ مر. حمدي بن عبد المجيد السلفي؛ مكتبة العلوم والحكم، الموصل؛ 1404هـ/1983م؛ ج22/ص155، رقم 148831. وفي: الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب (ت. 360هـ/971): **الأحاديث الطوال**؛ مر. حمدي بن عبد المجيد السلفي؛ مكتبة العلوم والحكم، الموصل؛ 1404هـ/1983م. (ملحق بالمعجم الكبير) ص245، رقم 192178، بسند: «حدثنا علي بن عبد العزيز ثنا أبو غسان مالك بن إسماعيل النهدي ثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي قال حدثني رجل بمكة عن بن لأبي هالة التميمي عن الحسن بن علي قال: سألت خالي هند بن أبي هالة التميمي وكان وصافا عن حلية النبي ﷺ وأنا، اشتهي أن يصف لي منها شيئا أتعلق به فقال....».

ورواه ابن حبان في **الثقات**، ج2/ص145 بسند: «أخبرنا عمر بن سعيد بن سنان الطائي يخبر **بإسناد ليس له في القلب وقع** ثنا سفيان بن وكيع بن الجراح ثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي أملاه علينا من كتابه ثنا رجل من بنى تميم من ولد أبى هالة زوج خديجة يكنى أبا عبد الله عن بن لأبى هالة عن الحسن بن على قال سألت خالي هند بن أبى هالة وكان وصافا من حديث النبي ﷺ».

طريقة **المجالات الرئيسة** التي اقترحها «كريس لاين»[1]، و**قاعدة الأدوار** عند «كوفي وميريل»[2]، وطريقة **المواقع** لـ«روبنز»[3].

ومن تطبيقات **قاعدة الموازنة** يوصي بعض علماء الإدارة مدراء الشركات، أنَّه «بعد تحليل كيفية قيامنا بتمضية الوقت، يجب أن يكون واضحا مدى **توازن** حياتنا فيما يتعلَّق **بالجوانب المتعدِّدة**، التي تتشكَّل منها حياتنا. هذه الجوانب تتضمَّن العمل، والعائلة، والتنمية الاجتماعية والشخصية، والأهداف الروحية»[4].

ولو أنَّ المسلم المعاصر ـ ذكرا كان أو أنثى، متعلِّما كان أو عالما، محترفا كان أو إداريا ـ عمل على إنزال هذه الحقوق التي ضبطها الرسول ﷺ على برنامجه اليوميِّ، دون تغليب حقٍّ على آخر، وتدرَّب على ذلك في جميع مراحل حياته، إذن لاستقام له برنامج يوميٌّ متوازن، واستقامت حياته بالتبع، فسعد وأسعد؛ وإلَّا فإنَّ الغالب في الإنسان عموما تغليب بعض جوانب الحياة على بعضها الآخر، بل وإقصاء بعضها كلية، وبخاصَّة ما كان اختياره من منطلق المتعة، أو المصلحة الآنية.

5 قاعدة العمل في وقته:

سأل عبد الله بن مسعود رسول الله ﷺ: أيُّ العمل أفضل؟ وفي رواية: أحبُّ إلى الله؟ قال: «الصلاة على وقتها»[5]. فلو أنَّ صلاة أُدِّيت قبل وقتها، أو بعد وقتها

(1) لاين كريس: **التغلب على الوقت لتحقيق الأهداف**؛ ص353. وانظر أعلاه ـ ص198.

(2) كوفي وميريل: **إدارة الأولويات**؛ ص202 وما بعدها. وانظر أعلاه ـ ص199.

(3) روبنز: **أيقظ قواك الخفية**؛ ص341 وما بعدها. وانظر أعلاه ـ ص200.

(4) ميشرا، وميسرا: **إدارة الوقت: كيف تحقِّق الاستفادة المثلى من وقتك**؛ ص34. وانظر في نفس المعنى ـ P. Camusat, ***L'éducation Permanente***, 1996.

(5) رواه **البخاري**؛ **كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها**؛ ج1/ص197، رقم 504؛ بسند: «حدثنا أبو الوليد هشام بن عبد الملك قال حدثنا شعبة قال الوليد بن العيزار أخبرني قال سمعت أبا عمرو الشيباني يقول حدثنا صاحب هذه الدار وأشار إلى دار عبد الله قال سألت النبي ...». وتمام الحديث: «أي العمل أحبُّ إلى الله؟ قال: الصلاة على وقتها. قال: ثم أيُّ؟ قال: ثم برُّ الوالدين. قال: ثم أيُّ؟ قال: الجهاد في سبيل الله. قال حدثني بهن ولو استزدته لزادني».

لَما كانت أفضل الأعمال، بل لعلَّها لا تقبل عند الله تعالى؛ ولا يعقل أن تقتصر هذه القاعدة على الصلاة فقط، **ذلك أنَّ الصلاة في البرنامج اليوميِّ مجال للتدريب والضبط لجميع الأعمال الأخرى**، سواء ما تعلَّق منها بالمعاش أو بالمعاد، وفيها «تعوُّد على النظام، واحترام المواعيد»[1]...

يقول أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «إنَّ لله حقا بالنهار لا يقبله بالليل، ولله في الليل حقا لا يقبله بالنهار»[2]. وليس المهمُّ أن يعمل الإنسان «أيَّ شيء في أيِّ زمن، بل المهمُّ أن يعمل العمل المناسب في الوقت المناسب، ولذلك وقَّت الله الكثير من العبادات والفرائض بمواقيت محدَّدة لا يجوز التقدُّم عليها، ولا التأخُّر عنها، ليعلِّمنا بذلك أنَّ الشيء لا يُقبل قبل أوانه، ولا بعد أوانه»[3].

يذكر غرايبة أنَّ الفكرين الوضعي والإسلامي يتَّفقان «على أنَّ أفضل أسلوب لاستغلال الوقت هو عمل الشيء في وقته»[4]، فإذا كان دليل ذلك في الفكر الإسلامي هو «الصلاة في وقتها»، فإنَّ الفكر الغربي قد طوَّر ما يسمَّى بأسلوب الدقيقة الواحدة في الإدارة[5]،وكذا نظام الوقت المحدَّد (Just in time) في الاقتصاد الياباني، الذي يعتمد على **القلَّة** وعلى **المداومة**، ويسعى لتحقيق الإنتاج الصِّفري: في التلف، والإعداد، والمخزون، والمناولة، والعطلات... إلخ[6].

(1) الخولي: **الأدب النبوي**، ص92-93.

(2) رواه ابن أبي شيبة في **المصنف**؛ ج8/ص44. بسند: «حدثنا وكيع وابن إدريس عن إسماعيل بن أبي خالد عن زبيد بن الحارث عن أبي بكر».

(3) القرضاوي: **الوقت في حياة المسلم**؛ ص21.

(4) غرايبة: **أهمية الوقت**؛ ص52.

(5) يبرز مدير نموذج الدقيقة الواحدة باستخدام عبارة: «لا تعمل بجهد أكبر بل بذكاء أكبر»، وهو مدخل للتخطيط والتفويض، من خلال توفير دقيقة للتركيز في اليوم. عثمان: **سيكولوجية إدارة الوقت**؛ ص35-40.

(6) نجم، عبود نجم: **نظام الوقت المحدَّد** (Just-in-time system)؛ سلسلة بحوث ودراسات، رقم 341؛ المنظَّمة العربية للتنمية الإدارية، القاهرة؛ ط1: 1995م. ص25 وما بعدها.

6 قاعدة الخِلفة:

في الكتاب الحكيم ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورًا﴾[الفرقان: 62]. نقل البخاري عن ابن عباس في تفسير هذه الآية أنَّه «من فاته من الليل عمل أدركه بالنهار، أو فاته بالنهار أدركه بالليل»[1]. وحول هذا المعنى حام المفسِّرون[2]. وزادوا معنى آخر، وهو: «أنَّه جعل كلَّ واحد منهما مخالفا صاحبَه»[3].

هذه القاعدة مستنبطة من القرآن الكريم، ولقد فسَّرها الرسول ﷺ بعمله، ذلك أنَّه: «كان إذا صلَّى صلاة أحبَّ أن يداوم عليها، وكان إذا غلبه نوم أو وجع عن قيام الليل صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة»[4]. وجاء رجل إلى عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين، فاتتني الصلاة؟ فقال: «أبدل ما فاتك من ليلك في نهارك، فإنَّ الله ﴿جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورًا﴾»[5]. وفسِّرت كذلك بمن فاته حزبه من القرآن الكريم، فقد روي مرفوعا إلى رسول الله ﷺ حديث: «من نام عن حزبه، أو عن شيء منه، فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر

(1) رواه **البخاري**؛ **كتاب تفسير القرآن، باب تفسير سورة الفرقان**؛ ج4/ص1783؛ رقم 4481.

(2) الطبري: **تفسير**؛ ج19/ص30-31. القرطبي: **الجامع**؛ ج13/ص65-66. ابن كثير: **تفسير**؛ ج3/ ص399.

(3) الطبري: **نفس المرجع**؛ ج19/ص31. وانظر ـ أبو السعود: **تفسير أبي السعود**؛ ج6/ص228.

(4) رواه **مسلم**؛ **كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض**؛ ج1/ ص513، رقم 74؛ بسند: «حدثنا محمد بن المثنى العنز حدثنا محمد بن أبي عدي عن سعيد عن قتادة عن زرارة أنَّ سعد بن هشام بن عامر أراد...».

(5) الجصاص: **أحكام القرآن**؛ ج3/ص504. بسند: «روى شمر بن عطية، عن ابن سلمة قال: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب...».

كُتب له كأنَّما قرأه من الليل»[1].

ولقد جعل الله تعالى **قاعدة الخلفة** ـ رحمة منه بعباده ـ مانعة من القنوط في العمل، وضامنة للحركية بين الليل والنهار في البرنامج اليوميِّ للمسلم، مَن عمل وفقها لم يفته خير بليل إلَّا واستدركه بنهار، ولم يفته خير بنهار إلَّا واستدركه بليل. والجمع بين الذكر والشكر في الآية دليل على أنَّها عامَّة في جميع أعمال البرِّ، وليست مقتصرة على الصلاة.

ولا يفهم من هذا أنَّه تشجيعٌ على **التسويف والتأجيل**، ذلك أنَّ المخاطب بها مطالب باتخاذ السبب؛ والقصدُ والنية شرط في قبول العمل، ثم إنَّ صاحبه لا يتخذه عادة بل ضرورة، إمَّا لمرض، أو نوم، أو لأيِّ سبب آخر مانع من الإتيان بالصلاة أو التلاوة وباقي أعمال البرِّ في وقتها. وإلَّا فإنَّ أفضل الأعمال ما كان **في وقته**.

(1) **رواه مسلم؛ كتاب صلاة المسافرين، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض**؛ ج1/ص515، رقم 747؛ بسند: «حدثنا هارون بن معروف حدثنا عبد الله بن وهب ح و حدثني أبو الطاهر وحرملة قالا أخبرنا ابن وهب عن يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن السائب بن يزيد وعبيد الله بن عبد الله أخبراه عن عبد الرحمن بن عبد القاري قال سمعت عمر ابن الخطاب يقول: قال رسول الله ﷺ...» **ورواه الترمذي؛ كتاب الجمعة، باب ما ذكر فيمن فاته حزبه من الليل فقضاه بالنهار**؛ ج2/ص474، رقم 530؛ بسند: «حدثنا قتيبة حدثنا أبو صفوان عن يونس بن يزيد عن ابن شهاب الزهري أن السائب بن يزيد وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أخبراه عن عبد الرحمن بن عبد القاري قال سمعت عمر بن الخطاب يقول قال رسول الله ﷺ...» قال أبو عيسى: «**هذا حديث حسن صحيح**».

• ثانيا • مدخل للبرنامج اليومي للرسول ﷺ

في بحث تفريعيٍّ، يستطيع الباحث أن يعتمد **القواعد** التي ضبطناها من خلال السنَّة النبوية الصحيحة، ليبنيَ برنامجا يوميًّا للرسول ﷺ، يراعي فيه جميع الحالات، وجميع الاحتمالات. ومثل هذا العمل العلميِّ، يحتاج إلى تتبُّع نصوص السنَّة نصًّا نصًّا، والاستفادة من أيِّ جزئية ممكنة، للاستدلال على أنَّ عملا ما كان في وقت ما من اليوم... وهذا ما يمكن أن نسمِّيه **بالتأريخ اليومي للسيرة النبوية، أو فقه البرمجة اليومية.**

وغنيٌّ عن البيان أنَّ البحث التأصيليَّ ليس من أهدافه استيفاء الفروع، بل تبيين المنهج والأصول العامَّة، ولذا سيقتصر على ما يتوصَّل إليه من أعمال في بحر اليوم كنماذج، ليترك الاستقراء العامَّ للنصوص الحديثية في أعمال أخرى. وأوَّل اليوم وقت المغربِ، وأوَّل أعماله صلاة المغرب.

الفترة الأولى: بين المغرب والعشاء

■ **صلاة المغرب جماعة في وقتها:**

روى العباس بن عبد المطلب، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال أمَّتي على **الفطرة ما لم يؤخِّروا المغرب** حتى تشتبك النجوم...»[1]. وقد تقدَّم أنَّ أحبَّ الأعمال إلى الله تعالى: «الصلاة في وقتها»، و**العمل في وقته** من قواعد البرمجة اليومية عند الرسول ﷺ. كما أنَّ وقت المغرب مضيَّق، يقول الإمام النووي: «وأمَّا المغرب فتعجيلها في أوَّل وقتها أفضل بالإجماع»[2]. وهذا العمل يعلِّم ضبط الوقت، واحترام المواعيد، ويُسهم في تقسيم اليوم إلى محطَّات زمنية ترفع

(1) رواه ابن **خزيمة في صحيحه؛ وصحَّحه**؛ ج1/ص175، رقم 340. بسند: «أخبرنا أبو طاهر نا أبو بكر نا أبو زرعة نا إبراهيم بن موسى نا عباد بن العوام عن عمر بن إبراهيم عن قتادة عن الحسن عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب عن النبي ﷺ قال: «لا يزال...».

(2) النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف (ت. 676هـ/1277م): **المجموع شرح المهذَّب**؛ (الأصلية: المطبعة المنيرية) طبعة جامع الفقه، شركة حرف، الإمارات العربية المتحدة؛ 1999م؛ ج3/ ص54.

الرتابة عن البرنامج اليوميِّ، وتعطيه الديناميكية والحركية.

كما أنَّ الصلاة في المسجد، لا في الدار، كفيلة بلمِّ شتات المسلمين، وتوحيد مواقفهم ووجهات نظرهم، ودفعهم للاهتمام بشؤون بعضهم، ومعرفة مشاكل إخوانهم ليسهموا في حلِّها.. وما إلى ذلك من فوائد جمَّة يجنيها المسلم من خلال حرصه على الصلاة في وقتها، و«إذا كانت الحياة تفرِّق الناس، فإنَّ المسجد يجمعهم، ويمزجهم، إنَّها مدرسة **يومية** للتآلف والمساواة والوحدة ومشاعر الودِّ»[1]، وهي مدرسة زمنية لمن حافظ عليها وأقامها في وقتها.

■ **النافلة بعد المغرب:**

من عادة الرسول ﷺ أن يذهب إلى داره ويصلِّي النافلة بها، وهي على الأرجح ركعتان بعد المغرب، وقد **داوم** عليها، كما تشير مجمل الأحاديث، ففي حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: «حفظت من النبي ﷺ عشر ركعات: ركعتين قبل الظهر، وركعتين بعدها، **وركعتين بعد المغرب في بيته...**»[2].

وقد دلَّ الحديث على أنَّ بعض الصحابة أرادوا أن يتنفَّلوا في المسجد، فأمرهم الرسول ﷺ بالنافلة في منازلهم، ونصُّه: «صلَّى النبي ﷺ صلاة المغرب في مسجد بني عبد الأشهل، فلمَّا صلَّى قام ناس يتنفَّلون، فقال النبي ﷺ: عليكم بهذه الصلاة في البيوت»[3].

(1) بيجوفيتش: **الإسلام بين الشرق والغرب**؛ ص295.

(2) رواه **البخاري**؛ **كتاب الجمعة، باب الركعتين قبل الظهر**؛ ج1/ص395، رقم1126؛ بسند: «حدثنا سليمان بن حرب قال حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن نافع عن بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال حفظت...». ولحديث: «أخبرنا أحمد بن علي بن المثنى قال حدثنا محمد بن يحيى الزماني قال حدثنا سلم بن قتيبة قال حدثنا بن أبي ذئب عن نافع عن بن عمر قال: كان النبي ﷺ **لا يصلي الركعتين بعد المغرب والركعتين بعد الجمعة إلا في بيته**». رواه **ابن حبان**، ج6/ص235، رقم 2487. **وصححه**.

(3) رواه **ابن خزيمة، في صحيحه، وصححه**؛ ج2/ص210، رقم 1201؛ بسند: «حدثنا بندار نا إبراهيم بن أبي الوزير حدثنا محمد بن موسى الفطري عن سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة عن أبيه عن جده قال:...». وقال ابن خزيمة: «الأمر بذلك أمر استحباب لا أمر إيجاب، إذ صلاة النوافل في البيوت أفضل من النوافل في المساجد».

ومن الناحية الزمنية، تعتبر الصلاة في الدار نوعا من تدريب الأهل والأولاد، والحرص على تربيتهم، ومجاورتهم في هذا الوقت، وفيه وفاءٌ **بحقِّهم** بالإضافة إلى **حقِّ الله تعالى**، وبخاصَّة من كان له صِبيان ينتظرون منه أن يعطيهم قسطا من وقته، للمراقبة أو التعليم، والغالب أنَّهم ينامون مبكِّرا، فلا يلحقهم بعد العشاء.

بل إنَّ عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا سئلت في حديث عن تطوُّع الرسول ﷺ، فقالت: «كان يصلِّي في بيتي قبل الظهر أربعا، ثم يخرج فيصلِّي بالناس، ثم يدخل فيصلِّي ركعتين، وكان يصلِّي بالناس المغرب، ثم يدخل فيصلِّي ركعتين»[1] والمتأمِّل في ألفاظ الحديث يستفيد صيغة **الدوام** من قولها: «كان يصلِّي..»، كما يلاحظ نوعا من الإشباع النفسي لدى عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، والافتخار **والراحة** بهذا الفعل من رسول الله عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، ويستنتج هذا من نسبة البيت إليها: «كان يصلِّي في **بيتي**». وقد تقدَّم أنَّ الصلاة نوع من الترويح[2]؛ لأنَّها تحقِّق الخصائص الأساسية **للترويح**، وهي: التحرُّر من الالتزامات، والإشباع النفسيُّ، والإسهام في تحقيق التكامل الشخصيِّ...

كما أنَّ عمل **المرأة** في هذا الوقت يمكن تحديده من خلال الحديث، فهي إمَّا في صلاتها مع زوجها، أو في شغل آخر، ولكنَّها في **بيتها** كما في حديث عائشة. ولكن «للأسف، أغلب الأزواج يغدُون إلى بيوتهم متعبين، ولا يبحثون إلَّا عن الهدوء والسكون، ويفوتهم أنَّ بداخلها من ينتظر بشوق، بعض الاهتمام والعناية»[3]. وبعض الأزواج، من جهة أخرى، يأوون إلى بيوتهم فيجدونها قفرا خلاء، ليس بها زوجة ولا أولاد؛ لأنَّ الزوجة في وظيفها، والبنين ـ بالتبع ـ إمَّا عند الحاضنة، أو شغِلوا عن الدار لغاية دخول الوالدين في آخر اليوم.

(1) رواه **مسلم**؛ **كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جواز النافلة قائما وقاعدا**؛ ج1/ص504، رقم730؛ وسنده: «حدثنا يحيى بن يحيى أخبرنا هشيم عن خالد عن عبد الله بن شقيق قال سألت عائشة عن صلاة رسول الله ﷺ عن تطوعه فقالت:...».

(2) انظر أعلاه ـ ص99 وما بعدها.

(3) Camusat, p.56.

■ **المكث في المسجد وانتظار الصلاة:**

قال ﷺ: «ألا أدلُّكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط»[1]. وفي البقاء في المسجد بين صلاة وصلاة نوع من **الراحة النفسية**، وإعطاء الفرصة للقلب أن يتذكَّر ويتفكَّر، وإيجاد وقت لتلاوة القرآن الكريم، وبخاصَّة لمن كان يومه عامرا بالمشاغل والأتعاب النفسية والجسدية. ولم يأت الأمر من الرسول عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بوجوب هذا الرباط، وإنما هو زيادة أجر.

وما دامت صلاة النافلة في الدار غير واجبة، فإنَّها وإن **داوم** عليها صاحبها، لا ينفي أن يصلِّيها في المسجد أحيانا، ولا التزام في هذا، بل تؤدَّى حسب الإحساس بالارتياح والحاجة النفسية والاجتماعية...

■ **الذكر والدعاء:**

قال الرسول ﷺ: «إذا صلَّيت المغرب فقل قبل أن تكلِّم أحدا: اللهمَّ أجرني من النار سبع مرَّات، فإنَّك إن متَّ من ليلتك تلك كتب الله لك جوازا من النار»[2]؛ وثمة أذكار أخرى يمكن أن يقولها الإنسان، دلَّ على فضلها القرآن الكريم والسنَّة الصحيحة، مثل التسبيح، والاستغفار، والباقيات الصالحات...

والذكر يدخل في نوع **الأزمنة الصبغة**، التي تُبقي المسلم موصولا بربِّه في جميع الأوقات، غير غافل عنه في ليل ولا نهار، وهو من **الأعمال المستغرقة لبحر اليوم، وغير المؤقَّتة**. إلَّا أنَّ بعض المحاولات ـ مثل محاولة العامليِّ ـ

(1) رواه **الربيع؛ باب في فضائل الوضوء**؛ ج1/ص55، رقم 98. ورواه **ابن خزيمة وصحَّحه**، ج1/ ص5، رقم 6. ورواه **مسلم؛ كتاب الطهارة، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره**؛ ج1/ص219، رقم 251؛ بسند: ««حدثنا يحيى بن أيوب وقتيبة وابن حجر جميعا عن إسماعيل بن جعفر قال ابن أيوب حدثنا إسماعيل أخبرني العلاء عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:...».

(2) رواه **ابن حبان، وصححه**؛ ج5/ص366، رقم 2022؛ بسند: «أخبرنا أبو يعلى قال حدثنا داود بن رشيد قال حدثنا الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن حسان الكناني عن مسلم بن الحارث بن مسلم التميمي عن أبيه قال بعثنا رسول الله...».

جعلت منه أصلا، ورتَّبت أذكارا طويلة تشغل حيزا من الوقت غير قليل، وكأنَّها صارت جزءا غير يسير من يوم المسلم، في غياب أعمال أخرى أكثر أهمية من وجهة نظر الإسلام، وفي هذا إخلال بسلَّم **الأولويات**.

■ **مجالس العلم:**

في حديث رواه أحمد وابن ماجه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من دخل مسجدنا هذا ليتعلَّم خيرا، أو ليعلِّمه، كان كالمجاهد في سبيل الله، ومن دخل لغير ذلك كان كالناظر إلى ما ليس له»[1]. وقال الشوكاني: «في الحديث الإرشاد إلى أنَّ تعلُّم العلم وتعليمه في المسجد أفضل من سائر الأمكنة»[2].

وقد نبَّه كلٌّ من ابن العربي، والشنتوت، والخالديِّ في مقترحاتهم إلى أنَّ المسلم «يصلِّي المغرب، ويمكث في المسجد، لتلاوة القرآن، أو تذاكر العلم إلى العِشاء».

ومهما فُتحت من معاهد وجامعات، فإنَّ حلقات الذكر والعلم في المساجد ينبغي أن لا تنقطع؛ لأنَّها تعمل على تعميم العلم، وعلى تفقيه الناس، وتعليمهم أمور دينهم، ولو لم يكونوا من الطلبة والعلماء.

■ **إطعام الطعام والاشتغال بأمر الأمة:**

وظيفة الرسول ﷺ هي فوق العبادة المجرَّدة، فقد كان نِعم المسؤول والأب الرحيم على أمَّته، وعلى صحابته، ولذا فإنَّه لم يقصُر نفسه فيما بين المغرب والعشاء على نوع واحد من الأعمال، كما نطالع في بعض المراجع، وكما يتوهَّم من لم يتتبَّع سنَّته الصحيحة بدقَّة، فنجده ﷺ قد جمع بين أنواع البرِّ في **إيقاع** عجيب، وطبَّق قاعدة «**فإذا فرغت فانصب**» بإحكام[3]؛ ومما فعله في هذا الوقت

(1) قال الشوكاني: الحديث إسناده هكذا: «حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا حاتم بن إسماعيل عن حميد بن صخر عن المقبري عن أبي هريرة فذكره، وحاتم بن إسماعيل قد وثقه ابن سعد وهو صدوق كان يهم، وبقية الإسناد ثقات» الشوكاني: **نيل الأوطار**؛ ج2/ص182 وما بعدها.

(2) **نفسه**.

(3) انظر القاعدة أعلاه ـ ص190.

فيما رواه ابن قيس بن طغفة الغفاري عن أبيه قال: «أتانا رسول الله ﷺ ونحن في الصفَّة بعد المغرب، فقال: يا فلان، انطلق مع فلان. ويا فلان، انطلق مع فلان. حتى بعث خمسة أنا خامسهم. فقال: قوموا معي، ففعلنا، فدخلنا على عائشة وذلك قبل أن ينزل الحجاب، فقال: يا عائشة أطعمينا، فقربت جشيشة[1]، ثم قال: يا عائشة أطعمينا، فقربت حيسا[2]. ثم قال: يا عائشة، أسقينا، فجاءت بعس[3] فشرب...»[4].

ومن هنا نفهم أنَّه عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يكن يرى أنَّ الصلاة أو الذكر أو أيَّ نوع آخر من الأعمال أفضل في أيِّ وقت من الأوقات، ما لم يكن فرضا، بل **الأفضل هو ما يعمُّ نفعه، ويتعدَّى**[5]. فإذا ما تعارض في هذا الوقت الاعتكافُ في المسجد مع نفع العباد، أو أداء حقٍّ من حقوق الناس، أو الأرحام، كان هذا الحقُّ أولى، وهذا من تمام **تطبيق فقه الأولويات على البرنامج اليوميِّ**، وفي الحديث المرويِّ عن ابن عمر أنَّ رجلا جاء إلى النبي ﷺ: فقال: «يا رسول الله، أيُّ الناس أحبُّ إلى الله؟ وأيُّ الأعمال أحبُّ إلى الله؟ فقال رسول الله ﷺ: أحبُّ الناس إلى الله

(1) في **لسان العرب**: «**الجَشِيشة**: ما جُش من الحب (...) **الجَشِيشُ**: الحبّ حين يُدقّ قبل أن يُطْبخ، فإذا طُبِخ فهو جَشِيشَة (...) قال شمر: الجَشِيشُ أَن تُطْحَن الحِنْطةُ طَحْنًا جَلِيلًا، ثم تُنْصَب به القِدْر، ويُلْقى عليها لَحْم أَو تَمْر فيُطْبخ، فهذا الجشيش، ويقال لها دَشِيشة» ج6/ص273.

(2) في **لسان العرب**: «**الحَيْس**: الخلط، ومنه سمي الحَيْسُ. و الحَيسُ: الأَقِطُ يخلط بالتمر والسمن، وحاسَه يَحِيسُه حَيسًا؛ قال الراجز: التَّمْرُ والسَّمْنُ مَعًا ثم الأَقِطْ الحَيْسُ، إِلا أَنَّه لم يَخْتَلِطْ. وفي الحديث: أَنه أَوْلَم على بعض نسائه بَحَيْسٍ؛ قال: هو الطعام المتخذ من التمر والأقط والسمن، وقد يجعل عوض الأَقط الدقيق والفَتِيتُ». ج6/ص61.

(3) في **لسان العرب**: «**العُسُّ**: القدح الضخم، وقيل: هو أَكبر من الغُمَرِ، وهو إِلى الطول، يروي الثلاثة والأَربعة والعِدَّة، والرِّفْد أَكبر منه، والجمع عِساس و عِسَسَة» ج6/ص140.

(4) رواه **ابن حبان وصححه**؛ ج12/ص358، رقم 5550؛ بسند: ««أخبرنا بن سلم قال حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم قال حدثنا الوليد قال حدثنا الأوزاعي قال حدثني يحيى بن أبى كثير عن بن قيس بن طغفة الغفاري عن أبيه قال...» ورواه **الحاكم في المستدرك**، ج4/ص301، رقم 7708؛ وقال: «مختلف في إسناده».

(5) هذه إحدى القواعد الأساسية في فقه الألويات، وانظر ـ القرضاوي: **في فقه الأولويات**؛ ص107 وما بعدها.

تعالى أنفعهم للناس، وأحبُّ الأعمال إلى الله تعالى سرور تُدخله على مسلم، أو تكشف عنه كُربة، أو تقضي عنه دينا، أو تطرد عنه جوعا، ولأن أمشي مع أخي في حاجة أحبُّ إليَّ من أن أعتكف في هذا المسجد، يعني مسجد المدينة، شهرا ... ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يتهيأ له أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام»[1].

ويختصر الشاطبي هذا المعنى بقوله: «إنَّ كلَّ مطلوب هو من جملة ما يتعبَّد به إلى الله تعالى، ويتقرَّب به إليه. فالعبادات المحضة ظاهر فيها ذلك، والعادات كلُّها إذا قصد بها امتثال أمر الله عبادات...»[2].

وفي «مصفوفة إدارة الوقت» نتبين أنَّ الكتَّاب يقسِّمون وقت العامل حسب **الطوارئ والأولويات** إلى أربع خانات، وهي:

(1) رواه **الطبراني في الكبير**، بسند **حسن**: «حدثنا محمد بن عبد الرحيم الشافعي الحمصي ثنا القاسم بن هاشم السمسار ثنا عبد الرحمن بن قيس الضبي ثنا سكين بن سراج ثنا عمرو بن دينار عن بن عمر أنَّ رجلا...». **الطبراني**، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب (ت. 360هـ/971م): **معجم الطبراني الكبير**؛ مر. حمدي بن عبدالمجيد السلفي؛ مكتبة العلوم والحكم، الموصل؛ 1404هـ/1983م.

(2) الشاطبي: **الاعتصام**؛ ج1/ص248.

هامٌّ، وعاجل	**هامٌّ، غير عاجل**
غير هامٍّ، وعاجل	غير هامٍّ، وغير عاجل

تنبِّه المراجع الغربية إلى ضرورة الاهتمام بالمربَّع الثاني: (هامٌّ، وغير عاجل)؛ لأنَّه يمثِّل **مربَّع الكفاءة، والقيادة الذاتية**، وهو الذي يحدِّد الفرق بين الناجح وغير الناجح، ويأخذ عادة أقلَّ وقت ممكن، وهو مع ذلك يوفِّر أهمَّ الأعمال الممكنة والنتائج المرجوَّة، ومنها: تقوية النفس، ومنع حدوث مشكلات متوقَّعة، واستجلاء قيم هامَّة في حياتنا، وتخطيط المستقبل، وبناء علاقات صحية، وترقية الذات وتنميتها...

فواضح أنَّ ما بين المغرب والعِشاء سواء أكان للصلاة في الدار أم في المسجد، أو كان لحضور مجالس العلم، أو لإطعام الطعام، أو لغيرها من أعمال البرِّ، فإنَّه **يعطي قوَّة الدفع للمربَّع الثاني**، ويُسهم في تطوير **الكفاءة**، من منظور إسلاميٍّ أصيل. بينما هذا الوقت يكاد يكون غائبا في البرنامج الغربيِّ، أو هو للرياضة

وتحقيق الإشباع النفسي فقط، وكثيرا ما كان مساحة لمواصلة العمل اليوميِّ[1]. ابتغاء المكافأة والشهرة.

■ **العَشاء:**

في الحديث أنَّ النبي ﷺ في المزدلفة: «أمر رجلا فأذَّن وأقام، ثم صلَّى المغرب، وصلَّى بعدها ركعتين، ثم دعا بعَشائه فتعشَّى»[2].

وروى أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنَّه قال: «إذا حضر العِشاء، وأقيمت الصلاة، فابدؤوا بالعَشاء»[3]. وفي رواية يقدَّم العَشاء حتى على صلاة المغرب، قال ﷺ: «إذا قدم العَشاء فابدؤوا به قبل أن تصلُّوا صلاة المغرب، ولا تعجِّلوا عن

(1) وفقا لبحث أجرته «لينك ريسورسنر» وهي مؤسَّسة بحوث متخصص في ميزانية الوقت، فإنَّ «23 بالمائة من إجمالي القوى العاملة بالولايات المتحدة كانت تمارس أعمالها في المنزل، في عام 1989، وهذا يشمل ستة وعشرين مليونا من البشر، وهم أصحاب عمل، أو موظفين مقابل أجر يعملون في منازلهم، أو يعملون عملا حرًّا خارج شركتهم، أو أعمالا بعقود، أو ممن يعملون أعمالا حرَّة. وقد ازداد عدد العاملين في المنازل بحوالي سبعة بالمائة سنويا خلال الجزء الأخير من ذلك العقد، وتعود أسباب الزيادة إلى الازدهار الاقتصادي في الثمانينيات، وإلى التوسع الكبير في استخدام الأجهزة الإلكترونية، مثل أجهزة الكمبيوتر، والفاكسميلي، الذي جعل العمل في المنزل خيارا عمليا. فالسؤال الذي لم تتم الإجابة عليه بعد هو: هل الدمج ما بين العمل المكتبي والعمل في المنزل يزيد ضغوط الوقت أم يقلِّصها؟» تقرير تطوير الإدارة، خريف عام 1989، ص5. نقلا عن ليستر: **إدار الوقت**؛ ص28. والسؤال الذي يحير الباحث هو: أين يقضي المسلم المعاصر وقته، في غياب البرمجة الإسلامية والغربية ، من حياته اليومية؟

(2) رواه **البخاري**؛ **كتاب الحج، باب من أقام لكلِّ واحدة منهما**؛ ج2/ص602، رقم 1591؛ بسند: «حدثنا عمرو بن خالد حدثنا زهير حدثنا أبو إسحاق قال سمعت عبد الرحمن بن يزيد يقول حج عبد الله رضي الله تعالى...».

(3) رواه **الربيع**؛ **باب في السهو في الصلاة**؛ ج1/ص106، رقم 249. ورواه **مسلم**؛ **كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب كراهة الصلاة بحضرة الطعام**؛ واللفظ له، ج1/ص392، رقم 557؛ بسند: «أخبرني عمرو الناقد وزهير بن حرب وأبو بكر بن أبي شيبة قالوا حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ...».

عشائكم»[1]. وفي السفر كذلك كان ﷺ يقدِّم العَشاء على العِشاء: فقد «كان عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا سافر سار بعدما تغرب الشمس حتى تكاد أن تظلم، ثم ينزل فيصلِّي المغرب، ثم يدعو بعَشائه فيتعشَّى، ثم يصلِّي العِشاء، ثم يرتحل ويقول: هكذا كان رسول الله ﷺ يصنع»[2].

ففي **العَشاء** تحقيق لحقِّ النفس، وترويح عن الذات، وإعداد لمراحل من العمل، وانتقال من عمل إلى عمل آخر... وغير ذلك ممَّا هو أصل في البرنامج اليوميِّ من منظور إسلاميٍّ.

ويذكر صاحب «العقد الفريد» أنَّ أجود أوقات الطعام «الأوقات الباردة، لجمعها الحرارة في باطن البدن، وأمَّا الأوقات الحارَّة فينبغي أن يجتنب أخذ الطعام فيها (...) فلذلك كانت القدماء تفضِّل العَشاء على الغداء»[3]. ويستدرك أنَّ «للعادة في هذا حظٌّ عظيم»[4]. ولعلَّ هذا ما يفسِّر كون وجبة العَشاء أكثر حضورا من وجبة الغَداء في العهد النبويِّ[5].

(1) رواه **البخاري**؛ **كتاب الأذان، باب إذا حضر الطعام وأقيمت الصلاة**؛ ج1/ص238، رقم 642؛ بسند: «حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا الليث عن عقيل عن بن شهاب عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال:...».

(2) رواه **أبو داود في سننه**؛ **كتاب الصلاة، باب متى يتم المسافر**؛ ورواته وثقهم الذهبي وابن حبان وغيرهما؛ وقال الألباني: «**حديث صحيح**»، .بسند: «حدثنا عثمان بن أبي شيبة وابن المثنى وهذا لفظ بن المثنى قالا ثنا أبو أسامة قال بن المثنى قال أخبرني عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده أن عليا...». أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت. 275هـ/888م): **سنن أبي داود**؛ مر. محمد محيي الدين عبد الحميد؛ دار الفكر، بيروت؛ ج2/ ص10، رقم 1234.

(3) ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي (ت. 327هـ/940م): **كتاب العقد الفريد**؛ تح. أحمد أمين، وأحمد الزين، وإبراهيم الأبياري؛ دار الكتاب العربي، بيروت؛ ط3: 1384هـ/1965م؛ ج6/ص313.

(4) **نفسه**.

(5) تتبعت العشرات من الأحاديث في برامج الكمبيوتر، ولم أعثر على حديث فيه صيغة الدوام على الغداء عن الرسول ﷺ. ولعلَّ المسألة تبقى لمزيد من التحقيق.

ولم نطَّلع في جملة المصادر الحديثية على أمر قاطع بالاعتناء بوجبة من الوجبات اليومية، سواء في وقتها، أو نوعها، أو بالمداومة عليها... إلَّا حديثا واحدا رواه الترمذي في «باب ما جاء في فضل العَشاء»[1]، ونصَّه: «تعشَّوا ولو بكفٍّ من حشف، فإنَّ ترك العَشاء مهرمة»[2]. غير أنَّ الحديث **ضعيف**، قال فيه أبو عيسى: «هذا حديث منكر لا نعرفه إلَّا من هذا الوجه، وعنبسة يضعف في الحديث، وعبد الملك بن علاق مجهول»[3]. وقريب منه حديث «لا تدعوا العَشاء ولو بكفٍّ من تمر، فإنَّ تركه يهرم»[4].

■ **كان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يكره النوم بين المغرب والعِشاء:**

في برمجة يومية متكاملة، يبيَّن ما ينبغي أن يُفعل، وما لا ينبغي أن يُفعل، ولم تقتصر سنَّة المصطفى على الواجبات وعلى النوافل والمندوبات فيما بين المغرب والعشاء، بل إنَّ الرسول ﷺ كان «يكره النوم قبل العِشاء، والحديث بعدها»[5]. والنوم بين المغرب والعشاء مفسدة لليل، ومدعاة للأرق والسهر، وهو من الكسل المذموم.

(1) الترمذي: **الجامع الصحيح**؛ ج4/ص287.

(2) **رواه الترمذي؛ كتاب الأطعمة، باب ما جاء في فضل العشاء**؛ ج4/ص287، رقم 1856؛ بسند: «حدثنا يحيى بن موسى حدثنا محمد بن يعلى الكوفي حدثنا عنبسة بن عبد الرحمن القرشي عن عبد الملك بن علاق عن أنس بن مالك قال قال النبي ﷺ...».

(3) **نفسه**.

(4) رواه **ابن ماجه؛ كتاب الأطعمة، باب ترك العشاء**؛ ج2/ص1113، رقم 3355؛ بسند: «حدثنا محمد بن عبد الله الرقي ثنا إبراهيم بن عبد السلام بن عبد الله بن باباه المخزومي ثنا عبد الله بن ميمون عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ...». إلَّا أنَّ الألباني قال فيه: «**ضعيف جدًّا**».

(5) رواه **البخاري؛ كتاب مواقيت الصلاة، باب ما يكره من النوم قبل العشاء**؛ ج1/ص208، رقم 543؛ بسند: «حدثنا محمد بن سلام قال أخبرنا عبد الوهاب الثقفي قال حدثنا خالد الحذاء عن أبي المنهال عن أبي برزة أن رسول الله ﷺ كان...».

صلاة المغرب جماعة			
النوافل، الذكر المكث في المسجد وانتظار الصلاة	مجالس العلم	إطعام الطعام والاشتغال بأمر الأمة	العَشاء
يكره النوم في هذا الوقت			

أعمال ما بين المغرب والعشاء في السنة النبوية

يلاحَظ من خلال البرنامج اليومي للرسول عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنَّ **الثابت الوحيد** هو صلاة المغرب جماعة، والنوافل منها ما **داوم** عليه الرسول ﷺ كركعتين بعد المغرب في داره، ومنها ما لم **يداوم** عليه.

والفترة ما بين المغرب والعشاء **فترة حرَّة**، يمكن للمسلم أن يأخذ فيها حقَّ نفسه، من العَشاء. أو يشتغل فيها بأمور وظيفته، أو بالعلم، أو يطعم الطعام... وكلُّها أعمال برٍّ.

وجلُّ القواعد المتقدِّمة تلاحظ في برمجة هذا الوقت، منها: **المداومة ولو مع القلَّة**[1] تلاحظ في الركعتين بعد المغرب؛ و**الانتقال من عمل إلى آخر**[2]، و**الموازنة بين الحقوق**[3]: حقِّ الله بالصلاة والذكر، وحقِّ النفس بالعَشاء، وحقِّ الأهل...

و**المرونة** هي السمة التي تميِّز أعمال الرسول ﷺ في الفترة الحرَّة، كما أنَّه توجَد حالات خاصَّة يؤخِّر فيها الرسول ﷺ صلاة المغرب مثل الحرب والسفر.

ولنا أن ننظر إلى الرسول ﷺ في هذه المرحلة، من خلال الأحاديث الصحيحة:

(1) انظر أعلاه ـ ص182.

(2) انظر قاعدة «فإذا فرغت فانصب»، أعلاه ـ ص190.

(3) انظر أعلاه ـ ص193.

كعابد، وكربٍّ لأسرة، وكوال، وكقائد للجيوش، وكمسافر يشقُّ الآفاق، وككريم يُطعم الطعام، وكعالم يعلِّم الصحابة ويوجِّههم... وهذه **الوظائف المتعدِّدة** في حياة الرسول ﷺ كانت غائبة في بعض البرامج المقترحة السابقة، وأحيانا أُختزلت في وظيفة دون وظيفة.

ومن تمام السنَّة أن يجتهد المرء في تطبيق مثل هذه الحركية في حياته، ولا يكون نظره مجزَّأً وموجَّها لمجال واحد، ووظيفة واحدة، بل عليه أن يوفِّي جميع الحقوق، ما استطاع، كما كان رسول الله ﷺ يفعل. وفي عصرنا يمكن أن يضيف بعضَ النشاطات الحركية، والثقافية، والجمعوية، أو يشارك في العمل السياسي مثلا، أو يمارس بعض الرياضات المشروعة، أو يكون إيجابيا في التعامل مع الإعلام... إلخ.

الفترة الثانية: بين العشاء والفجر

هذه المرحلة هي أطول مرحلتي الليل، وهي للرسول ﷺ فترة جلُّها لله تعالى، وبعضها للأهل، والبعض الآخر للنفس.. وبيان الأعمال الخاصَّة بها كالآتي:

■ صلاة العشاء جماعة:

إنَّ صلاة العشاء ثبتت في البرنامج اليوميِّ للمسلم، بنصِّ القرآن الكريم، لقوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾[الإسراء: 78]. واستفاضت الأحاديث في أنَّ الرسول ﷺ كان يصلِّي العتمة، أو العشاء في المسجد جماعة، ويأمر بذلك، ويذكر أنَّها أثقل الصلوات على المنافقين، روى مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أنَّ رسول الله ﷺ فقد ناسا في بعض الصلوات، فقال: لقد هممتُ أن آمر رجلا يصلِّي بالناس، ثم أخالف إلى رجال يتخلَّفون عنها، فآمر بهم فيحرِقوا عليهم بحزم الحطب بيوتهم، ولو علم أحدهم أنَّه يجد عظما سمينا لشهدها، يعني صلاة

العشاء»[1].

ويمكن للمرأة كذلك أن تشهد العشاء جماعة، وتدرج ذلك في برنامجها اليوميِّ، ما لم تضرَّ بحقوق أخرى، أو تسبِّب في معصية. ونستفيد ذلك من حديث زينب الثقفية أنَّها: «كانت تحدِّث عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: ثم إذا شهدت إحداكنَّ العشاء، فلا تطيِّب تلك الليلة»[2].

■ **ركعتان بعد صلاة العشاء:**

وقد وردت في ذلك أحاديث كثيرة، منها حديث ابن عمر: «أنَّ رسول الله ﷺ كان يصلِّي قبل الظهر...وبعد العشاء ركعتين». وهما من النوافل التي داوم عليها الرسول عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولفظ حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا صريح في ذلك: «كان يصلِّي في بيتي قبل الظهر أربعا...ويصلي بالناس العشاء، ويدخل بيتي فيصلي ركعتين».

■ **قيام الليل:**

الأحاديث متواترة في قيام الرسول ﷺ الليل، والاختلاف في عدد ركعاته، وفي وقته، وهل هو واجب في حقِّه ﷺ[3]؛ إلاَّ أنَّ القاعدة في ليل رسول الله ﷺ هي: **السعة والحرية في الانتقال من عمل لعمل**، ففي سورة المزمِّل تخيير: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا...﴾. وحديث عائشة خير موضِّح لهذه **السعة والخيار**، فقد روي عن غضيف بن الحارث قال: «قلت لعائشة: أرأيت النبي ﷺ يا أم المؤمنين، أكان يوتر من أول الليل؟ أو من آخره؟

(1) رواه **الربيع**؛ **باب في أوقات الصلاة**؛ ج1/ص80، رقم 182. ورواه **مسلم**؛ **كتاب المساجد ومواضعها، باب صلاة الجماعة وبيان التشدُّد في التخلف عنها**؛ واللفظ له، ج1/ص451، رقم 651؛ بسند: «وحدثني عمرو الناقد حدثنا سفيان بن عيينة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة ثم أنَّ رسول ﷺ الله فقد ناسا...».

(2) رواه **مسلم**؛ **كتاب الصلاة، باب خروج النساء إلى المساجد**؛ ج1/ص328، رقم 443؛ بسند: «حدثنا هارون بن سعيد الأيلي حدثنا بن وهب أخبرني مخرمة عن أبيه عن بسر بن سعيد أن زينب الثقفية كانت...».

(3) انظر ـ الشافعي: **الأم**؛ ج1/ص86. الجصاص: **أحكام القرآن**؛ ج3/ص701. ابن حزم: **المحلى**؛ ج2/ص5. ابن العربي: **أحكام القرآن**؛ ج3/ص213.

قالت: **ربما أوتر من أوَّل الليل، وربَّما أوتر من آخره. قلت: الله أكبر، الحمد لله الذي جعل في الأمر سعة»**[1].

وكان في قيام الليل يستند إلى قاعدتي: **الديمة، والخلفة**. ففي الحديث أنَّ عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا صلَّى صلاة أحبَّ أن يداوم عليها، وكان إذا شغله عن قيام الليل نوم أو مرض أو وجع صلَّى من النهار اثنتي عشرة ركعة»[2]. وتظهر **قاعدة الديمة** أكثر في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا عبد الله، لا تكن مثل فلان، كان يقوم من الليل، فترك قيام الليل»[3]. يقول الصنعاني في بيان هذا المعنى: وفي الحديث «استحباب **الدوام** على ما اعتاده المرء من الخير، من غير تفريط، ويستنبط منه كراهة قطع العبادة»[4]. ويستفاد منه كذلك استحباب المداومة على جميع أعمال البرِّ والخير.

■ **كان ﷺ يكره الحديث بعد العشاء:**

كان ﷺ «يكره النوم قبل العِشاء، والحديث بعدها»[5]. ولقد بيَّنَّا حكم السمر،

---

(1) رواه **مسلم؛ كتاب الحيض، باب جواز نوم الجنب**؛ ج6/ص200، رقم 307؛ بسند: «أخبرنا الحسن بن سفيان قال حدثنا عبد الأعلى بن حماد قال حدثنا وهيب عن برد أبي العلاء عن عبادة بن نسي عن غضيف بن الحارث».

(2) رواه ابن خزيمة، **وصححه**. ج2/ص194. رقم 1179. بسند: «حدثنا بندار أخبرنا يحيى بن سعيد ح وثنا بندار أيضا ثنا ابن أبي عدي كلاهما عن سعيد ح وثنا بندار أيضا نا معاذ بن هشام حدثني أبي كلاهما عن قتادة عن زرارة بن أوفي عن سعد بن هشام عن عائشة...».

(3) **حديث متفق عليه**، ورواية **البخاري؛ كتاب الجمعة، باب ما يكره من ترك = قيام الليل لمن كان يقومه**؛ ج1/ص387، رقم 1101. بسند: «حدثنا عباس بن الحسين حدثنا مبشر عن الأوزاعي وحدثني محمد بن مقاتل أبو الحسن قال أخبرنا عبد الله أخبرنا الأوزاعي قال حدثني يحيى بن أبي كثير قال حدثني أبو سلمة ابن عبد الرحمن قال حدثني عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما قال قال لي رسول الله ﷺ:...».

(4) الصنعاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح الأمير الكحلاني الصنعاني (ت. 1182هـ/1768م): **سبل السلام شرح بلوغ المرام**؛ (الأصلية: دار الحديث) طبعة جامع الفقه، شركة حرف، الإمارات العربية المتحدة؛ 1999م؛ ج1/ص350.

(5) رواه **البخاري**، تقدَّم تخريجه.

وتعرَّضنا لأحكامه وأقسامه. ولابن أبي شيبة باب سمَّاه: «باب من كره السمر بعد العتمة»، وساق تحته جملة من الأحاديث المرفوعة والموقوفة، وجملة من الآثار في كراهية السمر، منها:

- حديث: «جدب لنا رسول الله ﷺ السمر بعد صلاة العتمة»[1].

- وعن خرشة بن الحر قال: «رأيت عمر بن الخطاب يضرب الناس على الحديث بعد العشاء ويقول: أسَمَرٌ أول الليل ونوم آخره»[2].

ولعلَّ من الآثار السلبية لتطوُّر الوسائل، مثل الكهرباء، والتلفزيون، والسينما... أنَّ الليل صار مطية السمر في المعاصي إلَّا ما ندر، وأنَّ الإرهاق لاحق الناس وأضعف أبصارهم وأجسادهم بما لا يفيد من العروض والحصص، في إيقاع روتينيٍّ دائم وقاتل.

■ **السمر مع الأهل:**

رغم أنَّ رسول الله ﷺ كان يكره الحديث بعد العشاء، إلَّا أنَّه استثنى الأهل، أداء **لحقِّهم**، فكان يسمر معهم إذا اقتضت الحاجة، وقد دلَّت السنَّة على ذلك: فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: «بتُّ عند خالتي ميمونة، فتحدَّث رسول الله ﷺ مع أهله ساعة، ثم رقد، فلمَّا كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر إلى السماء فقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ...﴾»[3].

(1) ابن أبي شيبة: **المصنف**؛ ج2/ص180، رقم 110. بسند: «حدثنا أبو بكر قال: حدثنا محمد بن فضيل عن عطاء بن السائب عن شقيق عن عبد الله قال...» قال الشوكاني في الحديث: « الحديث رجاله في سنن ابن ماجه رجال الصحيح، وقد أشار إليه الترمذي وذكره الحافظ ابن سيد الناس في شرح الترمذي ولم يتعقبه بما يوجب ضعفا» **نيل الأوطار**؛ ج2/ص19.

(2) ابن أبي شيبة: **نفسه**. بسند: «حدثنا وكيع عن الأعمش عن سليمان بن مسهر عن خرشة بن الحر قال رأيت» .

(3) رواه **البخاري**؛ **كتاب تفسير القرآن، باب قوله: إنَّ في خلق السماوات والأرض**...؛ ج4/ص1665، رقم 4293؛ بسند: «حدثنا سعيد بن أبي مريم أخبرنا محمد بن جعفر قال أخبرني شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن كريب عن ابن عباس...».

■ **السمر للعلم أو في مصالح المسلمين:**

عقد البخاري جملة من الأبواب في السمر المباح، منها: «باب السمر في العلم»[1]، «باب السمر في الفقه والخير بعد العشاء»[2]. «باب السمر مع الضيف والأهل»[3]. وساق جملة من الأحاديث في التدليل على ذلك منها حديث أنس قال: «انتظرنا النبي ﷺ ذات ليلة، حتى كاد شطر الليل يبلغه، فجاء فصلَّى لنا، ثم خطبنا، فقال ألا إنَّ الناس قد صلَّوْا ثم رقدوا، وإنكم لم تزالوا في صلاة ما انتظرتم الصلاة»[4].

وفي «المصنَّف» عن عمر قال: «كان رسول الله ﷺ يسمر عند أبي بكر الليلة كذلك في الأمر من أمور المسلمين، وأنا معه، وأنَّه سمر عنده ذات ليلة وأنا معه»[5].

ويذكر القرضاوي أنَّ المسلم يستطيع «أن يقضي بعض الحقوق قبل نومه، كبعض الزيارات أو المجاملات»[6]، أمَّا الخالديُّ فيجعل ما بعد العشاء للعلم، ثم يحذِّر من مضيعات الوقت، فيقول: «وليحذر الاشتغال بما لا يعني من تلفزيون، أو تمثيليات، أو مسرحيات»[7].

(1) **البخاري**، ج1/ص55.

(2) **البخاري**، ج1/ص216.

(3) **نفسه**.

(4) رواه **البخاري**؛ **كتاب مواقيت الصلاة، باب السمر في الفقه والخير بعد العشاء**؛ ج1/ص216، رقم 575؛ بسند: «حدثنا عبد الله بن الصباح قال حدثنا أبو علي الحنفي حدثنا قرة بن خالد قال انتظرنا الحسن وراث علينا حتى قربنا من وقت قيامه فجاء فقال دعانا جيراننا هؤلاء ثم قال...».

(5) ابن أبي شيبة: **المصنف**؛ ج2/ص181، رقم 111. بسند: «حدثنا أبو بكر قال: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عمر قال: كان » قال الشوكاني: «رواه أحمد والترمذي. الحديث حسنه الترمذي أيضا وأخرجه النسائي ورجاله رجال الصحيح، وإنما قصر به عن التصحيح الانقطاع الذي فيه بين علقمة وعمر» **نيل الأوطار**؛ ج2/ص20.

(6) القرضاوي: **الوقت في حياة المسلم**؛ ص30.

(7) الخالدي: **الخطة البراقة**؛ ص138-139.

وتقرِّر البحوث النفسية أنَّ الوقت قبل النوم هو أحسن وقت «لتلمُّس ومراجعة وتهشيش موضوع ما؛ لأنَّ العقل يواصل عمله في المرحلة الأولى من النوم»[1].

■ **حاجته في أهله:**

كانت القاعدة في حاجة الرسول ﷺ إلى أهله، تبعا لحكم قيام الليل، هي **السعة**، وهي عدم تخصيص وقت معيَّن، ففي حديث عائشة، قال غضيف بن الحارث: «يا أمَّ المؤمنين، أرأيت رسول الله ﷺ كان يغتسل من الجنابة من أوَّل الليل؟ أو من آخره؟ قالت: ربَّما اغتسل من أوَّل الليل، وربَّما اغتسل من آخره. قلت: الله أكبر، الحمد لله الذي جعل في الأمر سعة».

وقد دلَّت جملة من الأحاديث الأخرى على هذه السعة، وعلى هذا الاختلاف، حسب حاجته ﷺ، وحسب ظروفه وظروف أهله[2]، كما دلَّت على أنَّ الرسول عَلَيْهِ السَّلَامُ **لا يرى الإعراض عن النساء في برنامجه اليومي نوعا من العبادة، بل يعدُّ حاجة الإنسان إلى أهله من جملة العبادة**، فيقول: «...وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها

(1) Patrick de sainte-Lorette, ***Comment développer sa mémoire***, Ed. Echihab, 1995, p.51.

(2) منها حديث عائشة: «وحدثنا أحمد بن يونس حدثنا زهير حدثنا أبو إسحاق ح وحدثنا يحيى بن يحيى أخبرنا أبو خيثمة عن أبي إسحاق قال سألت الأسود بن يزيد عما حدثته عائشة عن صلاة رسول الله ﷺ قالت: كان ينام أول الليل ويحيي آخره، **ثم إن كانت له حاجة إلى أهله قضى حاجته**، ثم ينام فإذا كان عند النداء الأول قالت وثب ولا والله ما قالت قام فأفاض عليه الماء ولا والله ما قالت اغتسل وأنا أعلم ما تريد وإن لم يكن جنبا توضأ وضوء الرجل للصلاة ثم صلى الركعتين» رواه **مسلم؛ كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي؛** ج1/ص510، رقم 739.

ولحديث: «أخبرنا بن خزيمة قال حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا معاذ بن هشام قال حدثني أبي عن قتادة عن أنس ابن مالك عن النبي ﷺ **أنَّه كان يدور على نسائه في ساعة من الليل أو النهار وهن إحدى عشرة**». رواه **ابن حبان، وصححه**، ج4/ص8، رقم 1208.

في حرام، أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر»[1].

وذكرت الروايات خبر النفر الثلاثة الذين أرادوا أن يحدثوا **أزمنة مهيمنة** في حياتهم، فيُلغوا زمن النوم الليلي، وزمن الطعام النهاري، وزمن الأهل، طول الدهر. فصوَّب الرسول ﷺ نظرتهم إلى الأمور، وبالتبع إلى البرنامج اليومي، مبيِّنا أنّ **صبغة الله** هي الحال الطبيعية في الإسلام، و**الزمن الصبغة** بالتالي هو الزمن الأصيل في الدين الحنيف، و**التوازن** هو المطلب من حياة المسلم.

ونصُّ الحديث: «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلمَّا أُخبِروا كأنهم تقالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر الله له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، قال أحدهم: أمَّا أنا فإني أصلِّي الليل أبدا. وقال آخر: أنا أصوم الدهر، ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا. فجاء رسول الله ﷺ فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلِّي وأرقد، وأتزوَّج النساء. فمن رغب عن سنتي فليس مني»[2].

■ **النوم مبكِّرا، والنوم وسط الليل:**

ربَّما نام الرسول ﷺ مبكِّرا، ليستيقظ للصلاة، وقد ينام وسط الليل، وفي الحديث: «كان ينام أول الليل ويحيي آخره، ثم إن كانت له حاجة إلى أهله قضى حاجته ثم ينام»[3].

والعادة عند الرسول ﷺ الإيواء إلى النوم مبكِّرا، مع ترك باب الاستثناء مفتوحا، ذلك أنَّ النوم المبكِّر هو أفضل أنواع النوم كما يقرِّر العلماء، ولذا فإنَّ البحوث

(1) رواه **مسلم**؛ **كتاب الزكاة، باب أنَّ اسم الصدقة يقع على كلِّ نوع من المعروف**؛ ج2/ص697، رقم 9355؛ بسند: «حدثنا عبد الله بن محمد بن أسماء الضبعي حدثنا مهدي بن ميمون حدثنا واصل مولى أبي عيينة عن يحيى بن عقيل عن يحيى بن يعمر عن أبي الأسود الديلي عن أبي ذر...».

(2) رواه **البخاري**؛ **كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح**؛ ج5/ص1949، رقم 4776؛ بسند: «حدثنا سعيد بن أبي مريم أخبرنا محمد بن جعفر أخبرنا حميد بن أبي حميد الطويل أنه سمع أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول:...» .

(3) رواه **مسلم**، تقدَّم تخريجه.

حاليا تدور حول **النوم المثالي لا عن الحجم الساعي للنوم**، والمثل القديم يقول: «إنَّ النوم المبكرّ والاستيقاظ المبكِّر يجعلان الإنسان صحيحا وغنيا وحكيما. وإنَّ ساعة قبل منتصف الليل تساوي ثلاث ساعات بعد منتصفه... وقد اكتشف أنَّ 70 % من نومنا العميق غير الحالم[1] يحدث خلال الثلث الأوَّل من الليل»[2].

وقد «قام الباحثون بإجراء دراسة على مجموعة من الصغار البالغين، ممن تتنوَّع أوقات إيوائهم للفرش، ما بين 3 و4 ساعات كلَّ ليلة من الليالي التالية، بالمقارنة على مجموعة أخرى ممن اعتادوا النوم في وقت محدَّد، ولوحظ من التجربة أنَّ المجموعة الأخيرة كانت تتمتَّع **بالراحة النفسية والبدنية**، عن المجموعة الأولى، وهم لا يشعرون **بالسعادة** فحسب، ولكنهم عبَّروا عن مشاعرهم بأنَّهم يتمتَّعون **بنوم هادئ مريح**، وأنَّهم يشعرون بنشاط أكبر أثناء فترة الصباح»[3].

وفي مجال الساعة البيولوجية، يذكر العلماء أنَّ النوم لا يرتبط «بساعة زمنية محدَّدة (التاسعة مساء مثلا)، وإنَّما يرتبط بصلاة العِشاء»[4]، والإنسان الذي «يتقيد بمواعيد النوم، المرتبطة مع صلاة العشاء، ولا يتقيد بساعة ثابتة، لا يتعرض للأرق، فتتبدَّل ساعة نومه الاصطناعية تدريجيا وبتناسق مع الساعة الحرارية، فلا يحدث له أرق»[5].

■ **ساعة لا يدخل عليه فيها أحد:**

بالإضافة إلى أحكام الاستئذان في العورات الثلاث، ومنها في هذه الفترة: من بعد صلاة العشاء، ومن قبل صلاة الفجر.. جاء الحديث بأنَّ الوقت قبل الفجر

(1) من الناحية الطبية هذه المرحلة من النوم هي مرحلة النوم المريح «فالعضلات مسترخية، والقلب بطيء الضربات، وضغط الدم منخفض لا يتأرجح، والتنفس بطيء ومريح، والعينان لا تتحركان» الشربيني: **الأرق وهم له علاج**؛ ص24. ليون: **مائة نصيحة ونصيحة للنوم**؛ ص12-13.

(2) نيريس، دي: **الأحلام تفسيرها ودلالاتها**؛ عالم الكتب، القاهرة، د.ت.ن. نقلا عن الشربيني: **نفس المرجع**؛ ص47.

(3) الشربيني: **الأرق وهم له علاج**؛ ص13.

(4) **نفس المرجع**؛ ص43.

(5) **نفس المرجع**؛ ص43-44 (بتصرف).

لم يكن أحد يدخل فيه دار الرسول ﷺ، ونصُّ الحديث: «حفظت من النبي ﷺ عشر ركعات... وركعتين قبل صلاة الصبح، كانت ساعة لا يدخل على النبي ﷺ فيها...».

فلو أنَّ الله تعالى لم يحم رسوله الكريم في برنامجه اليومي بمثل هذه الضوابط، للقي العنت الشديد من الناس، ولكثرت عليه الزيارات، والرسول ﷺ قد يستحيي، ولكنَّ الله سبحانه أنزل آية من السماء تبرز حكمه: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾[الأحزاب: 53]. وهذه الحماية لبيت النبوَّة وأهله، ولبرنامجه اليوميِّ ممن قد يتسلَّط عليه، هي الضمان لامتداد الرسالة، ولعدم المساس بحرمة الرسول عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ولإحداث **التوازن** في حياته اليومية بين مختلف جوانبها.

■ **جملة من المنهيات والمأمورات في أطراف الليل:**

نهى الرسول ﷺ عن جملة من الأمور في بحر الليل، وأمر بأمور أخرى، كلُّها تدخل في تحديد برنامج المسلم، وتسهم في تنمية نظرته إلى الأوقات، وتعامله معها، وكيفية ملئها بالأعمال الصالحة، فقال في حديث رواه الإمام مسلم: «إذا كان جنح الليل[1]، أو أمسيتم، فكفُّوا صبيانكم فإنَّ الشيطان ينتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة من الليل فخلُّوهم، وأغلقوا الأبواب، واذكروا اسم الله، فإنَّ الشيطان لا يفتح بابا مغلقا، وأوكوا قربكم، واذكروا اسم الله، وخمِّروا آنيتكم، واذكروا اسم الله، ولو أن تعرضوا عليها شيئا، وأطفؤوا مصابيحكم»[2].

وفي الحديث الأمر بالحذر في الليل، سواء من الأضرار المعنوية كالشياطين، والذنوب بالتبع؛ أو المادية كالميكروبات، والحرائق... مع الاتكال على الله تعالى، وذكر اسمه في كلِّ خطوة يخطوها المسلم، ليضمن نوعا من **الاستقرار**

(1) وفي رواية «**فحمة الليل**»، **مسلم**، ج3/ص1595، رقم 2013.

(2) رواه الشيخان؛ **ورواية مسلم**؛ **كتاب الأشربة، باب الأمر بتغطية الإناء**؛ ج3/ص1595، رقم 2012؛ بسند: «وحدثني إسحاق بن منصور، أخبرنا روح بن عبادة، حدثنا بن جريج، أخبرني عطاء، أنَّه سمع جابر بن عبد الله يقول: قال رسول الله: ثم إذا...».

النفسي، وعدم الخوف إلَّا من الله تعالى، شريطة اتخاذ الأسباب لذلك.

وفيه حماية للأطفال من مفاسد الشوارع، وضبطهم في المنازل، وهذا **حقٌّ من حقوقهم**؛ لأنَّ عادة الخروج إلى الأزقَّة في الليل، واللعب فيها، إذا استحكمت في صبيٍّ لاحقته طول عمره، وأفسدت طبعه، واستحثته إلى المفاسد والأضرار والشرور، وهذا ملاحظ في الكثير من البلاد الإسلامية اليوم، أمَّا في الغرب فكثيرا ما نظِّمت هذه المفاسد باسم المدنية، وأعدَّت الوسائل للانحراف الخُلقيِّ والجنسيِّ، بوسائل الإعلام خاصَّة.

تذكر الكاتبة «ماري وين» تحت عنوان «جيل التلفزيون» أنَّ الروتين اليومي للطفل قد تغيَّر «بواسطة إتاحة جهاز التلفزيون كوسيلة معاونة في تربية الطفل. فعلى حين غرَّة صار الطفل يمضي ساعتين، أو ثلاثا، أو أربعا، بل ستَّ أو سبع ساعات من يومه، في نوع من النشاط لا هو بالنوم، ولا هو باللعب، بل يقع في مكان ما بين هذا وذاك، نشاط يتَّسم بتشرُّب غريب للمواد المرئية والسمعية المصحوبة بسلوكيات غير مألوفة تماما بين الأطفال الصغار: السكوت، الخمول، والسلبية العقلية...»[1].

وجملة أعمال الليل التي أحصيناها بتتبع أحاديث الرسول ﷺ يجمعها هذا الجدول:

(1) وين: **الأطفال والإدمان التلفزيوني**؛ ص145.

صلاة العشاء جماعة				
النوافل، والذكر، وقيام الليل، وركعتان قبل الفجر في بيته	النوم مبكرا، والنوم وسط الليل	السمر في العلم	السمر في مصالح المسلمين	السمر مع الأهل، الحاجة للأهل
ينهى عن السمر بعد العشاء، يكره الكلام بعد العشاء فيه عورتان من العورات الثلاث: بعد صلاة العشاء، وقبل صلاة الفجر الحذر عن جملة من الأضرار المعنوية والمادية				

أعمال ما بين العشاء والفجر في السنة النبوية

إنَّ الدارس للأحاديث النبوية الشريفة، ليعجب من تعدُّد ما يعمله الرسول ﷺ في هذه الفترة، ومن قدرته عَلَيْهِ السَّلَامُ على **الانتقال من عمل إلى آخر**، غير أنَّ بعض المحاولات أغفلت بعض الجوانب، وركَّزت على جوانب أخرى لا تزيد أهمية عن التي أغفلتها...

فلقد كان الرسول **ينتقل من عمل لآخر، ويعطي لكلِّ ذي حقٍّ حقَّه**، دون إفراط ولا تفريط، ويلين في جوانب، كما يكون صارما في جوانب أخرى.. حتى إننا لا نستطيع أن نضبط مدَّة نومه، ومدَّة قيامه، وعدد ركعاته وأذكاره، وما يتلوه من القرآن الكريم كلَّ ليلة...

كما كان الرسول **مداوما** على أعمال مثل: الصلاة، والنوم، مع اختلافات يسيرة لظروف معتبرة ومعيَّنة. **وغير مداوم** على أعمال أخرى مثل السمر مع الأهل، أو في العلم. وتبقى ثمة أعمال أخرى لم نذكرها في هذا العرض، فالبحث التفريعي كفيل باستجلاء جميع جوانب ليل الرسول ﷺ، وليل صحابته وأهله عليهم السلام، وإلَّا فإنَّ أعمال البرِّ في العهد النبويَّ استغرقت أوقات اليوم كلَّها،

وجعلت منه عهدا زاهرا وفريدا.

الفترة الثالثة: من الفجر إلى الظهر

أجمعت المحاولات التراثية في البرمجة اليومية على أنَّ بداية اليوم من وقت الفجر، وكان نظرهم إلى اليوم العمليِّ. وتنقسم هذه الفترة إلى: **البكور، والضحى**. وبالنظر إلى القرآن الكريم، تكون الأعمال التي تخصُّ هذه الفترة إمَّا الابتغاء من فضل الله تعالى، أو المعاش، بكلِّ معانيهما، أمَّا السنَّة فتزيد هذين العملين الأساسيين بيانا وتفصيلا، وهي:

■ **سنَّة الفجر في الدار:**

من هدي الرسول ﷺ أن يصلِّي سنَّة الفجر في داره، فعن ابن عمر قال: «حفظت من النبي ﷺ عشر ركعات... وركعتين قبل صلاة الصبح... حدثتني حفصة أنَّه كان إذا أذَّن المؤذِّن وطلع الفجر صلى ركعتين». ويناسب هذا العمل جملة من القواعد منها قاعدة **الديمة**، وقاعدة **الموازنة** بين الحقوق، وقاعدة **فإذا فرغت فانصب**...

وهذا الوقت قريب من وقت العورات الثلاث، له من الحرمة ما يجعل الصحابة رضوان الله عنهم لا يذهبون إلى بيت النبوَّة ولا يزورونه فيه، فيكون وقتا محميا، وخاصًّا بالله سبحانه.

■ **صلاة الصبح جماعة في المسجد:**

إنَّ صلاة الصبح هي افتتاح صلوات النهار، وبداية النشاط، ولقد ركَّزت السنَّة الطاهرة عليها جماعة في المسجد، ورويت في ذلك أحاديث كثيرة، منها حديث: «فضل صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة، وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الصبح. يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾»[1].

(1) رواه **البخاري؛ كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى إنَّ قرآن الفجر كان مشهودا**؛ ج4/رقم 1748، رقم 4440؛ بسند: «حدثني عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن أبي سلمة وابن المسيب عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: فضل...».

وشهود صلاة الصبح مع الجماعة لا تُستثنى منه النساء، فقد: «كانت امرأة لعمر تشهد صلاة الصبح في الجماعة وفي المسجد، فقيل لها: لِم تخرجين وقد تعلمين أنَّ عمر يكره ذلك ويغار؟ قالت: وما يمنعه أن ينهاني. قال: يمنعه قول رسول الله ﷺ لا تمنعوا إماء الله مساجد الله»[1].

وحديث عائشة يدلُّ على هذا المعنى، قالت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «لقد كان رسول الله ﷺ يصلِّي الفجر فيشهد معه نساء من المؤمنات متلفِّعات في مروطهنَّ، ثم يرجعن إلى بيوتهنَّ ما يعرفهنَّ أحد»[2].

■ **الذِّكر والمكوث في المسجد بعد الصبح:**

تقدَّم أنَّ الذكر من الأعمال التي تستغرق كامل اليوم، وزمنه من جملة **الزمن الصبغة**، ثم إنَّ السنَّة النبوية رغَّبت في بعض الأذكار لبعض الأوقات، منها قول الرسول ﷺ: «... وإذا صلَّيت الصبح فقل قبل أن تكلِّم أحدا: اللَّهم أجرني من النار سبع مرَّات، فإنَّك إن متَّ مِن يومك ذلك كتب الله لك جوازا من النار»[3].

وقد أخبرنا الرسول ﷺ أنَّ للماكث في مسجده بعد الغداة ذاكرا الله إلى أن يصلِّي ركعتي الضحى أجرُ الحاجِّ المعتمر؛ حتى إنَّ بعض الصحابة تعجَّبوا من الأمر، فأكَّد الرسول هذا تأكيدا لا يترك مجالا للشكِّ، وهو بذلك يرغِّب في إدراج هذا الوقت في البرنامج اليومي للمسلم، حتى يبقى حبلُه موصولا بالله كامل اليوم، وفي كلِّ ما يأتي وما يذر بحرَ ذلك النهار. فقال ﷺ: «من صلَّى الغداة في جماعة، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلَّى ركعتين، كانت له كأجر

(1) رواه **البخاري؛ كتاب الجمعة، باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل**؛ ج1/ص305، رقم 858؛ بسند: «حدثنا يوسف بن موسى حدثنا أبو أسامة حدثنا عبيد الله بن عمر عن نافع عن بن عمر قال: كانت...».

(2) رواه **الربيع؛ باب في أوقات الصلاة**؛ ج1/ص79، رقم 181. ورواه **البخاري؛ كتاب الصلاة، باب في كم تصلِّي المرأة في الثياب**، واللفظ له؛ ج1/ص146؛ رقم 365؛ بسند: «حدثنا أبو اليمان قال أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني عروة أن عائشة قالت:...».

(3) رواه **ابن حبان**، تقدَّم تخريجه.

حجَّة وعمرة. قال: قال رسول الله ﷺ: تامَّة، تامَّة، تامَّة»[1].

ولا يخفى أن لا صلاة في هذا الوقت، لحديث: «لا صلاة بعد الصبح حتى ترتفع الشمس، ولا صلاة بعد العصر حتى تغيب الشمس»[2].

■ **البكور، البركة في الأعمال:**

يعتبر حديث «بورك لأمَّتي في بكورها» **المرجع للنظرية الإسلامية في تنظيم بداية العمل**، سواء في ذلك العمل الذهنيُّ، أو الوظيفيُّ، أو القياديُّ، أو الجهاديُّ... فكلُّ هذه المجالات تستدلُّ بهذا الحديث، وتحيل إليه.

ولفظ الحديث عند أبي داود: «اللهمَّ بارك لأمَّتي في بكورها، وكان إذا بعث سرية أو جيشا بعثهم في أوَّل النهار، وكان صخرٌ رجلًا تاجرًا، وكان يبعث تجارته من أوَّل النهار فأثرى وكثر ماله. قال أبو داود: وهو صخر بن وداعة»[3].

---

(1) رواه **الترمذي؛ كتاب الجمعة، باب ذكر ما يستحبُّ من الجلوس في المسجد بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس**؛ ج2/ص481، رقم 535؛ بسند: «حدثنا عبد الله بن معاوية الجمحي البصري حدثنا عبد العزيز بن مسلم حدثنا أبو ظلال عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ:...». قال أبو عيسى: «**هذا حديث حسن غريب**». وقال الألباني: «**حديث حسن**».

(2) رواه **البخاري؛ كتاب مواقيت الصلاة، باب لا تتحرَّى الصلاة قبل غروب الشمس**؛ ج1/ص212، رقم 561؛ بسند: «حدثنا عبد العزيز بن عبد الله قال حدثنا إبراهيم بن سعد عن صالح عن بن شهاب قال أخبرني عطاء بن يزيد الجندعي أنَّه سمع أبا سعيد الخدري يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول:...».

(3) رواه **أبو داود؛ كتاب الجهاد، باب في الابتكار في السفر**؛ ج3/ص35، رقم 2606؛ بسند: «حدثنا سعيد بن منصور ثنا هشيم ثنا يعلي بن عطاء ثنا عمارة بن حديد عن صخر الغامدي عن النبي ﷺ قال...» قال الألباني: «**صحيح**». ورواه **الترمذي، كتاب البيوع، باب ما جاء في التبكير بالتجارة**؛ ج3/ص517، رقم 21066؛ بسند: «حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي حدثنا هشيم حدثنا يعلى بن عطاء عن عمارة بن جديد عن صخر الغامدي قال: اللهم». قال أبو عيسى: «وفي الباب عن علي وابن مسعود وبريدة وأنس وابن عمر وابن عباس وجابر. قال: حديث صخر الغامدي **حديث حسن**». قال الحافظ ابن حجر، في **فتح الباري**، ج6/ص114: «وحديث «بورك لأمتي في بكورها» أخرجه أصحاب السنن **وصحَّحه بن حبان**، من حديث صخر الغامدي بالغين المعجمة، وقد اعتنى بعض الحفاظ بجمع طرقه فبلغ عدد من جاء عنه من الصحابة نحو **العشرين نفسا**».

وفي حديث آخر وصف الرسول عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ النشاط البكوريَّ **بطِيب النفس**، والكسل **بخبث النفس**، وردَّ السبب إلى **العُقَد** التي يعقدها الشيطان على رأس الإنسان إذا هو نام، **فبيَّن أنَّ حلَّ العُقد** يكون **بالذكر والوضوء والصلاة**. ونصُّ الحديث عند البخاري: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد: يضرب كلَّ عقدة عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلَّت عقدة، فإن توضأ انحلَّت عقدة، فإن صلَّى انحلَّت عقدة. فأصبح نشيطا طيِّب النفس، وإلَّا أصبح خبيث النفس كسلان»[1].

ويصف «يوجين» ـ من وجهة نظر **علم إدارة الوقت** ـ الإنسانَ الذي يبدأ العمل باكرا، بما يُشبه تفسير الحديث، من جانبه الماديِّ والنفسيِّ، فيقول: «إنَّ الاستيقاظ قبل الشمس كلَّ يوم، يحتاج إلى الكثير من التنظيم، لكن هناك العديد من الفوائد: ليس هناك أيُّ مقاطعة، هناك هدوء وسكينة، ويجتاحك **شعور عظيم بالسعادة**، تشعر أنَّك تعمل بجدٍّ **لتحقيق أهدافك**، وأنَّك تستحقُّ كلَّ أمر جيِّد يحصل لك»[2].

والعمل البكوريُّ ليس من سمات الفكر الغربيِّ، لأسباب يراها معقولة من وجهة نظره، وباعتبار ظروفه؛ وهي غير معقولة البتَّة بالنسبة للعالَم الإسلاميِّ. من هذه الأسباب:

- طبيعة الجوِّ الباردة في البلاد الغربية.
- التخطيط الاقتصاديُّ: الطاقة، المواصلات، الاتصالات...
- عدم الارتباط بواجب شرعيٍّ مثل الصلاة والذكر.
- التوجُّه نحو «حضارة الترفيه» ـ حسب تعبير «ديمازدييه» ـ [3]، والترفيه

(1) رواه **الربيع؛ باب جامع الوضوء**؛ ج1/ص63، رقم 130. ورواه **البخاري؛ كتاب الجمعة، باب عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصلِّ الليل**، واللفظ له؛ ج1/ص383، رقم 1091؛ بسند: «حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: يعقد...»

(2) جريسمان: **فن إدارة الوقت**؛ ص110.

(3) J. Dumazdier, ***Vers une civilisation du loisir***, p.154-177.

بالمفهوم الغربيِّ ليليٌّ في أغلبه.

يقول زهير الحمود في هذا: «ونحن نعرف هذه **القاعدة الإسلامية** بخصوص وقت العمل، وأنسب الأوقات للبدء به، وهو: **الصباح الباكر**. منذ فجر الإسلام. ولا يطبِّقها معظمنا في أغلب الأحيان، ويعرفها **علماء العمل** منذ سنوات، ويحاولون تطبيقها بقصد زيادة الإنتاج»[1].

وهذا يعني أنَّ الغرب لا يجهل قيمة البكر تماما، بل إنَّ ثمَّة محاولات للاستفادة منه، وإن كانت قليلة في مجملها، فيذكر «يوجين» أنَّ «ماري كاي» تُعتبر **أوَّل** شخص يخبره «عن ما تسمِّيه هي: **نادي الساعة الخامسة**»، يقول: «كانت إشارتها إلى هذا النادي حديثا جانبيا في ملاحظاتها عن كيفية قدرة النساء في منظَّمتها إتمام أعمالهنَّ. إنَّ العديد من موظَّفات المبيعات في شركة «ماري كاي» أمَّهات، يحتوي **عملهنَّ اليوميُّ** على طهي الإفطار، وتجهيز الغداء، وأخذ الأطفال إلى المدرسة. كيف ينجزن عملهنَّ في المبيعات إذا كانت هذه الواجبات تواجههنَّ من الاثنين إلى الجمعة؟ تجيب «ماري كاي»: الجواب، هو: **نادي الساعة الخامسة، أبدأ اليوم في الخامسة صباحا**»[2]. ومن نفس المنطلق الاقتصاديِّ يقول «ليستر»: «إنَّ الكثير من مشاكل الوقت يمكن أن تتقلَّص بواسطة بدء العمل اليوميِّ بصورة **مبكِّرة**» ثم يؤكِّد أنَّ العمل أبكر بنصف ساعة في الصباح قد يحقِّق أكثر مما تحقِّقه عدَّة ساعات أثناء النهار[3].

وبتتبُّعنا للنصوص الحديثية، وللتراث الإسلاميِّ[4]، نستطيع أن نقول: إنَّ **الحضارة الإسلامية بكوريَّة**، فبدون الطالب البكوريِّ، والعامل البكوريِّ، والتاجر البكوريِّ، والمرأة البكوريَّة... سوف لن يأخذ المسلمون من اليوم إلَّا آخره، ولا ينجزوا من العمل إلَّا أقلَّه، ولن يملكوا زمام نهارهم؛ وسيستمرُّ تخلُّفهم إلى

(1) الحمود: **الوقت والعمل**، مجلة راية مؤتة؛ ص189.

(2) جريسمان: **فن إدارة الوقت**؛ ص109-110.

(3) ليستر: **إدارة الوقت، المرشد الكامل للمديرين**؛ ص69.

(4) انظر مثلا ـ أبو غدة: **قيمة الزمن عند العلماء**. اليبرودي: **قيمة الوقت في التربية الإسلامية**...

حين ولا شكَّ. ويصف أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذا المعنى بتمثيل بليغ، قال فيه: «يومك جملك، إذا أخذتَ برأسه أتاك ذنَبُه»[1].

ولا تقتصر فائدة **البكور** على العمل وحده، بل وحتى على الراحة، يقول بعض المتخصِّصين في علم «النوم والأرق»: «**من المحتمل أن يكون الاستيقاظ المبكِّر هو الطريقة المؤكَّدة للنوم السريع في الليل**. حاول أن تستيقظ في الصباح الباكر، واجتهد أن يكون ذلك روتينيا يوميا، وكلَّما جاهدت في أن تكون هذه عادة يومية ازداد اليقين بحصولك على قسط واف من النوم المريح ليلًا»[2].

■ **البكور، مجلس العلم:**

من المؤكَّد أنَّ البكور هو الوقت المفضَّل في العهد النبويِّ لجلائل الأعمال، فتُظهر الأحاديث النبوية الشريفة مدى حرص النبي ﷺ على تعليم الصحابة أمور دينهم بعد صلاة الصبح، وبتتبُّعها نستخرج عيِّنات منها، ونذكر للتمثيل:

- حديثَ زيد بن خالد الجهني أنَّه قال: «صلَّى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية، على إثر سماء كانت من الليلة، فلمَّا انصرف أقبل على الناس فقال: هل تدرون ماذا قال ربُّكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: أصبح من عبادي مؤمن وكافر، فأمَّا من قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأمَّا من قال: بِنَوْءِ كذا وكذا، فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب»[3].

- وفي حديث آخر قال رسول الله ﷺ لبلال **عند صلاة الفجر**: «يا بلال، حدِّثني

(1) رضا علوي: **كيف تستثمر أوقاتك**؛ ص258.

(2) الشربيني: **الأرق وهم له علاج**؛ ص62-63.

(3) رواه **الربيع**؛ **باب في ذكر الشرك والكفر**؛ ج1/ص44، رقم 62. ورواه **البخاري**؛ **كتاب الأذان، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلَّم**؛ واللفظ له؛ ج1/ص290، رقم 811؛ بسند: «حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن صالح بن كيسان عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن زيد بن خالد الجهني...».

بأرجى عمل عملته عندك في الإسلام، فإني سمعت الليلة خشفة[1] نعليك بن يدي الجنة. فقال: ما عمل عملته أرجى عندي أني لم أطهُر طهورا تامًّا في ساعة من ليل أو نهار إلَّا صليت لربي، ما قدِّر لي أن أصلِّي»[2]

ويوجِّه عبد الله بن عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حديث «بورك لأمَّتي» إلى **طلب العلم**، فعن نافع قال: «سألت ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن قول النبي ﷺ اللهمَّ بارك لأمَّتي في بكورها، فقال: في **طلب العلم**، والصفِّ الأول»[3].

تذكر المصادر أنَّ «أوَّل من جمع الأولاد في المكتب عمر بن الخطاب، وأمر عامر بن عبد الله الخزاعي أن يلازمهم "الصبيان" للتعليم، وجعل رزقه من بيت المال (...) **فأمر المعلِّم بالجلوس بعد صلاة الصبح إلى الضحى العالي**»[4]. ولقد دأبت الكتاتيب والمدارس القرآنية على التعليم في هذا الوقت، حتى صار ذلك بمثابة السنَّة المتَّبعة.

ويقرِّر العلماء المعاصرون أنَّ الصباح الباكر بعد الاستيقاظ «هو الوقت الأمثل **للمدارسة والعلم**، فالطاقة والروح العملية يكونان في أعلى مستوياتهما، باستثناء

(1) في **لسان العرب**: «الخشف و الخشْفَة والخشَفَة: الحركة والحسُّ، وقيل: الحسُّ الخفي» ج9/ ص71.

(2) رواه **ابن حبان**، ج15/ص560، رقم 7085. وقال شعيب الأرناؤوط: «صحيح على شرط البخاري ومسلم». رقم 74227. بسند: «أخبرنا عبد الله بن محمد الأزدي حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال قلت لأبي أسامة أحدثكم أبو حيان عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال...»

(3) أبو سعد، عبد الكريم بن محمد بن منصور: التميمي السمعاني (ت. 562هـ/1166م): **أدب الإملاء والاستملاء**؛ مر. ماكس فايسفايلر؛ دار الكتب العلمية، بيروت؛ 1401هـ/1981م؛ ص108.. رقم 317. بسند: «أخبرنا أبو عامر سعد ابن علي الرزاز بجرجان أنا أبو الغيث المغيرة بن محمد بن المغيرة الثقفي أنا أبو القاسم حمزة بن يوسف الحافظ أنا علي بن العباس البرداني ثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن جعفر العسكري بالبردان ثنا يوسف بن أحمد بن الحكم البصري ثنا عبد الله ابن مسلمة ثنا مالك بن أنس عن نافع...».

(4) النفراوي: **الفواكه الدواني**؛ ص30. اطفيش: **شرح النيل**؛ ج10/ص42. وانظر ـ اليبرودي: **قيمة الوقت**؛ ص58-59.

حال النوم المتأخِّر من الليل، أو الأرق، أو المرض»[1]. وتذكر إحدى الدراسات في مجال علم العمل «أنَّ استعداد الإنسان للعمل بنشاط وجدية هو استعداد موقوت، وأنَّ سعة هذا الاستعداد على مدى اليوم والليلة تتكرَّر بشكل منتظم، بالإضافة إلى ذلك فإنَّ سرعة هذا الاستعداد، أي سرعة تحضير النفس والعقل والجسم للعمل، هي أكبر ما تكون في **الصباح الباكر**»[2].

وأمَّا ما استجدَّ في العالَمين الغربي ثم الإسلاميِّ من مدارس رسمية، وجامعات، ومراكز للتمهين... فإنَّه خاضع للمنهج الغربيِّ قلبا وقالبا، فعوض أن يؤخذ منه الحسن، ويترك ما لا يلائم طبيعة المجتمع المسلم، إلَّا أنَّه نُقل كصورة فوتوغرافية باهتة، ولعلَّ أبرز نموذج لذلك ما يتعلّق بعدد ساعات التدريس، ووقت البدء، ووقت الانتهاء: أي **البرنامج اليوميّ** كلّه.

إنَّ الإجابة على إشكال التبعية الزمنية للغرب، ستسهم في الإجابة على سؤال عميق، طرحه المفكِّر «علي عزت بيجوفيتش» وهو: «**هل للإسلام دور في تشكيل العالَم الحاضر؟**»[3].

■ **البكور، تدبير شؤون الأمَّة والنبوَّة:**

أَحصيت العديد من الأحاديث التي تفيد أنَّ الرسول ﷺ **كنبيٍّ وكقائد** كثيرا ما اشتغل بأمر المسلمين بعد **صلاة الصبح**، ومن جملتها حديث رواه البخاري، نصُّه:

«بُعث أبو عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتها، وكان رسول الله ﷺ هو صالح أهل البحرين وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي، فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين، فسمعت الأنصار بقدومه فوافقت صلاة الصبح مع رسول الله ﷺ. فلمَّا انصرف تعرَّضوا له فتبسَّم رسول الله ﷺ حين رآهم، وقال: أظنُّكم سمعتم بقدوم أبي عبيدة، وأنَّه جاء بشيء؟ قالوا: أجل يارسول الله. قال: فأبشروا، وأمِّلوا

(1) Patrick, p.51.

(2) الحمود: **الوقت والعمل**، مجلة راية مؤتة؛ ص189.

(3) بيجوفيتش: **الإسلام بين الشرق والغرب**؛ ص27.

ما يسرُّكم، فو الله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تُبسط عليكم الدنيا كما بُسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتلهيكم كما ألهتهم»[1].

وفي الفترة المكيَّة قبل ذلك، كان الرسول ﷺ يترقَّب الهجرة، ويخطِّط لها، منتظرا إذنَ ربِّه له، فكانت دار أبي بكر مكانه المفضَّل للتدبير والتحضير، كما كان **البكور والعشيُّ** وقتَه الذي **يداوم** فيه على ارتياد دار أبي بكر. يقول ابن هشام: قالت عائشة أمُّ المؤمنين: «كان لا يخطئ رسول ﷺ أن يأتي بيت أبي بكر طرفي النهار، إمَّا بُكرة، وإمَّا عشية. حتى إذا كان ذلك اليوم الذي أذن الله فيه لرسول الله ﷺ في الهجرة والخروج من مكَّة من بين ظهري قومه، أتانا رسول الله ﷺ بالهاجرة، في ساعة كان لا يأتي فيها. قال: فلمَّا رآه أبو بكر قال: ما جاء رسول الله ﷺ هذه الساعة إلَّا لأمر حدث...»[2].

■ **أوَّل النهار، الخروج إلى الجهاد أو التجارة:**

من أنواع الوظائف التي مارسها الرسول ﷺ: **الجهاد**، بكلِّ ما يحمل من معاني الاستعداد الروحيِّ، والنفسيِّ، والجسمانيِّ.. وما يستدعيه من **تخصيص الوقت**. غير أنَّ هذا الوظيف غائب من برامج المحاولات التراثية، وهو من وجهة نظر معاصرة يمثِّل عمل الجنديِّ، والقائد العسكريِّ، ورجل الأمن...

ففي حديث صخر الغامديِّ أنَّ النبيء ﷺ كان يقول: «اللهمَّ بارك لأمَّتي في بكورها»، ومن الوجهة التطبيقية العملية: «كان إذا بعث سرية أو جيشا بعثهم في أوَّل النهار».

هذا عن الجهاد بمعنى القتال، أمَّا الجهاد بمعنى السعي **لكسب الرزق**، ونفع

(1) رواه **البخاري**؛ **كتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها**؛ ج5/ص2361، رقم 6061؛ بسند: «حدثنا إسماعيل بن عبد الله قال حدثني إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة عن موسى بن عقبة قال بن شهاب حدثني عروة بن الزبير أن المسور بن مخرمة أخبره أن عمرو بن عوف وهو حليف لبني عامر بن لؤي كان شهد بدرا مع رسول الله ﷺ أخبره أن رسول الله ﷺ بعث...»

(2) ابن هشام، أبو محمد عبد الملك (ت. 218هـ/833م): **سيرة ابن هشام**؛ مر. محمد محي الدين عبد الحميد؛ دار الفكر، بيروت؛ د.ت.ن.؛ ج2/ص97.

الخلق، فيذكر صخر الغامديُّ أنَّ صخر بن وداعة «كان رجلا تاجرا، وكان يبعث تجارته من أوَّل النهار، فأثرى، وكثر ماله». يقول أبو الحاج تحت فصل «تصرُّف الناس في أسبابهم وصنائعم ومعاشهم»: «وينبغي له "أي التاجر" أن يكون سفره **غدوة النهار**. لقوله ﷺ: "اللهمَّ بارك لأمَّتي في بكورها"»[1].

ومن أبرز المفاهيم المرتبطة بهذا الوقت، أي ما بين الفجر إلى الظهر، **مفهوم العمل أو الوظيف**، وهو كذلك مرتبط بمفهوم **العبادة**؛ ولكنَّ الإمام الغزالي وهو يوزِّع أوراد الصباح، يذكر أنَّ على المسلم أن «يقتصر من الكسب على قدر حاجته ليومه، مهما قدر على أن يكتسب في كلِّ يوم لقوته»[2]، بل يصِّرح أنَّه «إذا حصل كفاية يومه، فليرجع إلى بيت ربِّه، وليتزوَّد لآخرته»[3].

فهل يصدق هذا الطرح على المسلم المعاصر؟

وهل الإسلام ينظر إلى العبادة هذه النظرة الأُحادية؟

وهل من يجتهد في وظيفه واسترزاقه لا يعتبر عابدا، ولا يعدُّ متزوِّدا لآخرته؟

هذه أسئلة تندرج ضمن النظرة العامَّة للإسلام، وقد ترتَّب عن الإجابة عنها تباينٌ في مواقف الحركات الإسلامية، المتأرجحة بين الأكثر روحية والأكثر مادية. فنشأت عبر التاريخ حركات التصوُّف، ولا تزال؛ ونشأت الحركات الماديَّة المغالية، ولا تزال.

ولكنَّ **قراءة متأنية لبرنامج الرسول ﷺ اليوميِّ**، دون توجيه مسبق، كفيلة بتوسيع نظرتنا إلى **مفهومي العبادة والعمل** في الفكر الإسلاميِّ، ورفض المحاولات المتكرِّرة لإحداث **أزمنة مهيمنة**، على حساب **الزمن الصبغة**، الذي يمثِّل روح الفكر الإسلاميِّ وعمقه في بعده الزمنيِّ. فمن وجهة نظر الإسلام يلخِّص مالك بن نبي هذا المعنى بقوله: «إعطاء ثلاثة حروف من الأبجدية **عمل**، وتقبُّل هذه الحروف **عمل**، وإزالة أذى عن الطريق **عمل**، وإسداء نصح عن النظافة أو الجمال

(1) أبو الحاج: **المدخل**؛ ج4/ص45.

(2) الغزالي: **إحياء علوم الدين**؛ ص401.

(3) **نفسه**.

عمل، وغرس شجرة هنا **عمل**، واستغلال أوقات فراغنا في مساعدة الآخرين **عمل**، وهكذا[1]... **فنحن نعمل ما دمنا نعطي أو نأخذ بصورة تؤثِّر في التاريخ**»[2].

وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: «تبسُّمك في وجه أخيك لك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة، وإماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة»[3].

ومع زحمة النقاش العالميِّ حول عدد ساعات العمل، يبقى رأي الفكر الإسلاميِّ المؤسَّس على أبحاث تأصيلية، وعلى دراسات ميدانية، غائبا تماما، وغير مؤثِّر، رغم أنَّه سيحمل الكثير من الحلول الجيدة، ووجهات نظر جديدة.

فهل الفكر الإسلامي يتبنَّى نظام ساعات العمل الثابتة، أم المتواصلة، أم المرنة؟

أم أنَّه يقترح نظاما مغايرًا للنظم الغربية؛ وملائما لطبيعة المسلم، وبعده الثقافي، والفكريِّ، والحضاريِّ، بل وحتى البيئيِّ...؟

كم هو عدد ساعات العمل في الأسبوع؟

وما هي أيام العمل؟ وأيام العطل؟...

(1) لكلِّ هذه النماذج التي ذكرها مالك بن نبي، شواهد من القرآن الكريم، ومن السنَّة النبوية.

(2) مالك بن نبي: **شروط النهضة**؛ ص107-108.

(3) رواه **الترمذي**؛ **كتاب البر والصلة، باب ما جاء في صنائع المعروف**؛ ج4/ص339، رقم 1879؛ بسند: «حدثنا عباس بن عبد العظيم العنبري، حدثنا النضر بن محمد الجرشي اليمامي، حدثنا عكرمة بن عمار، حدثنا أبو زميل عن مالك بن مرثد عن أبيه عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ...» قال أبو عيسى: «**هذا حديث حسن غريب**».

كلُّ هذه الأسئلة[1] تحتاج إلى تخصُّص وتعمُّق في البحث، وينبغي أن لا يقع اختلال وخلل بين واجبات المسلم الدينيَّة ومتطلَّباته الوظيفيَّة، وإلَّا فإنَّ الحضارة لا تقوم إلَّا على أساس من التناغم والإيقاع المتَّزن، وعدم التناقض والاضطراب.

■ **الرسول ﷺ يبرمج مراحل قتاله في النهار:**

في نصٍّ جامع عرض الإمام ابن حجر **البرنامج اليوميَّ لمعارك الرسول ﷺ**، وكيف كانت **الصلاة المحورَ الذي يدور حوله المخطَّط اليوميُّ للقتال**، يقول: «باب كان النبي ﷺ إذا لم يقاتل **أوَّل النهار** أخَّر القتال حتى تزول الشمس:

كان إذا **طلع الفجر** أمسك حتى تطلع الشمس،

فإذا **طلعت** قاتل،

فإذا **انتصف النهار** أمسك، حتى تزول الشمس،

فإذا **زالت الشمس** قاتل،

فإذا دخل **وقتُ العصر** أمسك، حتى يصلِّيها ثم يقاتل،

وكان يقال عند ذلك تهيج رياح النصر ويدعو المؤمنون لجيوشهم في صلاتهم»[2].

نقرأ من خلال هذا النصِّ معنى حضاريا وهو: **أنَّ الرسول ﷺ كان هو الذي**

(1) مثل هذه الأسئلة طرحت في الغرب بشدَّة، منذ عقود، وهي تُسيل حتى اليوم الحبر الكثير، وشبكة الأنترنات أكبر دليل، فالبحث فيها مثلا بمدخل: 35 ساعة، يأخذ إلى المئات من المقالات، والأبحاث، والقوانين ، والمواقع، والحوارات... إلخ. انظر ـ بيبليوغرافيات نقلها الباحث من مواقع أنترنات عديدة، مطبوعة بحوزته. ومقالات في جريدة العالم السياسي.

(2) ابن حجر: **فتح الباري**، ج6/ص121.

يحدِّد وقت المعركة، ويوجِّه برنامجها اليوميَّ[1]، كما أنَّه ﷺ هو الذي يحدِّد مكان المعركة[2]. وهذا يدلُّ على مفهوم عالٍ من التقنية الحربية، والتحكُّم في مجريات الأحداث.

فمن وجهة نظر الدراسات الزمنية، وبتوسيع مفاهيم الحرب والسلم، والجهاد والقتال، والانتصار والانهزام... يذكر المحلِّلون أنَّ «الدول الأسرع تطوُّرا والأقوى، تنتهي بفرض نموذجها الزمنيِّ على غيرها... فإخضاع الآخرين لزمنك يعدُّ شكلا مميَّزا من التسلُّط»، ويمكننا بالتالي أن نتحدَّث عن **حرب البرمجة الزمنية (اليومية)، وعن المعارك الزمنية، وعن الجهاد لأجل تحرير البرنامج الزمني، وعن استقلال البرنامج الزمني**... وعن غيرها من المصطلحات التي تنبثق من هذا الطرح الحضاريِّ ـ الزمنيِّ.

■ **ما يؤكل في الصباح:**

البحث بمادة الفُطور في الحديث النبوي الشريف ينصرف إلى طعام الإفطار من الصوم، ولا **اعتبار لطعام الصباح في العهد النبويِّ كوجبة يوميَّة دائمة**، وفي الفقه: المعمولُ به في الكفَّارات، هو الاقتصار على المعتادِ، و«المعتاد أكلتان الغَداء والعَشاء»[3]، «وهو قول عامَّة العلماء»[4]. يقول السرخسي: «ومعنى التخفيف "في الصوم" أنَّ المعتاد في الناس أكلتان: **الغَداء والعَشاء**، فكان التقرُّب بالصوم في الابتداء بترك **الغَداء** والاكتفاء بأُكلة واحدة وهي **العَشاء**، ثم

(1) يعضد هذا المعنى، أنَّه في يوم الأحزاب، شُغل المسلمون عن الصلاة الوسطى، وصلُّوها بعد وقتها، فنبَّه الرسول ﷺ إلى هذا **الخلل في البرنامج اليوميِّ، وإلى خطورة التبعية الزمنية**، وكان ذلك بصيغة دعاء، فقال: «ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارا، شغلونا عن الصلاة الوسطى، حتى غابت الشمس». رواه **البخاري؛ كتاب الجهاد والسير، باب من صف أصحابه ثم الهزيمة ونزل عن دابته واستنصر**؛ ج3/ص1071. رقم 2773. بسند: «حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا عيسى حدثنا هشام عن محمد عن عبيدة عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما كان يوم الأحزاب قال رسول الله ﷺ...».

(2) كما كان الحال في غزوة أحد الكبرى، وفي غزوة الخندق... وغيرهما.

(3) المطرزي: **المغرب**؛ ص27.

(4) الكاساني: **بدائع الصنائع**؛ ج5/ص102. وانظر ـ البخاري: **كشف الأسرار**؛ ج2/ص217. اطفيش: **شرح النيل**؛ ج4/ص371، 407. جماعة العلماء: **الفتاوى الهندية**؛ ج3/ص63.

إنَّ الله تعالى أبقى لهذه الأمَّة الأكلتين جميعا، وجعل معنى التقرُّب في تقديم الغَداء عن وقته، كما أشار إليه رسول الله ﷺ في **السُّحور**، إنَّه الغِذاء المبارك»[1].

وقد تسمَّى أُكلة الصباح غدَاء في الفقه، ذلك أنَّ «**الغداء**: الأكلُ من طلوع الفجر إلى الظهر، والعَشاء: من صلاة الظهر إلى نصف الليل، و**السُّحور**: من نصف الليل إلى طلوع الفجر»[2].

ونستفيد من جملة من الأحاديث أنَّ **الأكل في الصباح لا يأخذ وقتا معيَّنا، ولا يداوَم عليه**، إلَّا ما كان للصائم من استحباب السُّحور قبل الفجر[3]، وفي غير ذلك يقتصر على تمرات. فعن الرسول ﷺ: «من تصبَّح كلَّ يوم سبع تمرات عجوة لم يضرَّه في ذلك اليوم سمٌّ ولا سحر»[4]. ولا يمكن أن يعمَّم هذا الحديث على كلِّ مناطق العالَم، الباردة منها والساخنة، والتي فيها التمر ـ وهي قليل ـ والتي ليس فيها.

ولا نعرف تاريخ ثبوت الفُطور في الصباح كوجبة قارَّة في العالَم الإسلاميِّ، ولعلَّ النظر يدلُّ على أنَّ المستعمِر هو الذي حمل معه هذه العادة، ورسخت لدى المسلمين من طريقه، حتى صارت جزءا لا يتجزَّأ من البرنامج اليوميِّ للمسلم المعاصر.

■ **صلاة الضحى:**

سئلت أمُّ المؤمنين عن عادة الرسول ﷺ في صلاة الضحى، هل **يداوم** عليها؟ وكم عدد الركعات التي يصلِّيها؟

(1) السرخسي: **المبسوط**؛ ج3/ص54.

(2) المطرزي: **نفس المرجع**؛ ص337.

(3) انظر ـ الشافعي: **الأم**؛ ج2/ص105. اطفيش: **شرح النيل**؛ ج3/ص429...

(4) رواه **البخاري**؛ **كتاب الإطعمة، باب العجوة**؛ ج5/ص2075، رقم 5130؛ بسند: «حدثنا جمعة بن عبد الله حدثنا مروان أخبرنا هاشم بن هاشم أخبرنا عامر بن سعد عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ...». وانظر في تفسير العجوة، وفي تخصيص الحديث وتعميمه، ابن حجر: **فتح الباري**؛ ج10/ص239.

فعن السؤال الأوَّل نقرأ حديث عبد الله بن شقيق قال: «قلت لعائشة، أكان النبي ﷺ يصلِّي الضحى؟» أي: هل كان **يداوم** على صلاة الضحى؟. «قالت: لا، إلَّا أن يجيء من مغيبه»[1].

وعن السؤال الثاني نقرأ حديث معاذة أنَّها سألت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كم كان رسول الله ﷺ يصلي صلاة الضحى؟ قالت: أربع ركعات ويزيد ما شاء»[2].

وفي الحديث أنَّ على المسلم أن يُخرج صباح كلِّ يوم على كلِّ مفصل من مفاصله صدقة، **أداء لحقِّ الله تعالى، ولحقِّ نفسه عليه**؛ فإذا هو صلَّى الضحى أجزأ عن باقي الأعمال، ونصُّه عند مسلم: «يُصبح على كلِّ سُلامى[3] من أحدكم صدقة، فكلُّ تسبيحة صدقة، وكلُّ تحميدة صدقة، وكلُّ تهليلة صدقة، وكلُّ تكبيرة صدقة، وأمرٌ بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى»[4].

ولا تناقض بين الصلاة والوظيف، إذا رأى المنظِّر إليهما على أساس التكامل، **وبترتيب الأولويات**، دون الإضرار **بالحقوق والواجبات**، ولا يشترط **المداومة** عليها، بل «يستطيع المعلِّم والمعلِّمة صلاتها في حصص الفراغ، أو في الفسح، وكذلك الموظَّف إذا لم يؤثِّر ذلك على عمله، أمَّا من كانت في بيتها فلتهنأ بالإقبال

(1) رواه مسلم؛ **كتاب صلاة المسافرين وقصرها؛ باب استحباب صلاة الضحى وأنَّ أقلَّها ركعتان؛** ج1/ص497، رقم 717؛ بسند: «وحدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا أبي حدثنا كهمس بن الحسن القيسي عن عبد الله بن شقيق قال:...».

(2) رواه مسلم؛ **كتاب صلاة المسافرين وقصرها؛ باب استحباب صلاة الضحى وأنَّ أقلَّها ركعتان؛** ج1/ص497، رقم 719؛ بسند: «حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا عبد الوارث حدثنا يزيد يعني الرشك حدثتني معاذة...».

(3) «**السُّلامى**: عِظامٌ صِغارٌ على طول الإِصبع أَو قريب منها» ابن منظور: **لسان العرب**؛ ج12/ ص298.

(4) رواه مسلم؛ **كتاب صلاة المسافرين وقصرها؛ باب استحباب صلاة الضحى وأنَّ أقلَّها ركعتان؛** ج1/ص498، رقم 720؛ بسند: «حدثنا عبد الله بن محمد بن أسماء الضبعي حدثنا مهدي وهو بن ميمون حدثنا واصل مولى أبي عيينة عن يحيى بن عقيل عن يحيى بن يعمر عن أبي الأسود الدؤلي عن أبي ذر عن النبي ﷺ أنه قال...».

على الله عزَّ وجلَّ»[1]، وهي حرَّة في صلاتها للضحى ولغيرها في أيِّ وقت شاءت، شريطة أن تلتزم بواجباتها الزوجية والعائلية والاجتماعية.

ويستطيع علماء العمل أن يدرجوا صلاة الضحى داخل الإطار العامِّ للإنتاج، إذ «خلافا لِما كان يعتقد، فإنَّ ساعات العمل الطويلة والمتواصلة لا تزيد في كمية الإنتاج، بل قد تكون سببا في نقصانه، الأمر الذي جعل المؤسَّسات المعاصرة تسعى جاهدة لوضع فترات راحة مناسبة، تتخلَّل مدَّة العمل اليوميِّ»[2]. وهذا المنحى مناسب لقاعدتي **التسديد والمقاربة**، «**وإذا فرغت فانصب**»، في الفكر الإسلاميِّ، وموافق لاعتبار الصلاة من جملة **الراحة**؛ وهو مناسب لتطبيقات الفروق بين الكفاءة والفعالية، في **علم الإدارة**.

■ **أعمال البرِّ في الصباح:**

عدَّ الغزالي من أوراد الضحى: «الخيرات المتعلِّقة بالناس، التي جرت بها العادات **بكرة**، من عيادة مريض، وتشييع جنازة[3]، ومعاونة على برٍّ وتقوى، وحضور مجلس علم»[4].

قال ابن القيم: «**ولم يكن من هديه عليه الصلاة والسلام أن يخصَّ يوما من الأيام بعيادة المريض، ولا وقتا من الأوقات، بل شرع لأمَّته عيادة المرضى ليلا ونهارا، وفي سائر الأوقات**»[5]، واستشهد بحديث ورد في مسند الإمام أحمد نصُّه: «ما من مسلم يعود مسلما إلَّا ابتعث الله سبعين ألف ملك يصلُّون عليه،

(1) القاسم، عبد الملك بن محمد: **ماذا تفعل في 10 دقائق**؛ دار القاسم للنشر، الرياض، السعودية؛ 1419هـ. ص11 (بتصرف).

(2) بوظريفة: **الساعة البيولوجية**؛ ص14.

(3) انظر أوقات صلاة الجنازة، وبخاصة بعد الصبح وبعد العصر، في المصادر الفقهية الآتية ـ مالك: **المدونة**؛ ج1/ص264. الشافعي: **الأم**؛ ج1/ص174. السرخسي: **المبسوط**؛ ج1/ص152. اطفيش: **شرح النيل**؛ ج2/ص21

(4) **إحياء علوم الدين**؛ ص400-401.

(5) **زاد المعاد**، ج1/ص497.

أيّ ساعة من النهار كانت حتى يمسي، وأيّ ساعة من الليل كانت حتى يصبح»[1].

ويبقى على الدارس أن يتتبَّع الأحاديث، ليعرف أيَّ أعمال البرِّ مؤقَّتة بوقت معيَّن، وأيَّها غير مخصوص بوقت، وما هي درجة التخصيص وحدُّه. فمثل هذا العمل ـ لو أنجز ـ سيُفيد الباحث في البرمجة الزمنية عموما، واليومية بالخصوص.

■ **الغداء:**

في اصطلاح الفقهاء: «الغداء ما كان قبل الزوال، والعشاء بعده إلى نصف الليل»[2].

وفي الحديث أنَّ أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أقبلتُ مع رسول الله ﷺ، فسمع رجلا يقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فقال رسول الله ﷺ: وجَبَتْ. فسألته: ماذا يا رسول الله؟ قال: الجنَّة. قال أبو هريرة: فأردت أن أذهب إلى الرجل فأبشِّره. ثم فرقتُ أن يفوتني الغَداء مع رسول الله ﷺ، فآثرت الغَداء، ثم ذهبت إلى الرجل فوجدته قد ذهب»[3].

وفي حديث آخر عن أبي أمية الضمري قال: «قدمتُ على رسول الله ﷺ من سفر، فسلَّمت عليه، فلمَّا ذهبت لأخرج قال: انتظر الغداء يا أبا أمية، قال: فقلت إني صائم يا نبي الله، فقال: تعال أخبرك عن المسافر، إنَّ الله وضع عنه الصيام،

(1) الإمام أحمد، **المسند**؛ ج1/ص118. رقم 40282. بسند: «حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا بهز وعفان قالا ثنا حماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء قال عفان قال أنبأنا يعلى بن عطاء عن عبد الله بن يسار عن عمرو بن حريث أنَّه عاد حسنا وعنده على فقال علي فقال:...» .

(2) السفاريني، أبو العون شمس الدين محمد بن أحمد بن سالم السفاريني (ت. 1188هـ/1774م): **غذاء الألباب**؛ طبعة جامع الفقه، شركة حرف، الإمارات العربية المتحدة؛ 1999م؛ ج2/ص87.

(3) رواه **الحاكم في المستدرك**، 1/ص754، رقم 2079؛ بسند: «أخبرنا أبو بكر بن أبي نصر المروزي ثنا أحمد بن عيسى القاضي ثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن عبيد الله بن عبد الرحمن عن عبيد بن جبير مولى آل زيد بن الخطاب أنه سمع أبا هريرة رضي الله تعالى عنه يقول:...». وقال: «**هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه**».

ونصف الصلاة»[1].

والظاهر أنَّ وجبة الغَداء في العهد النبويِّ كانت قبل الظهر، وليس بعدها كما هو الحال في الكثير من البلاد الإسلامية اليوم.

■ **نافلة قبل صلاة الظهر:**

ركعتان ـ أو أربع ركعات ـ قبل الظهر من النوافل التي **داوم** عليها نبي الله محمد ﷺ، ومن الصلوات التي تندرج في **برنامجه اليوميِّ**، وهما آخر أعمال الفترة الصباحية، التي بدئت بالصلاة وتختم بالصلاة؛ وهكذا كلُّ مراحل اليوم لا تقع إلَّا بين صلاتين، إن لم تكن فرضا كانت سنَّة ونافلة. مع الملاحظة أنَّ الصلاة لا تشغل وقتا كبيرا، وأنَّ أطول مدَّة بين فرض وفرض هي المدَّة الصباحية الواقعة بين الصبح والظهر، وذلك لتسهِّل على الناس أمر الابتغاء من فضل الله بالاسترزاق والكسب، وبالعمل والجهاد والاجتهاد.

والشاهد على الركعتين قبل الظهر حديث ابن عمر: «حفظت من النبي ﷺ عشر ركعات: ركعتين قبل الظهر...». وحديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كان يصلِّي في بيتي قبل الظهر أربعا ثم يخرج، فيصلِّي بالناس...».

بعد هذا العرض، يجمل بنا أن نجمع الأعمال التي كان رسول الله ﷺ يأتيها غالبا في جدول، يكون كالآتي:

(1) رواه الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن (ت. 255هـ/869م): **سنن الدارمي**؛ تح. فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي؛ دار الكتاب العربي، بيروت؛ 1417هـ/1987م. ج2/ص17، رقم 1712. بسند: «حدثنا أبو المغيرة ثنا الأوزاعي عن يحيى عن أبي قلابة عن أبي المهاجر عن أبي أمية الضمري قال:...». ورواه **النسائي**؛ **كتاب الصيام**، **باب ذكر وضع الصيام عن المسافر...**؛ ج4/ص178، رقم 2267؛ بسند: « أخبرني عبدة بن عبد الرحيم عن محمد بن شعيب قال حدثنا الأوزاعي عن يحيى عن أبي سلمة قال أخبرني عمرو بن أمية الضمري قال قدمت على رسول الله من سفر» قال الألباني: «**صحيح الإسناد**».

صلاة الفجر جماعة			
الفجر	البكور: البركة في العمل	الضحى	الطعام
سنَّة الفجر في الدار، الذكر والمكوث في المسجد بعد الصبح	مجلس العلم، تدبير شؤون الأمة والنبوَّة، الخروج إلى الجهاد والتجارة، برنامج القتال في النهار	صلاة الضحى، جملة من أعمال البِرِّ، نافلة قبل الظهر	تمرات في الصباح، الغَداء
يكره النوم في البكر وفي الضحى			

أعمال ما بين الفجر والظهر في السنة النبوية

هذه الفترة هي أوسع مرحلة لأعمال البرِّ، ويميِّزها في الفكر الإسلاميِّ **البكور**، الذي بارك الله تعالى فيه، **وأبرز ما فيها الانتقال من عمل إلى آخر**، حتى إنَّنا لنحار من أعمال البرِّ التي يأتيها الرسول ﷺ فيه، بحيث لو أنَّ أيَّ مسلم نظر إليه من نافذته لوجده الأوَّل فيها، فالعابد يرى في برنامج الرسول ﷺ التعبُّدي نموذجا كاملا، وكذلك العالِم، والمجاهد، والموظَّف... فيمكننا أن نصف **برنامج الرسول ﷺ بالإعجاز الشموليِّ، ونتحدَّث عن نوع جديد من الإعجاز هو: الإعجاز في البرنامج اليوميِّ، وفي الإيقاع، والقدرة على إنجاز الكثير من الأعمال في الفترة الوجيزة. فالرسول ﷺ إذن هو الإنسان النموذج، والقدوة، وهو الإنسان الكونيُّ.**

ويلاحظ حضور جلِّ قواعد البرمجة: **المداومة، والتسديد والمقاربة، والموازنة بين الحقوق**... بحيث يخطئ من يحصر عمل الرسول ﷺ في مجال دون آخر، أو

وظيف دون آخر. أو يلغي حقاً من الحقوق لحساب آخر.

الفترة الرابعة: من الظهر إلى العصر

■ **صلاة الظهر جماعة:**

الأذان لصلاة الظهر إعلان عن نهاية العمل اليوميِّ والفترة الصباحية، وبداية الفترة المسائية بصلاة الظهر جماعة، في المسجد، لآية: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾[الروم: 17-18]. فحين تظهرون تعني صلاة الظهر.

وحديث عائشة عند مسلم صريح في هذا، قالت: «كان ﷺ يصلِّي في بيتي قبل الظهر أربعا ثم يخرج فيصلِّي بالناس...».

فيكون افتتاح هذه الفترة ـ كسابقاتها ـ بالصلاة، واختتامها بالصلاة، تركيزا لمفهوم محورية الصلاة في البرنامج اليوميِّ.

■ **بعد الظهر، النافلة:**

ففي حديث ابن عمر: «حفظت من النبي ﷺ عشر ركعات ركعتين قبل الظهر وركعتين بعدها...»، وكذا حديث عائشة الآنف، وفيه أنَّه ﷺ يصلِّي بالناس الظهر، «...ثم يدخل فيصلِّي ركعتين...».

■ **القيلولة:**

القائلة في اللغة هي «الظهيرة، والقيلولة: النوم في الظهيرة، أو نومة نصف النهار»[1]، وقد تكون «القائلة بمعنى القيلولة»[2].

عن سهل قال: «كنَّا نصلِّي مع النبي ﷺ الجمعة، ثم تكون القائلة»[3].

(1) ابن منظور: **لسان العرب**؛ ج11/ص577.

(2) **نفسه**. وانظر ـ الرازي: **مختار الصحاح**؛ ص559.

(3) رواه **البخاري**؛ **كتاب الجمعة، باب القائلة بعد الجمعة**؛ ج1/ص318، رقم 899؛ بسند: «حدثنا سعيد بن أبي مريم قال حدثنا أبو غسان قال حدثني أبو حازم عن سهل».

وفي الحديث أنَّ النبي ﷺ لم يترك القائلة حتى في طريقه من الغزو، فقد أخبر جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «أنَّه غزا مع رسول الله ﷺ قبل نجد، فلمَّا قفل رسول الله ﷺ قفل معه، فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاه، فنزل رسول الله ﷺ، وتفرَّق الناس يستظلُّون بالشجر، فنزل رسول الله ﷺ تحت سمرة، وعلَّق بها سيفه، ونمنا نومة، فإذا رسول الله ﷺ يدعونا، وإذا عنده أعرابيٌّ فقال: إنَّ هذا اخترط عليَّ سيفي[1] وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتا، فقال: من يمنعك مني؟ فقال: الله، ثلاثا. ولم يعاقبه وجلس»[2].

وقد عقد المقدسي في «الآداب الشرعية» فصلا في «**في استحباب القيلولة والكلام في سائر نوم النهار**». قال فيه: «قال عبد الله (بن عمر): كان أبي ينام نصف النهار شتاء كان أو صيفا، **لا يدعها، ويأخذني بها**. ويقول قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قيلوا فإنَّ الشياطين لا تقيل»[3]. واستنتج ابن حجر من الأحاديث أنَّ القيلولة «كانت عادة المسلمين في كلِّ يوم»[4]. وفي مصادر الفقه نجد من حقوق العبيد على سيِّدهم أن «يريحهم وقت القيلولة، والنوم، وأوقات الصلوات»[5].

فهل القيلولة خاصَّة بالبلاد الحارَّة، ومنها الدول الإسلامية، كما ذكر القرضاوي[6]، أم يُنصح بها لكلِّ البلاد، كما يفهم من كلام أبي حامد الغزالي[7]،

(1) «**اخترط السيف**: سلَّه من غِمده» ابن منظور: **لسان العرب**؛ ج7/ص285.

(2) رواه **البخاري**؛ **كتاب الجهاد والسير، باب من علَّق سيفه بالشجر عند السفر في القائلة**؛ ج3/ ص1065، رقم 2753؛ بسند: «حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال حدثني سنان بن أبي سنان الدؤلي وأبو سلمة بن عبد الرحمن أنَّ جابر بن عبد الله...».

(3) المقدسي: **الآداب الشرعية**؛ ج3/ص161..

(4) ابن حجر: **فتح الباري**؛ ج11/ص70.

(5) ابن مفلح، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبد الله الحنبلي (ت. 884هـ/1479م): **المبدع**؛ المكتب الإسلامي، بيروت؛ 1400هـ؛ ج8/ص225. وابن ضويان، إبراهيم بن محمد بن سالم (ت. 1353هـ/1934م): **منار السبيل**؛ تح. عصام القلعجي؛ مكتبة المعارف، الرياض؛ ط2: 1405هـ. ج2/ص276.

(6) القرضاوي: **الوقت في حياة المسلم**؛ ص29.

(7) الغزالي: **إحياء علوم الدين**؛ ص401-402.

والشنتوت[1]، والخالدي[2].

في رأينا أنَّ الجواب مرتبط بعدَّة عوامل أخرى، أهمُّها:

- **معنى القيلولة**: هل هي «النوم في الظهيرة»[3]، أم هي «الاستراحة نصف النهار إذا اشتدَّ الحرُّ، وإن لم يكن مع ذلك نَوْمٌ»[4].
- **الفصل**: هل هو الشتاء، أم الصيف؟ ذلك أنَّ طول النهار مختلف اختلافا كبيرا بينهما، في كثير من البلاد.
- **وهل صاحبها بكوريٌّ**؟ ذلك أنَّ القيلولة للبكوريِّ أمثل وأليق منها لغيره.
- **وهل القيلولة ليستعان بها على قيام الليل**؟ أم أنَّ صاحبها ليس من عادته القيام.

ومجمل القول **إنَّ في الأمر كلُّه سعة**، وهو متروك للعادة، والبيئة، والمقصد، والظروف.

■ **الاختلاء بالأهل:**

ذكر القرآن الكريم، ضمن العورات الثلاث هذا الوقت، فقال تعالى: ﴿...وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ...﴾[النور: 58].

قال ابن عباس في تفسير هذه الآية: «إنَّ الله حليم رحيم بالمؤمنين، يحبُّ الستر، وكان الناس ليس لبيوتهم ستور ولا حجال، فربَّما دخل الخادم أو الولد أو يتيمة الرجل، والرجل على أهله، فأمرهم الله بالاستئذان في تلك العورات،

(1) الشنتوت: **دور البيت المسلم**؛ ص136.

(2) الخالدي: **الخطة البراقة**؛ ص139.

(3) ابن منظور: **لسان العرب**؛ ج11/ص577.

(4) ابن منظور: **نفس المرجع**؛ ج11/ص578.

فجاءهم الله بالستور والخير، فلم أر أحدا يعمل بذلك بعد»[1].

وفي حديث أنَّ رسول الله ﷺ «كان يدور على نسائه في ساعة من الليل أو النهار وهنَّ إحدى عشرة». وهذه الساعة من النهار تفهم على أنَّها وقت القيلولة، لا غيرها.

■ **ساعة لا يخرج فيها رسول الله ﷺ إلَّا لأمر:**

لم يعتد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أن يروا رسول الله ﷺ في هذا **الوقت**، وهذا ما استفدناه من رواية ابن هشام، قالت عائشة أمُّ المؤمنين: «كان لا يخطئ رسول ﷺ أن يأتي بيت أبي بكر طرفي النهار، إمَّا بُكرة، وإمَّا عشية. حتى إذا كان ذلك اليوم الذي أذن الله فيه لرسول الله ﷺ في الهجرة والخروج من مكَّة من بين ظهري قومه، أتانا رسول الله ﷺ بالهاجرة، في ساعة كان لا يأتي فيها. قال: فلمَّا رآه أبو بكر قال: ما جاء رسول الله ﷺ هذه الساعة إلَّا لأمر حدث...»[2].

ومن حديث آخر نطالع التصريح بأنَّ الرسول ﷺ ليس من عادته أن يخطب في القائلة، وأنَّ الصحابة ألفوا القيلولة وشقَّ عليهم تركها؛ جاء فيه: «صلَّى ﷺ ذات يوم، وصعد المنبر، وكان لا يصعد عليه قبل ذلك إلَّا يوم الجمعة، فاشتدَّ ذلك على الناس، فمن بين قائم وجالس، فأشار إليهم بيده أن اقعدوا، فإني والله ما قمت مقامي هذا لأمر ينفعكم لرغبة ولا لرهبة، ولكنَّ تميما الداري أتاني فأخبرني خبرا منعني القيلولة من الفرح وقرَّة العين، فأحببت أن أنشر عليكم فرح

(1) رواه أبو **داود**؛ **كتاب الآداب، باب الاستئذان في العورات الثلاث**؛ ج4/ص349، رقم 5192؛ بسند: «حدثنا عبد الله بن مسلمة ثنا عبد العزيز يعني بن محمد عن عمرو بن أبي عمرو عن عكرمة أنَّ نفرا من أهل العراق قالوا: يا بن عباس كيف ترى في هذه الآية التي أمرنا فيها بما أمرنا؟...». قال الألباني: «**حسن موقوف**».

(2) ابن هشام: **سيرة ابن هشام**؛ ج2/ص97. وراه **البخاري**؛ **كتاب، باب إذا اشترى متاعا أو دابة...**؛ ج2/ص751، رقم 2031؛ بسند: «حدثنا فروة بن أبي المغراء أخبرنا علي بن مسهر عن هشام عن أبيه عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: ...».

نبيكم...»[1].

صلاة الظهر جماعة		
بعد الظهر، النافلة	القيلولة	الاختلاء بالأهل
ساعة لا يخرج فيها رسول الله ﷺ إلَّا لأمر		

أعمال ما بين الظهر والعصر في السنة النبوية

يمثِّل ما بين الظهر والعصر **وقت الراحة**: بالصلاة، وبالقيلولة، والاختلاء بالأهل؛ وهو بمثابة محطَّة يوميَّة تطبَّق من خلالها جملة من قواعد البرمجة، وهي:

المداومة، على صلاة الظهر، وعلى النوم والاختلاء بالأهل، إلَّا في حالات قاهرة.

التسديد والمقاربة، ذلك أنَّ هذه الساعة راحة من الساعات التي قبلها، والتي كانت للعمل والابتغاء من فضل الله؛ وعون على الساعات التي بعدها، وهي فترة ثانية من اليوم، تقضى فيها المصالح.

الموازنة بين الحقوق: ففي هذه الساعة مراعاة لحقِّ الله تعالى بالذكر والصلاة، ولحقِّ النفس بالنوم والراحة، ولحقِّ الأهل بالاختلاء بهم. والمشروع في ديننا «هو الاقتصاد في العبادات دون الانهماك والإضرار بالنفس، وهجر المألوفات كلِّها، وأنَّ الملَّة المحمَّدية مبنيَّة شريعتها على التسهيل والتيسير، وعدم التعسير»[2].

(1) رواه **ابن ماجه؛ كتاب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى وخروج يأجوج ومأجوج**؛ واللفظ له؛ ج2/ص1354. رقم 4074. بسند: «حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير ثنا أبي ثنا إسماعيل بن أبي خالد عن مجالد عن الشعبي عن فاطمة بنت قيس قالت: صلَّى رسول الله ﷺ...» في حديث طويل. ورواه **مسلم؛ كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قصة الجساسة**؛ ج4/ص2262، رقم 2942.

(2) الصنعاني: **سبل السلام**؛ ج2/ص161.

الفترة الخامسة: من العصر إلى المغرب

■ **صلاة العصر جماعة:**

يمثِّل وقت صلاة العصر الفترة التي يلتقي فيها ملائكة الليل بملائكة النهار، ولقد أُمرنا بالاعتناء بها، ففي الحديث الصحيح أنَّ النبي ﷺ قال: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلُّون، وأتيناهم وهم يصلُّون»[1].

ولذا فالواجب الاعتناء بها وبغيرها من الصلوات المفروضة، على أنَّها **أولى أولويات** العمل اليوميِّ، ولا يجوز تركها، أو عدم أدائها في وقتها، أو الإتيان بها كما اتفق. وتبقى الصلاة من أكبر الفوارق بين البرنامج اليوميِّ للمسلمين والبرنامج اليوميِّ للكافرين، مهما اختلفت مستوياتهم، وعصورهم، وظروفهم البيئية والطبيعية...

■ **لا صلاة بعد العصر:**

قال أبو سعيد الخدري: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا صلاة بعد الصبح حتى ترتفع الشمس، ولا صلاة بعد العصر حتى تغيب الشمس»[2]. فيستفاد عدم الصلاة في هذين الوقتين.

■ **بعد العصر، وقت حُرٌّ للمبرّات:**

لم تختلف المحاولات السابقة في برمجة وقت اختلافها فيما بين العصر والمغرب، فنجد:

(1) رواه **البخاري؛ كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر**؛ ج1/ص203، رقم 530. بسند: «حدثنا عبد الله بن يوسف قال حدثنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:..».

(2) رواه **البخاري**، وقد تقدَّم تخريجه.

- أنَّ الغزالي قصره في: «الدعاء، والذكر، والقراءة، والفكر»[1].
- ويذكر سويدان أنَّها «مرحلة نشاط ثانية، يكون الإنسان فيها مهيَّأ جسميا ونفسيا لمواصلة العمل اليوميِّ حتى الغروب»[2].
- وشنتوت يقول: إنَّ المسلم «ينهض من القيلولة على أذان العصر، ليؤدِّيها جماعة، ثم يجلس نصف ساعة أو ساعة مع أسرته، يقضيها في التعلُّم، ثم يعود لعمله اليوميِّ، أو يقضي بعض الواجبات الاجتماعية، أو يمارس أنشطة ثقافية»[3].
- والخالديُّ يجعل ما بعد العصر للدعوة، «والزيارات، والواجبات الاجتماعية والإرشادية، والمشاركة في الأفراح والأتراح، وفي زيارة المرضى، ومساعدة المحتاجين، أو لجلسة عملية مع الإخوان والأصدقاء...»[4] ولا يجوز لصاحب العلم أن يعتزل المسلمين.

ويدلُّ هذا الاختلاف أنَّ ما بين العصر والمغرب **وقت حرٌّ**، وأيُّ محاولة لتحديد نوع العمل الذي يكون فيه هي محاولة مبتسرة، فلقد أحصينا الكثير من أعمال البرِّ التي كان رسول الله ﷺ يفعلها في هذه الفترة، نذكر منها نماذج للتمثيل، وهي:

- **الزيارة والاشتغال بأمور الأمَّة**: لحديث عائشة: «كان لا يخطئ رسول ﷺ أن يأتي بيت أبي بكر طرفي النهار، إمَّا بُكرة، وإمَّا عشية». هذا عن العهد المكِّي، أمَّا في العهد المدنيِّ فقد روي أنَّ رسول الله ﷺ «استعمل عاملا فجاءه العامل حين فرغ من عمله، فقال: يا رسول الله، هذا لكم، وهذا أهدي لي. فقال له: أفلا قعدت في بيت أبيك وأمِّك فنظرت أيُهدى لك أم لا؟ ثم قام رسول الله ﷺ عشية بعد الصلاة، فتشهَّد، وأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أمَّا بعد، فما بال العامل نستعمله فيأتينا فيقول: هذا

(1) الغزالي: **إحياء علوم الدين**؛ ص403.

(2) سويدان: **الصلاة صحة ووقاية**؛ ص164.

(3) الشنتوت: **دور البيت المسلم**؛ ص136.

(4) الخالدي: **الخطَّة البرَّاقة**؛ ص137.

من عملكم وهذا أهدي لي. أفلا قعد في بيت أبيه وأمِّه فنظر هل يهدى له أم لا؟ فو الذي نفس محمد بيده لا يغلُّ أحدكم منها شيئا إلَّا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه...»[1].

- **العلم والفتوى، ومصالح الأمَّة**: ففي حديث بريرة: «خطب رسول الله ﷺ عشية، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أمَّا بعد، فما بال أقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله، ما كان من شرط ليس في كتاب الله عز وجل فهو باطل، وإن كان مائة شرط. كتاب الله أحقُّ، وشرط الله أوثق. ما بال رجال منكم يقول أحدهم: أعتق فلانا والولاء لي، إنما الولاء لمن أعتق»[2].

- **مواصلة القتال في الحرب**: فقد كان هديه ﷺ: «...إذا دخل **وقتُ العصر** أمسك، **حتى يصلِّيها ثم يقاتل**، وكان يقال عند ذلك تهيج رياح النصر ويدعو المؤمنون لجيوشهم في صلاتهم»[3]. وحديث: «ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارا، شغلونا عن الصلاة الوسطى، حتى غابت الشمس»[4].

(1) رواه **البخاري**؛ **كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي**...؛ ج6/ص2446. رقم 6260. بسند: «حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني عروة عن أبي حميد الساعدي أنه أخبره أن رسول الله ﷺ...».

(2) رواه **مسلم**؛ **كتاب العتق، باب الولاء لمن أعتق**؛ ج2/ص1142، رقم 1504؛ بسند: «وحدثنا أبو كريب محمد بن العلاء الهمداني حدثنا أبو أسامة حدثنا هشام بن عروة أخبرني أبي عن عائشة قالت:...» وأوله: «عائشة قالت: دخلت عليَّ بريرة فقالت: إنَّ أهلي كاتبوني على تسع أواق في تسع سنين، في كلِّ سنة أوقية، فأعينيني فقلت لها: إن شاء أهلك أن أعدها لهم عدة واحدة وأعتقك، ويكون الولاء لي، فعلت. فذكرت ذلك لأهلها فأبوا إلَّا أن يكون الولاء لهم. فأتتني، فذكرت ذلك. قالت: فانتهرتها، فقالت لاها الله إذا قالت فسمع رسول الله ﷺ. فسألني فأخبرته فقال: اشتريها، وأعتقيها، واشترطي لهم الولاء، فإنَّ الولاء لمن أعتق ففعلت قالت ثم خطب:...».

(3) ابن حجر: **فتح الباري**، ج6/ص121.

(4) رواه **البخاري**، وقد تقدَّم تخريجه.

والصلاة الوسطى عند جملة من الفقهاء هي العصر[1].

فنلاحظ إذن أنَّ قصر هذا الوقت بعمل دون عمل، غير مبنيٍّ على نصوص أو أدلَّة صحيحة، ويمكن توظيف ما بين العصر والمغرب للعبادات، أو للعمل الاجتماعيِّ، أو العلميِّ، أو السياسيِّ، أو العائليِّ... وفي الأمر كلِّه سعة.

■ **العَشاء:**

أحيانا يتناول الرسول عَلَيْهِ السَّلَامُ **العَشاء** قبل المغرب، ويأمر بتقديمه على صلاة المغرب إذا اجتمعا، فيقول ﷺ: «إذا قدم العَشاء فابدؤوا به قبل أن تصلوا صلاة المغرب، ولا تعجلوا عن عشائكم»[2].

■ **كراهية النوم بعد العصر:**

روى أبو يعلى في مسنده عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «من نام بعد العصر فاختلُس عقله، فلا يلومنَّ إلَّا نفسه»[3]. إلاَّ أنَّ في الحديث ضعف؛ لكنَّ كراهة النوم بعد العصر رويت عن جملة من الصحابة، منهم: عثمان بن عفان، وعمرو بن العاص[4]. وعن بعض الأيمة منهم الإمام أحمد[5].

ويَسنُد هذا الحكم أمور منها:

- لم يُعهد من الرسول ﷺ أنَّه ينام في هذا الوقت.

- أنَّه وقت مناسب للعمل وقضاء المصالح.

ونستفيد بتتبُّعنا لأحاديث الرسول ﷺ عن الفترة ما بين العصر والمغرب، أنَّه ليس من عادته، ولا من عادة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ **النوم** في هذا الوقت. فلا يُدرج في

(1) انظر في معنى الصلاة الوسطى ـ ابن أبي شيبة: **المصنَّف**؛ ج2/ص387.

(2) رواه **البخاري**، وقد تقدَّم تخريجه.

(3) الطحاوي: **مشكل الآثار**؛ وقال: «**هذا الحديث منقطع**». السفاريني: **غذاء الألباب**؛ ج3/ص355. وقال: «**حديث ضعيف**».

(4) الطحاوي: **نفسه**.

(5) السفاريني: **نفسه**.

برنامجهم اليوميِّ، بل العادة أنَّهم يشغلونه بالمبرَّات وأعمال الخير، ويسارعون في ذلك.

صلاة العصر جماعة				
الزيارة والاشتغال بأمور الأمَّة	التعلم والفتوى	مواصلة القتال في الحرب	العِشاء	حقوق أخرى
لا صلاة بعد العصر				
يُكره النوم بعد العصر				

أعمال ما بين العصر والمغرب في السنة النبوية

يعتبر هذا الوقت بمثابة المرحلة الثانية من النهار، يُعمل فيها جلُّ ما يعمل في الصباح، سواء في ذلك مواصلة العمل الوظيفيِّ، أو الاشتغال بالعلم، أو بمصالح الناس... إلخ. وهو وقت تتمثل فيه قاعدة الانتقال من عمل لآخر، أي «**فإذا فرغت فانصب**»، **والموازنة بين الحقوق**... وغيرهما.

وبتمام هذه الفترة تنتهي الدورة اليومية، ويبدأ يوم جديد مع حلول المغرب، فيكون المؤمن بمثل هذا البرنامج المستقى من سنَّة المصطفى ﷺ قد استمكل أعمال البرِّ، فيَسعد ويُسعد.

وهذا جدول جامع لأعمال الرسول ﷺ في بحر اليوم، مع ملاحظة ما يلي:

- ينبغي أن يؤسَّس على القواعد التي صيغت في كامل البحث: **الزمن الصبغة، الغايات**...
- ينبغي أن يفرَّق بوضوح بين مراتب الأعمال، أي يراعى سلَّم **الأولويات**.
- ثمة أعمال أخرى لم تدرج، والبحث التفريعيُّ كفيل باستجلائها، وإتمام الجدول، حتى يكون أكمل ما يكون.

◄ يراعى الفرق بين الفصول، والفروق بين المدارك والمستويات والأجناس... فليس هذا البرنامج بملزم إلَّا فيما هو واجب من الأعمال.

وهذا جدول الأعمال في البرنامج اليومي للرسول ﷺ، مفصلا، حسب المداخل السابقة:

المدخل بالصلاة	العمل	الوقت	الأولوية	المدَّة	الإنجاز
وقت صلاة المغرب	صلاة المغرب، جماعة بالمسجد	20:12	1	15د	
	النوافل، الذكر، المكث بالمسجد وانتظار الصلاة				
	مجالس العلم				
	إطعام الطعام والاشتغال بأمر الأمة				
قبل العشاء	العَشاء				
	يكره النوم في هذا الوقت				
وقت صلاة العشاء	صلاة العشاء	21:52	1	15د	
من بعد صلاة العشاء	النوافل، الذكر، قيام الليل	22:07			
	النوم مبكرا، والنوم وسط الليل				
	السمر في العلم، في مصالح المسلمين، مع الأهل				
	ينهى عن السمر والكلام لغير مصلحة، الاختلاء، الحذر من الأضرار المعنوية والمادية				
من قبل صلاة الفجر	ركعتان في البيت، في هذا الوقت عورتان من العوارت الثلاث				

وقت صلاة الفجر	صلاة الفجر	03:47	1	15د	
بداية النهار	الذكر والمكوث في الدار، سنة الفجر				
	مجلس العلم، تدبير شؤون الأمة والنبوَّة. الخروج إلى الجهاد والتجارة				
الضحى	صلاة الضحى، جملة من أعمال البر				
قبل الظهر	ركعتان نافلة في الدار				
	ينهى عن النوم بعد الفجر				
	تمرات في الصباح، والغداء أحيانا				
وقت صلاة الظهر	صلاة الظهر، جماعة في المسجد	13:04	1	15د	
بعد الظهيرة	ركعتان في البيت، الذكر والاعتكاف بالمسجد				
	القيلولة والاختلاء بالأهل، وهو من العورات الثلاث				
	ساعة لا يخرج فيها الرسول ﷺ عادة				
وقت صلاة العصر	صلاة العصر، جماعة بالمسجد	16:44	1	15د	
	الزيارة والاشتغال بأمور الأمة، العلم والفتوى، مواصلة القتال في الحرب				
	العَشاء أحيانا				

نتائج الفصل الثالث

توصَّل البحث بعد هذا العرض للبرنامج اليوميِّ في المحاولات السابقة أوَّلا، وفي السنَّة والسيرة النبويَّة ثانيا، إلى جملة من النتائج، أهمُّها:

1. إحصاء ثماني محاولات لصياغة برنامج يوميٍّ متكامل، بعضها من تأليف المتقدِّمين، والبعض الآخر ألَّفها المتأخِّرون.

2. الإمام أبو حامد الغزالي ـ حسب ما وصل إلينا ـ هو أوَّل من اقترح برنامجا يوميا متكاملا، وفصَّل جوانبه وحيثياته.

3. لهذه المحاولات إيجابيات أبرزها: اعتماد النصوص الشرعية، وبخاصة القرآن الكريم والسنَّة النبوية، واستيفاء جميع الأوقات، واتخاذ الصلاة مرجعا ومحورا، وضبط بعض جزئيات البرمجة ضبطا محكما...

4. أمَّا أهمُّ السلبيات، فهي:

- أنَّها **غير موحَّدة** في المصطلح.

- **وغير منتظمة** في نسق منهجيٍّ واحد.

- لم تضبط **القواعد العامَّة** التي تحكم البرنامج اليوميَّ، ولذا فإنَّ بعض هذه المحاولات أحدث **أزمنة مهيمنة**.

- عدم تحديد **للغايات** وتطبيقاتها على البرنامج اليوميِّ **كمقصد مباشر**.

- لا نجد اهتماما ذا بال **بالأهداف** ولا **بالأولويات**.

- ليس ثمة **سلك ينتظم** العلوم التي أنتجها الفكر الإسلاميُّ مع البرنامج اليوميِّ للمسلم.

- ينقص هذه المحاولات **استقصاء واستقراء للنصوص**.

5. وفي محاولة لإتمام ما بناه أصحاب المحاولات السابقة في إعداد برنامج يوميٍّ للمسلم، تتبَّعتُ السنَّة النبوية، وسيرة الرسول ﷺ، فكانت النتيجة كالآتي:

6. أنَّ الرسول ﷺ أسَّس حياته على جملة من القواعد، هي بمثابة المرتكزات التي أثَّرت كلية في برنامجه اليوميِّ، وأبرز هذه القواعد: قاعدة المداومة، وقاعدة التسديد والمقاربة، وقاعدة «فإذا فرغت فانصب»، وقاعدة الموازنة بين الحقوق، وقاعدة الخِلفة.

7. حاولنا أن نضبط جدولا لأعمال الرسول ﷺ في بحر اليوم، ابتداء من صلاة المغرب، فتبيَّن لنا بوضوح أنَّ **الصلاة هي الشفرة التي تحكم البرنامج اليوميَّ للنبي** عَلَيْهِ السَّلَامُ. وكلُّ فترات اليوم تبدأ بها وتنتهي بها.

8. فيما عدا الواجب، كان الرسول ﷺ ينتقل وينوِّع بين أعمال البرِّ، في إيقاع معجز، حتى ليمكننا أن نتحدَّث **عن نوع جديد من الإعجاز هو: الإعجاز في البرنامج اليوميِّ، وفي الإيقاع، والقدرة على إنجاز الكثير من الأعمال في الفترة الوجيزة**. ذلك أنَّ **الرسول ﷺ هو الإنسان النموذج، والقدوة، وهو الإنسان الكونيُّ**.

9. كلُّ الناس، من جميع الأجناس والأعمار، والأزمنة، والأمكنة... يجد في برنامج الرسول ﷺ أنموذجه ومنطلقه، ذلك أنَّه أسِّس على مبدأ الزمن الصبغة، وامتاز بالسعة والليونة، وراعى الأولويات...

10. صاغ البحث البرنامجَ اليوميَّ للرسول ﷺ في جداول حسب فترات اليوم، ثم جُمعت في جدول شامل، يمكن اعتباره أرضية أولى للإبداع في هذا المجال.

نتائج البحث

ينتهي هذا البحث ونحن على يقين أنَّه لا يزال في بداياته؛ ذلك أنَّ المجال بكر لم يُسبق بدراسة مستقلَّة، فهو في حاجة إلى جهود أكثر، وإلى تخصُّصات أكبر، بل إلى مراكز وفرق متخصِّصة... ومع ذلك يجدر بنا أن نذكِّر بأبرز النتائج التي فرضت نفسها؛ وهي في عمومها نتائج في «المنهج» و«المصطلح»، أكثر من كونها في «الموضوع».

فهي كالآتي:

1. حلَّلنا **إشكالية المصطلح** العربيِّ في الفكر الإسلاميِّ عموما، وفي الدراسات الزمنية بالخصوص، ثم عرَّفنا المصطلحات الأساسية في البحث، وهي: الزمن، والزمان، والوقت؛ والبرنامج، والبرمجة الزمنية؛ والأصول (التأصيل)؛ والفكر الإسلاميِّ...

2. سلكنا في هذا العمل المنهج التأصيليَّ، فاعتنى بالبحث عن **الأدلَّة** من المصادر الشرعية: القرآن والسنَّة أساسا، والدراسات الإسلامية والبحوث المتخصِّصة بالتبع؛ ثم حاول أن يصوغ **قواعد**، مستنبطة من الأصول العامَّة للفكر الإسلامي، تكون مرتكزا للبرمجة الزمنية.

3. أحصينا جملة **العلوم التي لها علاقة عضوية بالبرمجة الزمنية**، ثم حلَّلناها من مراجعها علما علما.

4. حلَّلنا **الدراسات الإسلامية في الزمن**، وبخاصَّة المرتبطة منها بالبرمجة الزمنية، فضبطنا جملة من الملاحظات الإيجابية والسلبيَّة.

5. عرَّف الباحث المصطلحات الأساسية في **البرمجة اليومية**، وهي: **التخطيط**، و**الجعل**، و**البرنامج اليوميُّ**.

6. **اليوم هو الوحدة الرئيسة** في البرمجة الزمنية، سواء في القرآن الكريم، أم في الفكر الغربي، إلَّا أنَّه في القرآن الكريم يبدأ مع غروب الشمس.

7. **الصلاة هي المحور** الذي يدور حوله البرنامج اليومي للإنسان المسلم؛ لكن **ضاعت مكانة الصلاة بين منهجين متناقضين**: الغربي والإسلاميِّ المعاصر.

8. **يمكننا أن نصنِّف وقت الصلاة ضمن وقت الترويح**، لكن مع تعديل طفيف في التعريف، وإلَّا صنِّفت في وقت رابع هو وقت **العبادة المؤقَّتة**.

9. في القرآن الكريم تتبعنا جملة **الأعمال المشتركة بين الليل والنهار**، ثم **الأعمال الخاصَّة بالليل**، ثم **الأعمال الخاصَّة بالنهار**، ثم **الأعمال الخاصة بأجزاء الليل**، وأخيرا جملة **الأعمال الخاصَّة بأجزاء النهار**. متَّبعين في ذلك منهجي الاستقراء والتحليل، وموظِّفين الجداول لزيادة التوضيح.

10. حاولنا أن نقترح **أرضية للبرنامج اليوميِّ** في الفكر الإسلاميِّ، تَعتبر الثوابت ولا تتنكَّر للمتغيرات.

11. أمَّا في **المحاولات السابقة** فتم إحصاء ثماني محاولات لصياغة برنامج يوميٍّ متكامل. تتميز **بإيجابيات**، وتسجَّل عليها **سلبيات**.

12. في **السنَّة والسيرة النبويَّة** وجدنا أنَّ الرسول ﷺ أسَّس حياته على جملة من **القواعد**، هي بمثابة **المرتكزات** التي أثَّرت كلية في برنامجه اليوميِّ، وأبرز هذه القواعد: قاعدة المداومة، وقاعدة التسديد والمقاربة، وقاعدة «فإذا فرغت فانصب»، وقاعدة الموازنة بين الحقوق، وقاعدة الخِلفة.

13. رسمنا جدولا لأعمال الرسول ﷺ في بحر اليوم، ابتداء من صلاة المغرب، فتبيَّن لنا بوضوح أنَّ **الصلاة هي الشفرة التي تحكم البرنامج اليوميَّ للنبي** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. وكلُّ فترات اليوم تبدأ بها وتنتهي إليها.

14. فيما عدا الواجب، كان الرسول ﷺ يتنقَّل وينوِّع بين أعمال البرِّ، في إيقاع معجز، حتى ليمكننا أن نتحدَّث **عن نوع جديد من الإعجاز هو: الإعجاز في البرنامج اليوميِّ، وفي الإيقاع، والقدرة على إنجاز الكثير من الأعمال في الفترة الوجيزة**.

15. صاغ البحث **البرنامجَ اليوميَّ للرسول** ﷺ في جداول حسب فترات اليوم،

ثم جُمعت في جدول شامل، يمكن اعتباره **أرضية أولى للإبداع في هذا المجال**.

ومما نقترحه لبحوث مستقبلية، ما يلي:

1. إنشاء «**لائحة العلوم الزمنية**» لتكون سندا للدارسين في هذا المجال، من مختلف التخصُّصات والاهتمامات العلميَّة.
2. العمل على بناء أسس **علم قائم بذاته**، واضح المعالم، بيِّن المنهج، يعنى بالبرمجة الزمنية كما ضبطناها في هذا البحث.
3. تعميق البحث في **الإعجاز الإيقاعيِّ، والإعجاز الكونيِّ، والإعجاز الزمنيِّ** عموما.. في القرآن الكريم والسنَّة النبوية الطاهرة.
4. إنجاز **عمل بيبليوغرافيٍّ في مجال الدراسات الزمنية باللغة العربية**، يكون مرجعا للباحثين، ومنطلقا لبحوثهم.
5. يبرز **فقه الأولويات** في الفكر الإسلاميِّ، كمنحى فكريٍّ مستقلٍّ، ينبغي العمل على إنزاله إلى الواقع، ومن جملة صيغ هذا الإنزال إنشاء مناهج تدريبية في البرمجة الزمنية بناء على هذا الفقه.
6. مواصلة البحث في **البرمجة اليومية، باعتبارها علما جديدا وجديرا**، وإنجاز بحوث في **برمجة تضاعيف اليوم**.
7. إعداد **بحوث تفريعية** تعنى بجزئيات البرمجة الزمنية سواء من خلال القرآن الكريم، أو السنَّة النبوية، مما قد يسمَّى: **فقه البرمجة الزمنية**.

والبحث في مجمله لا يخرج عن كونه عملًا تأصيليًّا أوَّليًّا، يسعى جهده إلى التدليل على أنَّ «**للبرمجة الزمنية أصول وجذور دينية، وثقافية، وحضارية؛ وليست مجرَّد عادات شكلية، أو تصرُّفات ظاهرية**»؛ **ثم إنه ينتهي إلى كون «البرمجة الزمنية» علما قائما بذاته، يستدعي العناية المعرفية والحضارية اللازمة**؛ وهذه بعينها هي الأطروحة التي يهدف الباحث إلى الدفاع عنها، وتلك هي الثمرة التي يشير إليها؛ والله المستعان.

المحتويات

مقدمة 5

الفصل الأوَّل

المنهج من خلال المصطلح، والعلوم الزمنية، والدراسات الإسلامية

المبحث الأول: المنهج من خلال المصطلح 11

أوَّلا • مفارقة المصطلح 11

ثانيا • البرمجة الزمنية (الزمن، البرنامج). 15

ثالثا • أصول (التأصيل). 30

رابعا • الفكر الإسلامي. 35

المبحث الثاني: المنهج من خلال العلوم الزمنية 43

1. علم إدارة الوقت 46

2. علم اجتماع الفراغ 49

3. الترويح (التربية الترويحية). 52

4. ميزانية الوقت 54

5. دراسات النوم والأرق 56

6. علم "الساعة البيولوجية" 58

7. جملة من العلوم الأخرى. 60

المبحث الثالث: المنهج من خلال الدراسات الإسلامية 62

أولا • الكتب المستقلَّة 63

ثانيا • البحوث الجامعية 72

نتائج الفصل الأول 80

الفصل الثاني

أصول "البرنامج اليومي" في الفكر الإسلامي، من خلال القرآن الكريم

المبحث الأول: في المصطلح والمنهج 85

أوَّلا • في المصطلح 85

ثانيا • في المنهج (الصلاة محور البرنامج اليومي للمسلم) 92

المبحث الثاني: البرنامج اليومي في القرآن الكريم (الليل والنهار) . . . 103

أوَّلا • الأعمال المشتركة بين الليل والنهار، في القرآن الكريم 103

ثانيا • الأعمال الخاصَّة بالليل في القرآن الكريم 108

ثالثا • الأعمال الخاصَّة بالنهار في القرآن الكريم 120

المبحث الثالث: البرنامج اليومي في القرآن الكريم (أجزاء الليل والنهار) . 127

أولا • بداية اليوم 128

ثانيا • الأعمال الخاصَّة بأجزاء الليل في القرآن الكريم 130

ثالثا • الأعمال الخاصَّة بأجزاء النهار في القرآن الكريم. 139

رابعا • نحو برنامج يوميٍّ، من خلال القرآن الكريم. 149

نتائج الفصل الثاني 152

الفصل الثالث

أصول "البرنامج اليومي" في الفكر الإسلامي، من خلال التراث، والسنة النبوية الحية

المبحث الأول: المحاولات السابقة في البرمجة اليومية 160

أوَّلا • من المتقدمين 161
ثانيا • من المعاصرين 170
المبحث الثاني: أصول البرمجة اليومية من خلال السنَّة النبوية 182
أوَّلا • قواعد برمجة اليوم في السنة النبوية 182
1. قاعدة المداومة 182
2. قاعدة التسديد والمقاربة 187
3. قاعدة "فإذا فرغت فانصب" 190
4. قاعدة الموازنة بين الحقوق 193
5. قاعدة العمل في وقته 199
6. قاعدة الخِلفة 201
ثانيا • مدخل للبرنامج اليومي للرسول ﷺ 203
الفترة الأولى • بين المغرب والعشاء 203
الفترة الثانية • بين العشاء والفجر 215
الفترة الثالثة • بين الفجر والظهر 226
الفترة الرابعة • بين الظهر والعصر 245
الفترة الخامسة • بين العصر والمغرب 250
نتائج الفصل الثالث 257
نتائج البحث 259
المحتويات 262